عالم المعرفة

الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية

د. محمد موفاكو





سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

الثقافة الألبانية في الابجدية العربية



د. محمد موفاكو

٦٨ شوال - ذي القعدة ١٤٠٣ هـ / اغسطس (آب) ١٩٨٣ م

المراسلات:

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص.ب/ ٢٣٩٩٦ - الكويت.

الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية

مقدمة

شهدت اللغة العربية انتشاراً واسعاً خلال فترة قصيرة من الزمن ، مع خروج الاسلام من الجزيرة العربية في بداية القرن السابع الميلادي ، إلى أن أصبحت هذه اللغة تربط بين شعوب مختلفة تمتد من شمال اسبانيا الى أواسط آسيا . وقد أصبحت اللغة العربية منذ ذلك الحين لغة عالمية ، وذلك لانتشارها الجغرافي الواسع في القارات الثلاثة للعالم القديم ولاستيعابها لثقافة الشعوب الأخرى غير العربية . وفي الواقع يتميّز الاسلام هنا بدوره المثير في هذه المسيرة ، نظراً للارتباط الوثيق بينه وبين اللغة العربية . ومن خلال هذا الارتباط شهدت اللغة العربية ، في بداية العصر الحديث ، امتداداً آخر مهماً في أوروبا الشرقية ، حيث انتشر الاسلام بفضل العثمانيين لدى عدة شعوب ، مما أدى بدوره الى انتشار اللغة العربية ايضاً .

وإلى جانب انتشار اللغة العربية في هذه المساحة الشاسعة ، برز تأثير الاسلام في جانب آخر على قدر كبير من الأهمية ، ألا وهو تبنّي بعض الشعوب غير العربية للحروف العربية في كتابة لغاتها القومية . ومع هذا التحول أصبحت الحروف العربية ، ولا تزال إلى الآن ، أكثر الحروف انتشاراً في العالم بعد الحروف اللاتينية .

وقد بدأت هذه التجربة في أوربا ، وبالتحديد في الاندلس ، لدى الموريسكيين Moriscos [1] الذين اعتمدوا الحروف العربية في كتابة لغة الرومانس الاسبانية . وقد أطلق في اسبانيا على أدب هذه

(١) الموريسكيون اسم يطلق على جميع من بقي في الاندلس من المسلمين بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ ، بينما أطلق في السابق على المسلمين في اسبانيا وشمال أفريقيا ، وحتى على المسلمين بشكل عام .

اللغة ، الذي كان يكتب بالحروف العربية ، اسم aljamiado المشتقة من العجمي . ومع مرور الزمن انتشر هذا التعبير لدى المستشرقين في اوربا alhamiado ليشمل كل أدب اوربي كتب بالحروف العربيـة . إلا أن هذه التجربة انتهت في اسبانيا في القرن السابع عشر ، بعد أن تم طرد كل المسلمين تقريباً من الأراضي الاسبانية ، بينما كان القسم الباقي قد تحول تدريجياً إلى الحروف اللاتينيـة بعـد ان ارتدّ عن الاسلام .

وفي الفترة نفسهـا انتشرت الحروف العربيـة لدى عدة شعـوب أوربية في الشرق ، مع انتشار الاسلام الذي أعقب الفتح العثماني لأوربا الجنوبية الشرقية ، ولا شك في أن انتشار الحروف العربية في أوروبا الجنوبية الشرقية يعود إلى العثمانيين ، الذين كانوا بدورهم قد اعتمدوا هذه الحروف في كتابة لغتهم التركية . وهكذا ، حتى نهاية القرن السابـع عشر ، كانت الحروف العربيـة قد انتشرت في دائرة واسعـة ، في اليـونان وألبانيـا وبلغاريـا والبوسنة وبولونيـا وروسيـا البيضاء . ومـن بين هذه الشعـوب عرفت الحروف العربيـة أوسع انتشار لها لدى الألبانيـين والبوسنويـين . ولـدى هذيـن الشعبين استمرت الحروف العربية ، على الرغم من الظروف الصعبة التي مرت بها ، فترة أطول حتى هذا القرن . فقد طبع آخر كتاب في اللغة البوسنوية بالحروف العربيـة سنة ١٩٤١ ، بينما صدر آخر كتاب في اللغة الألبانيـة بالحروف العربيـة سنة ١٩٧٠ . وخلال هذه الفترة الطويلة نشأ وتطور لدى هذين الشعبين بشكـل خاص تراث ثقافي غني في الحروف العربيـة ، بالاضافة الى ما كتب ايضاً في اللغـة العربية ، وقد اشتمـل هذا التراث على العلـوم المختلفة ، الدينيـة والفلسفية واللغوية ، بالاضافة الى الابداعات الأدبية المختلفة . وفي اطار هذا التراث الكبير تمتع القسم الذي كتب في اللغة البوسنويـة

بالحروف العربية باهتمام واسع من قبل الباحثين ، داخل وخارج يوغسلافيا ، حتى أصبح لدينا عدد كبير من الدراسات والكتب التي تبحث فيه أو تعيد نشر بعضه في الأبجديتين الحاليتين للغة الصربو كراوتية في يوغسلافيا [١] .

ومن جهة أخرى ، يتمتّع القسم الألباني من هذا التراث الكبير بقيمة خاصة نظراً لأن الحروف العربية لدى الألبانيين كانت أبجدية الغالبية ، إذ إن الالبانيين هم الأمة الأوروبية الوحيدة التي اعتنقت الاسلام بغالبيتها [٢] ، بينما كانت الحروف العربية لدى الشعوب المجاورة هي أبجدية الاقلية أو الجماعة الاسلامية فيها . ومن هذا التراث الألباني ، الذي كتب في الحروف العربية ، يتمتّع الأدب الألباني بقيمة أكبر نظراً لانه يشكل القاعدة التي تطور عليها النتاج الثقافي الجديد الذي امتصّ من الشرق مؤثرات كثيرة وقد استمر الأدب الألباني في الحروف العربية عدة قرون ، حتى مطلع القرن العشرين في ألبانيا والى منتصف هذا القرن في يوغسلافيا ، وخلال هذه الفترة الطويلة قدم هذا الأدب ابداعات قيمة لها مكانتها في تاريخ الأدب الألباني .

وعلى الرغم من هذه الأهمية الكبيرة فقد تعرض الأدب الألباني في

---

(١) نشير هنا إلى آخر كتاب صدر في يوغسلافيا حول هذا التراث :

Dr. Abdurahman Nametak, hrestomatija bosanske alhamijado književnosti, Sarajevo 1981 .

(٢) في الواقع لدينا استثناء بالسكان الأصليين لاسبانيا ، سواء من الرومانيين السابقين أو من الأقوام الجرمانية اللاحقة ، الذين اعتنق قسم كبير منهم الاسلام بعد الفتح الاسلامي في بداية القرن الثامن وإلى أن انتهت حروب الاسترجاع Reconquista إلى « تطهير » شبه الجزيرة الاسبانية من المسلمين في بداية القرن السابع عشر . ومع هذا ، هناك فروق كبيرة بين النموذج الاسباني والنموذج الالباني ، ولذلك يبقى الألبانيون هم الأمة الأوربية الوحيدة التي اعتنقت الاسلام بغالبيتها واستمرت حتى الآن كاستثناء في أوربا .

الحروف العربية إلى تجاهل مثير في ألبانيا بعد أن تم تبني الأبجدية اللاتينية بشكل حاسم ونهائي في الدولة الجديدة منذ سنة ١٩٢٠ . ومن المؤسف أن هذا التجاهل كان نتيجة للازدراء الذي لقيه هذا الأدب من العلماء والباحثين ، الذين تعمدوا تجاهل هذا الأدب لفترة طويلة ولدوافع كثيرة ، سنتعرض لها بالتفصيل فيما بعد . ويكفي أن نشير هنا إلى أن هذا الأدب الذي استمر لعدة قرون لم يحتلّ سوى ثلاثة سطور من كتاب « حول تاريخ الأبجدية الالبانية » للباحث روستين روتا [١] ، مع أن عنوان هذا الكتاب يفترض أن يمنح الحروف العربية والأدب الذي كُتبت بها مساحة أوسع بكثير . وقد أدى هذا الازدراء للأدب الألباني في الحروف العربية ، الذي استمر لدى الباحثين في ألبانيا حتى نهاية الأربعينات ، إلى نتائج وخيمة لحقت بمصدر أساسي من مصادر الأدب الألباني بشكل عام . فقد ادى هذا الازدراء إلى تلف وضياع الكثير من المخطوطات الألبانية في الحروف العربية ، نظراً لعدم اهتمام الباحثين بجمعها وحفظها ونشر ما يمكن منها . وإلى جانب هذا، كان للحروف الاقليمية والعالمية التي طحنت المناطق التي يعيش فيها الألبانيون، سواء في ألبانيا أو يوغسلافيا ،دور حاسم أيضاً في القضاء على قسم اخر من هذه المخطوطات . ومن هنا فقد واجهنا الكثير من المصاعب خلال العمل في هذا الموضوع ، مما قد يبرّر بعض الثغرات المحتملة في هذا الكتاب . وعلى كل حال ، فإن هذا الموضوع يصدر لأول مرة بصورة متكاملة في اللغة العربية ، بينما قد يفترض المرء أن يكون هناك عدة كتب حول هذا الموضوع في اللغة الألبانية .

وبودّنا أخيراً أن نشير إلى ملاحظتين حول العنوان .

---

(1) Justin Rrota, Për historinë e alfabetit shqip, Shkodër 1937 , ribotim i Prishtinës 1968, p.65.

في العنوان استخدمنا تعبير « الثقافة الألبانية » مع أن الكتاب يتناول أساساً الأدب الألباني ، وذلك لأن الحديث عن الحروف العربية لدى الألبانيين يوضّح ما خلّفته هذه الحروف من تأثير على الثقافة الألبانية ، ومن ناحية أخرى ، فقد استخدمنا في العنوان تعبير « الأبجدية العربية » لشيوعه في اللغة الألبانية Alfabeti arab ، مع أن بعض الحروف العربية قد تعرضت إلى إضافات بسيطة لدى استعمال الألبانيين لها في كتابة لغتهم .

محمد موفاكو
جامعة كرسوڤا - يوغسلافيا
بريشتينا ٢٤ تشرين الأول ١٩٨٢



الفصل الأول

العرب والألبانيون

على الرغم من الرقعة الصغيرة التي يحتّلها الألبانيون في أوروبا ، فقد نشأت بينهم وبين العرب صلات واسعة جعلتهم يتميزون من غيرهم من الأمم الأوربية ، ويأخذون حجماً يفوق رقعتهم الصغيرة . وما يثير هنا أن هذه الصلات قد تداخلت إلى درجة أدّت إلى تشكل قناعات حول الأصل المشترك للعرب والألبانيين . فمن هذا نجد أن المؤرخ أحمد بن زيني دحلان يذكر في كتابه « الفتوحات الاسلامية بعد مضّي الفتوحات النبوية » قولاً عن الألبانيين في انهم « من عرب الشام من بني غسان ارتحلوا من الشام بعد ما أتى الله بالاسلام »[1] .

وإلى جانب هذا نجد في المشرق العربي ، حيث يُعرف الألبانيون باسم « الأرناؤوط » تفسيرا شعبياً لأصل الألبانيين ، الذي يبدو أنه يستند إلى الخلاف المعروف بين الخليفة عمر بن الخطاب وجبلة بن الأيهم . ويقول هذا التفسير أن اميراً عربياً اختلف مع الحاكم وقرر لذلك الهجرة مع قبيلته من تلك المنطقة باتجاه الشمال . وبعد وفاة الحاكم أرسلوا له خبراً كي يعود فأجاب « عار أن نعود » وقد تحولت هذه العبارة مع الزمن إلى « أرناؤوط »[2] .

وما يثير هنا أن هذا التفسير نجد له صدى لدى الألبانيين ايضاً. فقد سجّلنا منذ فترة عرضا شعبيا مشابهاً جداً لهذا التفسير من عجوز أمي

---

(١) أحمد بن زيني دحلان ، الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، المكتبة التجارية - القاهرة ، ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) ويرى البعض أن أصل هذه الكلمة فارسي (عارنبود) أي لم يكن عاراً . وقد ذكر المؤرخ العراقي ع . العزاوي هاتين الروايتين ورفضها بشكل قاطع ، انظر :
عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، بغداد ١٩٤٩ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

الباني تجاوز عمره الثمانين . وقد روى هذا العجوز لنا أن أميراً عربياً ، بعد ان اختلف مع حاكم البلد ، هاجر مع قبيلته إلى مدينة شكودرا Shkodra ، في شمال ألبانيا الحالية ، حيث استقر هناك ومن هذه القبيلة تكاثر الألبانيون . ومن هذا ايضاً ما يذكره د . حسين مجيب المصري في كتابه « صلات بين العرب والفرس والترك » حيث يسرد رأيـاً يقول إن الألبانيـين ينحدرون من أمير كان في بلاد العرب[1] . ومع أن هذه الآراء تفتقد الأساس الواقعي ، حيث لا يوجد حتى الآن ما يثبتهـا ، إلا أنها ترمي إلى مدى التداخـل في الصلات التي ربطت بين العرب والألبانيين . وفي الواقع ، ان هذه الصلات تعـود إلى فترة قديمة ، إذ إنها نشأت بين أجداد العـرب والألبانيين الحاليين .

فيما يتعلّق بالألبانيين الحاليين نجد أن الرأي السائد حالياً في أوساط العلماء يُسلّـم بانحدار الألبانيـين مباشرة من الاليريـين القدماء Illyrians . وقد برز هؤلاء الاليريون في البلقان في فترة مبكرة ، في عصر البرونز ، وأصبح لهم مع الزمن تقاليد حضارية بارزة في غرب البلقان ، ومع نهاية القرن الخامس قبل الميلاد ، وصلت هذه التقاليد الى ذروتها مع بروز « الدولـة الاليريـة » ، التي امتدت على طول الساحل الشرقي للبحر الأدرياتيكي . وقد تمتّعت هذه الدولة بنفوذ عسكري وسيـاسي كبير في المنطقة ، إلا أن هذا اصطدم مع توسع روما مما أدى إلى حروب طويلة بين الطرفين . وقد تتوج هذا الصدام بالحرب الاليرية ـ الرومانية الاولى سنة ٢٢٩ قبل الميلاد ، التي عادت واستمرت ، سنة ٢١٩ قبل الميلاد ، إلى أن تمكنت روما من إلحاق الهزيمة بالجيوش الاليرية وأسْـر الملك الاليـري الأخير سنة ١٦٨ ،

(١) د . حسين مجيب المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٣٠٨ .

ومع هذه الهزيمة فقد الاليريون دولتهم واستقلالهم السياسي ، ودخلوا من ذلك الحين في إطار الامبراطورية الرومانية [١] .

وتجدر الاشارة هنا إلى وجود تفسير قديم يربط بين الفينيقيين وهؤلاء الاليريين ، على أساس أن الاليريين قد استمدوا اسمهم من اليريوس illyrios ، بن قدموس الفينيقي . ففي الميتولوجيا اليونانية اسطورة معروفة تقول إن قدموس ، ابن آجنور ملك فينيقيا ، ذهب بأمر أبيه للبحث عن أخته أوربا التي اختطفها زيوس . وبعد أن جال قدموس في مناطق كثيرة عجز عن العثور على أخته ، ولذلك صعبت عليه العودة الى وطنه . وقد انتهى به التطواف إلى هذه المناطق ، حيث أسّس مدينة تيبة . وبعد استقراره تزوج قدموس من هارمونيا وانتقل أخيراً الى مناطق تسكنها بعض العشائر ، حيث أنجبت له زوجته ابناً سمّاه إليريوس ، وتنتهي الاسطورة إلى القول أن الاليريين أخذوا اسمهم من اليريوس منذ ذلك الحين [٢] . وإذا تجاوزنا الميتولوجيا إلى التاريخ نجد أن بعض العلماء يعتقد أن الفلسطينيين ، الذين هاجروا إلى بلاد كنعان وسمّوها باسمهم ،كانوا من الاليريين [٣] .

ومع كل هذا نسارع الى القول إن الأرضية الثابتة لهذه الصلات قد تشكلت فعلاً في إطار الامبراطورية الرومانية . ففي هذه الامبراطورية الواسعة ، التي شملت المناطق العربية والألبانية الحالية ، حدث تداخل كبير بين شعوب هذه المناطق ، وخاصة عن طريق الجنود . فقد قام هؤلاء الجنود بدور الجسر الكبير الذي كانت تنتقل عبره التأثيرات من شعب الى آخر . وفي هذا الاتجاه نجد إن

(١) حول هذه الدولة وأهميتها في عالم البحر الابيض المتوسط ، وحول الاليريين بشكل عام وصلاتهم بالألبانيين راجع دراسات ومناقشات المؤتمر الاول للدراسات الاليرية ، الذي انعقد في ١٥ ـ ٢٠ ايلول ١٩٧٢ في تيرانا ـ البانيا :

Studime ilire, I — II ribotim i Prishtinës 1978 , pp. 51 — 71.

(2) Aleksandar Stipcěvić, Iliri, Zagreb 1974, p. 19

(3) Willy Borgeaud, Les Liiyriens en Greece et en Italie, Geneve 1843 , p. 52.57.

التأثيرات كانت تنتقل بشكل واضح من الجنوب الى الشمال ، وبالتحديد من مصر والشام إلى المناطق الاليرية .

وحول هذه الصلاة الأولية نجد في كتابات المؤرخين القدماء ما يدل بوضوح على انتشار الجنود الاليريين في الجنوب ، من سوريا وحتى الجزائر ، كما نجد في آثار بعض الكتّاب السوريين والفلسطينيين بعض الاشارات القيمة حول الاليريين ، مما يدل على معرفة هؤلاء بالاليريين في ذلك الوقت [1] . ومن ناحية أخرى ، كان حضور الجنود السوريين والمصريين دائماً في المناطق الاليرية . وقد خلّف هؤلاء الجنود تأثيرات واضحة في هذه المناطق ، وخاصة فيما يتعلّق بالدين . فقد حمل هؤلاء الجنود السوريون والمصريون إلى هذه المناطق آلهتهم المحلّية ، التي كانوا يعبدونها في الشرق ، ليتابعوا عبادتها خلال إقامتهم في المناطق الاليرية . وفيما بعد ، وتحت تأثير التداخل بين هؤلاء الجنود والاليريين ، أخذ الاليريون يعتنقون هذه العبادات ، وتحولت الآلهة السورية والمصرية إلى آلهة إليرية ايضاً [2] . وفي إطار الامبراطورية الرومانية أيضاً ، انتقل الدين المسيحي من الشرق الى المناطق الاليرية حيث انتشر بسرعة ، ومع هذا ، أصبح الاليريون يذهبون الى فلسطين وسوريا ، للتنسّك أو لزيارة الاماكن المقدسة . ومن هؤلاء نعرف الآن القديس يورنيم (حوالي ٣٤٠ - ٤٢٠) ، الذي كان قد تنسّك في شمال سوريا ثم في بيت لحم ، وقام فيما بعد بترجمة الانجيل إلى اللغة اللاتينية . وتجدر الاشارة هنا إلى أن مذهب آريوس الاسكندري ، الذي كان ينفي ألوهية المسيح ، قد انتشر أيضاً لدى الاليريين .

(1) Stipcevic, p. 72.

(٢) المؤرخ الفلسطيني سوزومنوس Sozomenus يذكر في كتابه « التاريخ الكنسي » Historia Ecclesiatica أن القساوسة في المناطق الاليرية كانوا على مذهب آريوس . انظر :
Ilirët dhe Iliria te autorët antikë, ripotimi i Prishtinës, p. 365 .

وفيما بعد ، مع ظهور الاسلام وقيام الدولة العربية الاسلامية التي امتدت من أواسط اسيا الى شمال الاندلس ، تقدم العرب في اتجاه المناطق الألبانية . وكان العرب المسلمون قد نجحوا في فتح كريت وصقلية ، في النصف الاول للقرن التاسع ، وبذلك اقتربوا من مدخل البحر الادرياتيكي ، الذي كان يتيح لهم الوصول الى عمق أوربا . وقد سيطر العرب المسلمون لفترة من الزمن على هذا البحر ، وتمكنوا من تثبيت وضعهم في ايطاليا الجنوبية كما أسسوا امارة عربية حول مدينة باري على الساحل الغربي للأدرياتيكي ، ثم التفتوا اخيراً الى الساحل الشرقي حيث كان يعيش الألبانيون . ومع أن الاسطول العربي الاسلامي تمكن من عدة مدن على هذا الشاطىء ، الا انه اضطر الى التراجع بعد فشل الحصار الطويل على مدينة راغوزة (دوبروفنيك الحالية) سنة ٨٦٦ . وعلى الرغم من هذا التراجع ، بقي العرب المسلمون يعودون بأسطولهم الى هذا الشاطىء حتى بداية القرن الحادي عشر ، حين قاموا من صقلية بآخر هجوم على البوابة الغربية للبلقان[1] . ومع ان هذه البوابة بقيت مغلقة لثلاثة قرون اخرى ، الا ان الاسلام تمكن اخيراً من التغلغل في البلقان عبر بوابته الشرقية وذلك بواسطة العثمانيين ، الذين اقتحموا البلقان في النصف الثاني للقرن الرابع عشر . ومع هذا الانتشار العثماني تعرف الألبانيون لأول مرة على الاسلام في مناطقهم ، واخذوا في اعتناقه الى أن شمل غالبيتهم . وعلى الرغم من أن هذا الدين ربط بشكل غير مباشر الألبانيين بالعرب وثقافتهم ، الا ان الصلات الواسعة بين العرب والألبانيين تأخرت الى بداية القرن السادس عشر ، حين دخلت المناطق العربية في اطار الامبراطورية العثمانية ، مما جعل العرب والألبانيين يعيشون داخل دولة واحدة .

(1) Enciklopedija Jugoslavije, I, drugo izdanje, Zagreb 1980, p. 213 .

كان لانتشار الاسلام في صفوف الألبانيين تأثير حاسم ، وخاصة فيما يتعلق بتوطيد الصلات مع العرب والشرق . وقد لا يبدو هذا غريباً فيما لو أخذنا بعين الاعتبار أن الالبانيين هم الامة الوحيدة التي اعتنقت الاسلام بغالبيتها في البلقان . وقد كان من الطبيعي ان يؤدي هذا الى الانفصال الألبانيين عن الغرب الأوروبي وارتباطهم بالشرق العربي الاسلامي . فمع انتشار الاسلام في صفوف الألبانيين انتشرت اللغة العربية ايضاً ، الى حد أن هذه اللغة أصبحت لغة التعليم في المدارس القائمة في المناطق الألبانية ، بعد أن اخذت تحلّ محل اللغة التركية في هذه المدارس ابتداءً من القرن السادس عشر[1] ، وقد ادى هذا الى ارتباط خريجي هذه المدارس بمراكز الثقافة العربية الاسلامية ، كدمشق والقاهرة ، حيث كانوا يذهبون للتعمق في الثقافة العربية الاسلامية .

وقد دخلت الصلات العربية ـ الالبانية في طور جديد منذ القرن السادس عشر ، حين التقى العرب والالبانيون في اطار دولة واحدة هي الامبراطورية العثمانية . ويتميّز هذا الطور من الصلات العربية ـ الألبانية بحضور واسع للألبانيين في العالم العربي ، من الجزائر والى العراق . ويعود هذا الى أن العثمانيين ، الذين قاسوا كثيراً في البداية من مقاومة الألبانيين لهم ، وجدوا في هؤلاء الألبانيين الذين خُلقوا للسلاح والكفاح ما يبحثون عنه لتحقيق طموحاتهم الكبيرة في توسيع امبراطوريتهم[2] . ومن هنا نفهم سر اهتمام العثمانيين بنشر الاسلام في صفوف الألبانيين ، لكي تتحول طاقتهم

---

(1) Dr. Jashar Rexhepagiq, Zhvillimi i arësimit dhe i sistemit shkollor të kombësisë shqiptare në teritorin e Jugosllavisë së sotem deri në vitin 1918, Prishtinë 1970, p. 33 .

(2) Sami Frashëri, Shqipëria Ćka qenë ćështë e ćdo të bëhetë?, Prishtinë 1978, p. 33-34.

الكفاحية الكبيرة في اتجاه توسيع دائرة الاسلام في أوربا . وقد ادى هذا اللقاء العثماني ـ الألباني الى تزويد الجيش العثماني بدم حيوي جديد ، مما ساعده على التوجه شمالاً في اتجاه النمسا وجنوباً في اتجاه البلاد العربيـة . وخلال هذه الفترة القصيرة تحول الألبانيـون الى عنصر معروف ببأسه في بلدان حوض البحر الابيض المتوسط[١] .

وما يهمنا هنا أن الالبانيين أصبح لهم خلال هذه الفترة حضور واسع في الادارة العثمانيـة ، سواء كجنود أو كقادة وولاة وحتى كصدور عظام ، ومع انتشار الادارة العثمانية في البلاد العربية انتقل هذا الحضور الألباني الواسع الى العالم العربي ، مما ادى بدوره الى دخول الصلات العربية ـ الألبانية في أهم طور لها . وفي الحقيقة ، أن هذا الحضور الألباني في العالـم العـربي كان يختلف في وضعـه ودوره من حين الى آخر ، الا انه يمكـن رؤيته ومتابعته في ثلاثة اتجاهات مختلفة .

في البداية ، برز الحضور الألباني دفعة واحدة في القرن السادس عشر ، وفي وقت واحد تقريباً سواء في المشرق أو في المغرب العربي . وقد برز الألبانيـون اولاً كأمراء للبحر في مطلـع هذا القرن مقابـل شواطىء المغـرب العـربي ، الـذي كان وقتئذٍ تحت الاحتلال الاسباني . وكان من ابرز هؤلاء الامراء البحريين عروج وأخوته الثلاثة خير الدين واسحق والياس ، الذين تمكنوا من تكوين اسطول صغـير لهم مع نهوض حركـة القراصنة لدى الألبانيـين في ذلك الوقت[٢] . وقد لجأ اولاً حاكم بجاية الى عروج لمساعدته على طرد

(1) Dr. Milan Shufflay, Serbët dhe shqipfarët, Prishtinë 1968, p. 57.

(٢) حول تطور القرصنة الألبانية في ذلك الوقت راجع :

Gjergj Berisha, Kusaret e Ulqinit, Rilindja, Prishtinë 19. X-5. XI. 1973.

وحول عروج وأخوته انظر :

د. حسين مؤنس ، عالم الاسلام ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٥١١ .

الاسبانيين من هذه المدينة ولكنه فشل مرتين ، في ١٥١٢ و ١٥١٤ . ولم يؤثر هذا الاخفاق على شعبية عروج ، لأنه كان قد أقام علاقات وطيدة مع القبائل المجاورة وزوّدها بالحبوب في اوقات المجاعة ، الى أن تمكن اخيراً من طرد الاسبان من ميناء جيجل . وقد ازدادت شعبية عروج لدى السكان في باقي الجزائر الذين كانوا في « محنة عظيمة وذل شديد » ، كما يقول صاحب « الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين اغارت عليها الجنود الكافرة » ، مما دفعهم الى الاستنجاد به سنة ١٥١٦ . وقد استجاب عروج واخوته لهذه الدعوة وقاموا بهجوم مركز على القوات الاسبانية ، الى أن تمكنوا من طردها من الجزائر ومليانة وتلمسان . وبعد مصرع عروج على يد الاسبان ، سنة ١٥١٨ ، خلفه اخوه خير الدين الذي اعلن ولاءه للسلطان العثماني سليم الأول . وقد استمر خير الدين في الحكم حتى وفاته سنة ١٥٤٦ ، ثم حلّ محله ابنه حسن الى ان توفى سنة ١٥٥٢[١] .

وفي هذه الفترة ، سنة ١٥١٦ ، انهارت السلطة المملوكية في المشرق أمام تقدم العثمانيين ، الذين تابعوا طريقهم الى مصر حيث قضوا في ١٥١٧ على دولة المماليك . ومع استقرار الادارة العثمانية في العالم العربي أخذ الحضور الألباني يبدو بوضوح أكثر في البلاد العربية . وقد كان هذا الحضور في القرون الأولى يقوم على تواجد الجنود والعسكريين والاداريين والولاة لفترة طويلة أو قصيرة واحياناً

(١) كان عروج وخير الدين يريدان مغادرة الجزائر ، بعد ان تم لهما تحريرها من الاسبان ، الا ان الفقهاء والعلماء في الجزائر اجمعوا على مطالبتهم بالبقاء وكتبوا في ذلك عهداً مشهوراً . انظر حول هذا ، وحول مجمل هذه الفترة كما يراها المؤرخون الجزائريون ، المناقشات التي دارت في الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي ، والتي جاءت رداً على المؤرخ محمد عبد الله عنان لاستعماله تعبير « الاستعمار التركي » للجزائر ، المجلد الأول ، الجزائر ١٩٧٣ ، ص ١٤١ ـ ١٨٣ .

دائمة ، بالاضافة الى تواجد الطلاب وأتباع الطرق الصوفية والمشايخ والقضاة . وبشكل عام كان لهؤلاء الألبانيين ، الذين استقروا أو اندمجوا في المجتمع العربي ، دور بارز في الحياة المحلية في البلدان التي اقاموا فيها ، وخاصة في بلاد الشام ومصر وليبيا والجزائر . فبالاضافة الى الجنود ، الذين كانوا بالآلاف في كل بلد والذين اندمجوا بشكل ما في الحياة المحلية بسبب اقامتهم الطويلة او الدائمة ، كان هناك عشرات الولاة من الألبانيين ، الذين دخلوا التاريخ العربي بشكل أو بآخر .

ومن ابرز هؤلاء الولاة من القرن السادس عشر كان سنان باشا ، الذي يرتبط اسمه بالكثير من المنشآت العمرانية في سوريا والجزيرة العربية ومصر . وفي ايام مجده العسكري ، بعد عودته من اليمن ، كلّفه السلطان بقيادة القوات العثمانية لطرد الاسبانيين من تونس ، وقد تمّ له هذا بعد ان انتصر على الاسطول الاسباني في حلق الوادي سنة ١٥٧٣[1] . وفي القرن السابع عشر برز من الولاة الألبانيين في المشرق العربي أحمد باشا ، الذي قضى على « دولة » فخر الدين المعني في بلاد الشام سنة ١٦٣٤ ، ثم انتقل لصدّ الصفويين عن العراق ، حيث قتل هناك في احدى المعارك العنيفة[2] ، ويتميز القرن الثامن عشر بحضور أكبر للجنود الالبانيين في البلاد العربية ، الذين ساهموا في الدفاع عن هذه البلاد ضد الاعتداء الخارجي ، كما حدث في حملة نابليون بونابرت على مصر والشام .

---

(١) حول سنان باشا لدينا سيرة واسعة اعيد نشرها حديثاً :
قطب الدين محمد بن احمد النهراوالي المكي ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، الرياض ١٩٦٧ . (نشرها الاستاذ حمد الجاسر تحت عنوان « غزوات الجراكسة والاتراك في جنوب الجزيرة ») .

(٢) للتوسع حول هذه الشخصية انظر :
المحبي ، خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر ، الجزء الاول ، طبعة بيروت المصوّرة ١٩٦٦ ، ص ٣٨٥ .

ففيما يتعلق بمصر ، التي ازداد فيها عدد الألبانيين في النصف الثاني للقرن الثامن عشر ، يذكر لنا الجبرتي في تاريخه عن مشاركة « عدة وافرة من عساكر الارنؤد من دمياط » في معركة الاهرام الحاسمة للدفاع عن القاهرة أمام تقدم الجيش الفرنسي ، في ٢١ تموز ١٧٩٨ . وخلال حصار القاهرة تمكّن حوالي ٥٠٠ جندي الباني من اختراق الحصار والدخول الى القاهرة ، حيث « فرح الناس لقدومهم وضجّت العامة بحضورهم واشتدت قواهم . . . »[١] . وفيما بعد ، حين توجه نابليون الى الشام ، حاصر العريش في طريقه الى ان اضطر حاميتها للاستسلام ، وحين اتضّح له ان جنود الحامية من الألبانيين أطلق سراحهم على ان يعودوا الى بلادهم . الا ان هؤلاء الجنود ذهبوا الى غزة ، وبعد حصار غزة وقعوا في قبضة نابليون ثانية فأطلق سراحهم ايضاً على أن يكفوا عن قتاله ويعودوا الى بلادهم . الا ان هؤلاء ذهبوا الى يافا لمتابعة القتال بدلا من ان يعودوا الى بلادهم . ويشير المؤرخون ، كالأستاذ مانMAN وغيره ، الى ان حامية يافا كانت مؤلفة من أربعة آلاف جندي الباني ، وقد قاوم هؤلاء نابليون الى ان اضطروا للاستسلام مقابل تأمين حياتهم . الا ان نابليون أمر في ١٠ آذار ١٧٩٩ يقتل جميع هؤلاء الجنود الألبانيين وتركهم في العراء ، حتى بقيت اجسامهم طعاماً للطيور[٢] . ومن المعروف ان نصر نابليون تحول الى هزيمة أمام مدينة عكا بسبب هذه المجزرة لأن حامية عكا ، التي كان فيها بعض الألبانيين ايضاً ، استبسلت في الدفاع لكى تنجو من الكارثة التي حلت بحامية يافا .

وقد شهد القرن التاسع عشر تفتّحاً عربيا للحضور الألباني في

(١) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والاخبار ، ج ٣ ، بولاق ١٢٩٧ ، ص ٨ .

(٢) محمد كرد علي ، خطط الشام ، الجزء الثالث ، دمشق ١٩٢٥ ، ص ١٦ - ١٧ .

العالم العربي ، وذلك مع بروز محمد علي وابنه ابراهيم . ويبدو لنا ان محمد علي اراد ان يفعل شيئاً في البداية كمسلم متنور ، بعد ان اكتشف الوضع في مصر . فقد رأى بحكم تنوره وخبرته بالاوربيين أن الامبراطورية العثمانية اصبحت عاجزة عن الدفاع عن الشعوب الاسلامية التي تحكمها ازاء شهوة الاوربيين المتزايدة لثروات تلك الشعوب . وفي هذا يصدق وصف رفاعة الطهطاوي لمحمد علي بأنه اراد « تنبيه اعضاء ملة عظيمة تحسبهم ايقاظاً وهم رقود »[1] . وفي هذا الاتجاه اراد محمد علي ان يخلق دولة عصرية تكون في مستوى العصر الذي تنّور فيه ، بحيث تكون نموذجاً مقابلاً للامبراطورية العثمانية ، التي كانت قد تحولت في نظر الدول الأوربية الطامعة الى « رجل مريض » .

ومع هذا يبدو ان قناعات محمد علي كمسلم متنوّر ، التي دفعت به الى تشكيل دولة عصرية في مصر ، بدأت تتحول لتأخذ اطارا عربيا اوضح من السابق ، بعد مواجهة الدول الأوربية له في معركة نفارين . ففي خلال هذه الفترة ، التي امتدت حوالى عشرين عاماً ، كان محمد علي قد اصبح اكثر خبرة بالمحيط العربي ، وبدأ بالتالي يفكر في اتجاه جديد . ربما يمكن لنا ان نحدّد سنة ١٨٢٥ بداية لهذا الانعطاف في تفكير محمد علي[2] . ومما يؤكد هذا حديث بالغ الاهمية لمحمد علي مع الدبلوماسي الانكليزي ميمو ، قبل فتح سوريا ،

---

(١) البكباشي عبد الرحمن زكي ، حملة الشام الاولى والثانية ، في مجموعة « ابراهيم باشا ١٨٤٨ - ١٩٤٨ » ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢٨٥ .

(٢) في هذه السنة بعث الجنرال Beillard ، من البعثة العسكرية الفرنسية في مصر ، برسالة بالغة الاهمية الى حكومته حول حديث سري دار بينه وبين محمد علي . وفي هذه الرسالة يذكر الجنرال :

« قال محمد علي : أنا اعرف ان السلطنة تسير يوماً فيوماً الى الردى ، وانه ليصعب عليّ ان انتشلها مما هي فيه ، فلماذا أحاول المستحيل بوسائلي القليلة ؟ انني سأقيم على انقاضها مملكة =

حيث يتضّح فيه ان توجه محمد علي الى سوريا كان نتيجة لقناعاته الجديدة حول الارضية العربية للدولة القادمة . ففي هذا الحديث يعترف محمد علي بوضوح ان « الدولة العثمانية معرضة الآن لأزمة خطيرة من تلك الأزمات التي تقرر مستقبل الأمم . فهناك انشقاق وشيك الوقوع بين جزأين من الدولة ، تفصل أحدهما عن الآخر الأحداث والانظمة والضرورة واتجاه المصير . واذا ما تم هذا الانشقاق استقر كيان البلاد العربية »[1] . ومع هذه الرؤية الواضحة يمكن ان نتفهم قرار محمد علي بالتوجه الى سوريا ، وخاصة اذا تذكرنا ان ابراهيم باشا اجاب أثناء حصاره لمدينة عكا عن المدى الذي ستصل اليه فتوحاته فأجاب : « الى ذلك المدى الذي يتكلم الناس وأتفاهم معهم باللسان العربي[2] » . وقد طالب ابراهيم أباه فيما بعد بالتوجه غرباً لاستكمال الاطار القومي للدولة لجديدة ، وذلك بضم تونس وطرابلس الغرب ايضاً[3] .

وقد يتضح هنا الفرق بين محمد علي وابنه ابراهيم ، مع « ان كليهما كان يحلم بتكوين دولة عربية مستقلة » كما يقول لوتسكي[4] . فقد كان ابراهيم يتميز بحماسه الأوضح للعرب وللحضارة العربية ولاعادة بعث هذه الحضارة ، حتى كان يبدو كمبّشر بالقومية العربية

= كبيرة . انني استطيع ان افتح عكا ودمشق وبغداد ، وابني المنتصر سيتوجه في اقل من عام ليحقق مقاصدي على ضفاف دجلة والفرات لأنها حدود ثابتة للدولة التي أسعى الى انشائها » .

Correspondance des Genreaux Beillard et Boyer, Paris, p. 50

عن المصدر السابق ، ص ٢٩٣ .

(١) ر. قطاوي -ج. قطاوي ، محمد علي وأوربا ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٩٥

(٢) عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد علي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٢٤٧ .

(٣) من رسالة لابراهيم الى ابيه محمد علي في مجموعة « ابراهيم باشا . . . » ص ٢٥٨ .

(٤) لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، موسكو د. ت ، ص ١٣١ .

في معناها الحديث[1] . ويضيف لوتسكي الى هذا ان ابراهيم أحاط نفسه بالناس الذين كانوا يشاطرونه في افكاره ويعملون على بثها بين السكان ، مع « ان الاوضاع لم تكن قد اختمرت بعد لتوحيد الأمة العربية[2] » .

وعلى كل حال ، فإن هذا التوجه العربي لابراهيم باشا يبدو بوضوح على الواقع خلال اقامته الطويلة في سوريا ١٨٣٣ - ١٨٤٠ . فقد حاول ابراهيم قبل كل شيء ، كما يقول لوتسكي ، تحويل سوريا الى قاعدة لـ « الامبراطورية العربية القادمة » . ومن اهم الاعمال التي قام بها ابراهيم باشا انشاء المدارس الابتدائية في جميع انحاء سوريا ، والمدارس الثانوية في دمشق وحلب وانطاكية ، حيث كان التعليم يجري باللغة العربية . والأهم من هذا أن كلوت بك ، مدير هذه المدارس ، كان قد تلقى تعليمات خاصة لـ « غرس الوعي القومي العربي الأصيل في قلوب الطلاب[3] » . وبالاضافة الى هذا ، كان مفهوم القومية العربية عند ابراهيم مرتبط برؤية علمانية ، تقوم على المساواة التامة بين العرب من مسلمين ومسيحيين ، وقد ادى تطبيقه لهذه المساواة في سوريا الى استياء بعض

---

(١) يبدو هذا بوضوح في تقرير مثير للكونت بولكومت ، مبعوث وزارة الخارجية الفرنسية للشرق ، يعود تاريخه الى سنة ١٨٣٣ :

« ابراهيم باشا يجاهر علناً بأنه ينوي احياء القومية العربية واعطاء العرب حقوقهم ، وأن يجعل منهم شعباً مستقلاً . . . وتتجلى فكرته هذه في منشوراته ومخاطبته لجنوده اذ كان دوما يذكرهم بمفاخر الامة العربية وبمجدها الماضي . . . وهو في صلاته مع اهل البلاد يستخدم اللغة العربية ويعد نفسه عربياً . . . وقد لاحظ ذلك أحد جنوده وسأله فأجابه : أنا لست تركياً ، فأني جئت مصر صبياً ، وقد مصرتني شمسها وغيرت من دمي وجعلته دماً عربياً . . . »

انظر النص الكامل للتقرير لدى الرافعي ، عصر محمد علي ، ص ٢٤٧ .

(٢) لوتسكي ، تاريخ الاقطار . . . ، ص ١٣٢

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

المشايخ لأنه عاملهم دون « امتياز ولا فرق بينهم وبين الرعية[1] » .

وقد كان لإقامة ابراهيم باشا تأثير واضح على العراق المجاور ايضاً . فقد كشف المؤرخ د. محمد أنيس في دراسة له منذ سنوات عن الوفود العراقية التي قدمت على ابراهيم باشا في سوريا لتطالبه بالزحف على العراق لضمّه الى امبراطورية ابيه العربية[2] . الا ان هذا النهوض للدولة العربية الطموحة ادى الى استنفار أوربا بكل تناقضاتها للقضاء على هذه الدولة . فدول أوربا كما يقول أحمد عبد المعطي حجازي ، لم تجتمع على شيء في القرن الماضي كما اجتمعت على تدمير دولة محمد علي . ولو كان ذكاؤها قد خانها او لم تسعفها الظروف ، وافلتت منها فرصة تدمير هذه الدولة لتغيّر تاريخ العرب ، بل لتغير تاريخ العالم كله[3] . وعلى كل حال ، يبقى هذا التوجه العربي المبكر عند محمد علي وابراهيم ظاهرة في ذاتها ، وخاصة في بروزها السابق لأوانه كما يتناوله د. فيليب حتي . ففي كتابه « تاريخ العرب » يعترف حتي بأن محمد علي كان يحلم بانشاء امبراطورية عربية ، الا ان هذا جاء قبل ان يكون ابناء العربية على شيء من الوعي القومي او الاستعداد للانضمام الى جامعة شاملة[4] .

وما يهمنا هنا أن هذا التوجّه الطموح ، الذي قاده محمد علي وابراهيم ، قد شارك به عشرات الالوف من الجنود الألبانيين ، من الذين كانوا قد قدموا قبل محمد علي أو من الذين جاؤوا بعده . وقد سقط معظم هؤلاء في الحروب والمعارك التي دارت في مصر والسودان والحجاز وسوريا ، بينما استقر قسم من الذين بقوا على قيد الحياة في

(١) ميخائيل مشاقة ، مشهد العيان بحوادث مصر والشام ، القاهرة ١٩٠٨ ، ص ١٠٣ .
(٢) أحمد عبد المعطي حجازي ، رؤية حضارية وطبقية لعروبة مصر - دراسة ووثائق ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٣ .
(٤) د. فيليب حتي ، العرب - تاريخ موجز ، الطبعة الخامسة ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٧١

المحيط العربي . وكان مشروع محمد علي وابراهيم قد انتهى في معاهدة لندن ١٨٤٠ الى التسليم باستمرار حكم عائلة محمد علي في مصر ، حيث استمرت هذه العائلة حتى سنة ١٩٥٢ . وقد ادى هذا الى انحسار الحضور الالباني في العالم العربي ليتمركز في مصر ، التي استقبلت خلال النصف الثاني للقرن التاسع عشر موجة كبيرة من المهاجرين الألبانيين ، الذين هاجروا من البانيا لاسباب اقتصادية . ومع هذه الهجرة تكونت ونمت في مصر أكبر جالية البانية في العالم العربي[1] .

وفي مصر نهض الأدب الألباني الحديث ، الذي كان يحتلّ مكانة مهمة في خارطة الأدب الألباني في بداية القرن العشرين . وفي الواقع ، ان المؤثرات المصرية في هذا الأدب تعبّر عن جانب مهم ، الا وهو مدى التواصل مع المحيط المصري ، الذي كان يؤدي الى نقد لا يرحم ضد رأس العائلة الألبانية الحاكمة . ففي هذا الاتجاه نرى شاعراً كـ انطون زاكو تشايوبي Andon Zako Çajupi (١٨٦٦ - ١٩٣٠) ، الذي يعتبر من اكبر الشعراء في الأدب الألباني الحديث ، لا يتورع كأي مصري عن السخرية من الخديوي توفيق في احدى قصائده :

هنا لدينا امراء وباشوات
وبكوات أكثر من الحمير
لديهم من الثروات مالا يعلمون
وغالبية الناس في جوع !
وفوق الجميع لدينا افندي
يسيّر البلد بأوامر الانكليز[2] .

(1) Muhamed Mufaku, Shqiptarët e Egjiptit, Rilindja, Prishtinë 27. VIII - 4. IX. 1979.

(٢) للتوسع حول هذا انظر :
محمد موفاكو ، مؤثرات مصرية في الأدب الألباني الحديث ، العربي ، عدد ٢٧٦ ، الكويت ١٩٨١ .

ويدل هذا بوضوح على ان بعض الأدباء الألبانيين في مصر ، - على عكس ما قد يتوقع القارىء - كانوا يتعاملون مع العائلة الألبانية الحاكمة بعواطف مصرية نشأت لديهم مع إقامتهم الطويلة في مصر . وينبغي ألا تفوتنا الاشارة هنا إلى أن بعض أفراد هذه الجالية الألبانية انصهروا أكثر من غيرهم في المحيط المصري ، مما جعلهم يكتبون في اللغة العربية فقط . وقد تحول بعض هؤلاء إلى اسماء معروفة في الأدب المصري الحديث كأحمد رامي (١) ومحمد عبد المعطي الهمشري(٢) .

مع النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، ومع نمو المشاعر القومية لدى العرب والألبانيين ، بدأ يبرز جانب جديد في الصلات العربية - الألبانية . ففي هذه الفترة بدأ يظهر في الأفق نوع من التفهّم المتبادل بين العرب والألبانيين ، الذي كان ينبع من كفاحهم المشترك في سبيل الحقوق القومية ، التي تطورت على أساسها الحركة القومية لدى الشعبين . وحول هذا التحول نجد أفضل دليل في موقف الصحافة العربية في ذلك الوقت . ففي البداية يلاحظ المرء غياباً واضحاً للألبانيين ولكفاحهم القومي في هذه الصحافة ، الشيء الذي استمرّ حتى أواخر العقد السابع من القرن التاسع عشر ، حين يبرز اهتمام كبير بالألبانيين ابتداءً من سنة ١٨٧٨ . ولا شك في أن وراء هذا الانعطاف تقف « رابطة بريزرن » (١٨٧٨ - ١٨٨١) ، التي كانت

---

(١) حول أحمد رامي وعائلته انظر :

محمد موفاكو ، صفحة مجهولة في حياة الشاعر أحمد رامي « العربي » ، عدد ٢٦٠ ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ٤٠ - ٤٢ .

(٢) صالح جودت ، م ع . الهمشري ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١٤ .

في مقدمة الكتاب يكتب صالح جودت : « لو جرت الأمور مجراها الطبيعي ، لكان الهمشري شاعراً أعجمياً ولعاش على الشاطىء الآخر من البحر الابيض ، ليضيف إلى أدب تلك الدولة الصغيرة ألبانيا لا للأدب العربي ، ما خلّف من تراث زكي ! » .

وراء أول انتفاضة ألبانية للمطالبة بالحقوق القومية . وقد تركت هذه الحركة المسلحة للألبانيين صدىً لا بأس به في الصحافة العربية في ذلك الوقت ، وخاصة في المصرية منها ك « الاهرام » و « مصر » و « الوقائع المصرية » ، حيث لدينا تغطية جيدة لتلك الحركة المسلحة التي ادت إلى شرخ كبير في الأساس التركي ـ الألباني .

وبالاضافة الى هذه الجرائد ، فقد تابعت مجلة « الجنان » اللبنانية بشكل جيد الكفاح القومي للألبانيين في تلك الفترة . وتحت تأثير هذا النهوض القومي الألباني ، قامت هذه المجلة خلال عام ١٨٨٤ بنشر كتاب فاسو باشا Pashko Vasa المعروف « البانيا والألبانيون » وذلك على حلقات متتالية . وربما كان وراء هذا أيضاً وجود المؤلف كحاكم على جبــل لبنان خلال سنوات ١٨٨٣ ـ ١٨٩٢ ، حيــث قام باصلاحات كثيرة خلال فترته (١) . ولا شك في أن نشر هذا الكتاب كان يتضّمن أهمية خاصة ، لأنه قدّم لأول مرة للعرب واقع الألبانيين وتاريخهم .

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، ومع تطور الاندفاع القومي ، ازداد ارتباط العرب بالألبانيين وذلك بسبب الوعي للمصير المشترك الذي يربطهما . وأفضل ما يدلّ على هذا انتفاضات اليمن وانعكاساتها في المناطق الألبانية . ففي ١٩٠٤ قامت في اليمن انتفاضة جديدة ضد السلطة العثمانية ، وعمدت السلطة العثمانية كعادتها إلى إرسال الجنود والضباط الألبانيين لسحق هذه الانتفاضة ، وذلك من خلال اثارة النعرة الطائفية بين الألبانيين السنة واليمنيين الشيعة (٢) . ولقطع الطريــق على السلـطة العثمانيـة ، وجه زعماء

(1) Vehbi Bala, Pashko Vasa, Tiranë 1979, p. 173 - 181

وانظر أيضا حول هذه الشخصية :

لحد خاطر ، عهد المتصرّفين في لبنان ، منشورات الجامعة اللبنانية ، ص ١٣٨ ـ ١٥٠ .

(2) G. Ll. Arsh - G. Senkevic - N. D. Smirnova, Historia e shkurtër e Shqipërisë, Prishtinë 1967, p. 141.

الانتفاضة في اليمن في بداية ١٩٠٥ دعوة إلى الألبانيين لكي يتخلّوا عن الخدمة في الجيش العثماني ولكي يكافحوا بدورهم في سبيل تحرّرهم القومي . وقد نشرت حينئذٍ الجريدة الألبانية « دريتا » Drita هذه الدعوة ، وناشدت بدورها الضباط والجنود الألبانيين التخلّي عن الخدمة في الجيش العثماني . وقد حدث فعلاً في ربيع ١٩٠٥ ان انسحبت جماعات من الضباط والجنود الألبانيين من الجيش العثماني في اليمن ، والتحقت بصفوف الانتفاضة اليمنية [٢] .

ومن ناحية أخرى، في ذلك الوقت الذي نمت فيه بشكل خاص الحركة القومية الألبانية في ولاية كوسوفا Kosova ، نجد شكلاً للتأثيرات المتبادلة . وفي هذا الاتجاه لدينا مثال هام يتعلق بالمفكر المعروف ساطع الحصري ، الذي يعتبره البعض « أبا القومية العربية » . فقد جاء الحصري الى هذه المنطقة ، ولاية كوسوفا ، سنة ١٩٠٤ بعواطف عثمانية وعاد منها سنة ١٩٠٨ بعواطف أخرى أهّلته للعب دور كبير في التنظير للقومية العربية . ففي هذه الولاية ، التي كان فيها (قائمقاما) ، وجد نفسه في منطقة تشتعل بالحماس القومي ، كما رأى على الطبيعة وضعاً جديداً يقوم فيه (الألباني) بمقاومة مسلحة للمسلم الآخر (التركي) بسبب لا يتعلق بالدين وإنما لدافع آخر هو القومية . وكان من الطبيعي أن يثير هذا الوضع تساؤلات كثيرة لدى الحصري ، مما أدى الى يقظة المشاعر القومية التي كانت خافية في نفسه . وقد أكد الحصري فيما بعد تأثير هذه الاقامة في البلقان على شخصيته ، حين اعترف بتعرّفه « لأول مرة على الحقيقة القومية في

= وللتوسع حول هذا انظر :

محمد موفاكو ، صلات نضالية بين اليمن وألبانيا في مطلع القرن العشرين ، « العربي » عدد ٢٦٣ ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ٥٤ - ٥٧ .

(2) Ibid.

أوربا » خلال اقامته في هذاه الولاية [1] . وتجدر الاشارة هنا الى أن الحصري قد انخرط هنا في العمل الثوري الذي أدى إلى انقلاب سنة ١٩٠٨ . ويبقى علينا أن نضيف هنا إلى أن الحصري ترك لنا في كتابه المعروف . محاضرات في نشوء الفكرة القومية قسماً خاصاً تناول فيه الحركة القومية الألبانية ، نظرا للأهمية التي قد يفترضها المرء في هذه الحركة التي كانت تقدم نموذجا للعرب لكونها قامت لدى شعب بأغلبية مسلمة للانفصال عن امبراطورية تحكم باسم الاسلام [2] .

في تلك الفترة أيضاً ، في مطلع القرن العشرين ، يطالعنا جانب جديد في الصلات العربية ـ الألبانية ، الا وهو التعاون الحزبي بين الطرفين في سبيل الاصلاحات والحقوق القومية لكل طرف في إطار الامبراطورية العثمانية . ففي هذا الاتجاه برز سنة ١٩٠٨ حزب « الاحرار » الذي اسّسه وقاده النائب الألباني في البرلمان العثماني اسماعيل كمال Ismial Qemali . وفي هذا الحزب نجد من العرب نافع باشا (حلب) ، مهدي بك (كربلاء) ، شفيق المؤيد (دير الزور) ، شكري العسلي (دمشق) ، ومن الألبانيين حسن بريشتينا Hasan Prishtina وغيره . وبعد سنة واحدة ، في ١٩٠٩ ، أعيد تنظيم هذا الحزب باسم جديد هو « الاحرار العصريون » ، تحت قيادة اسماعيل كمال ايضاً ! إلا أنه تابع خطه القديم ورفع هذه المرة شعار « الحكم الذاتي القومي » [3] .

---

(١) محمد عيسى ، القومية العربية في فكر ساطع الحصري ، « الفكر المعاصر » عدد ٢٦ ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٣٧ .

(٢) ساطع الحصري ، محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ١٠٩-١١٣ .

(٣) راجع مذكرات مؤسس هذا الحزب ، التي تعتبر مصدراً مهماً لتلك الفترة :

- the Memoirs of Ismal Kemal Bey, London 1920
- Ismail Qemali, Kujtimet, Toronto 1968

وفي نفس السنة تأسس حزب آخر للمعارضة ؛ ألا وهو « الحزب الديمقراطي العثماني » ، من قبل الألباني ابراهيم تيمو Temo Ibrahim [1]. وقد افتتح هذا الحزب فرعاً له في مدينة حلب ، وأصدر جريدة ناطقة باسمه « الاهالي » . وفيما يتعلّق بخطّ هذا الحزب ، فقد كافح في سبيل إشاعة الديمقراطية ، وحماية الحقوق القومية لكل شعب ، بما في ذلك حق التعلّم باللغة القومية لكل شعب [2] . وفيما بعد ، في سنة ١٩١١ ، تأسّس في استنبول حزب معارض آخر باسم « الحرية والائتلاف » ، الذي شارك فيه بنشاط العرب والألبانيون . فمن العرب برز فيه رياض الصلح (بيروت) ، داود افندي (حلب) ، سعيد بك (القدس) ، وغيرهم ، ومن الجانب الالباني كان هناك حسن بريشتينا (بريشتينا) وعزيز باشا (بيرات) الخ [3] . وقد كان لهذا الحزب ، الذي رفع شعار « البلاد العربية للعرب » ، صلات وطيدة مع زعماء الحركة القومية الألبانية وتوصّل في نهاية ١٩١١ الى نفوذ كبير في البرلمان العثماني [4] .

وخلال هذه الفترة تشابكت الاهتمامات العربية ـ الألبانية بصورة أوضح في استنبول . وحول هذا تجد خبراً في جريدة « المقتبس » السورية يشير إلى قرب صدور جريدة يومية عربية ـ ألبانية تحت اسم « خطاب » . وكانت هذه الجريدة ، كما تضيف « المقتبس » ، ستصدر برأسمال مشترك عربي ـ ألباني يبلغ أربعة آلاف ليرة ، قام

---

(١) ابراهيم تيمو (١٨٦٥ ـ ١٩٤٥) كان وراء تأسيس جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٨٨٩ في استنبول ، وقام فيما بعد بممارسة نشاط سياسي كبير في الحركة القومية الألبانية .

(2) Stavro Skendi , the Albani an National Awaking, New Jersey 1967, p. 401 .

(٣) حول هذه الاحزاب السياسية انظر :

H. Tynaya, Tukiyede siyasi partiler, Istanbul 1952

(4) Skendi, The Albanian ..., p.401.

بدفعها بعض النواب العرب والألبانيين من المعارضة [1] . وتجدر الاشارة هنا إلى أن « الحزب العربي » في استنبول كانت له اهتمامات ألبانية أيضاً . ففي لقاء لجريدة « المقتبس » مع أحد ممثلي هذا الحزب نجد أن هذا الممثّل يطالب أيضاً بأن يكون التعليم في المناطق الألبانية باللغة الألبانية [2] .

إلا أن هذا الكفاح البرلماني العربي ـ الألباني في سبيل الحقوق القومية لم يثمر شيئا ، وذلك بسبب الموقف الشوفيني لجمعية « الاتحاد والترقي » . وقد اندلعت في هذه الظروف انتفاضة جديدة في اليمن ، وحاولت السلطة العثمانية كعادتها أن تسحق هذه الانتفاضة بواسطة الجنود الألبانيين ، إلا أنها جوبهت هذه المرة بمعارضة من الضباط الألبانيين أيضا . وفي الجانب الألباني عمدت السلطة العثمانية إلى اتخاذ اجراءات حاسمة لمواجهة الحركة القومية الألبانية ، لأن الانتفاضة الألبانية الكبيرة في كوسوفا Kosova أدت الى بروز مدّ جديد للحركة التحررية في المناطق العربية [3] . ففي اليمن ، على سبيل المثال ، كان لوصول الأخبار القائلة برفض الألبانيين الخضوع للسلطة العثمانية أثرها الفوري في قيام هبّة جديدة للانتفاضة اليمنية . وقد كانت جمعية « الاتحاد والترقي » واعية للخطر الذي تمثّله الانتفاضة الألبانية ، في الوقت الذي كانت تستعر فيه الانتفاضة اليمنية . ولذلك ، فقد أرسلت الجمعية مجموعة من رسلها الى المناطق الألبانية لكي يقنعوا الألبانيين بوقف انتفاضتهم والذهاب الى اليمن لسحق الانتفاضة هناك ، وذلك من خلال تأجيج المشاعر الطائفية السنية ـ الشيعية . إلا أن هذا التحريض لم يؤد إلى

(١) « المقتبس » عدد ٨ آذار ١٩١١ .

(٢) « المقتبس » عدد ٢٠ نيسان ١٩١١ .

(3) G. Ll . Arsh , Historia ..., p. 158

شيء ، سوى الاخفاق [1] .

وخلال هذه الفترة ، في تشرين الأول ١٩١٢ ، كانت الاستعدادات قد بدأت للحرب البلقانية الاولى ، التي تابعتها الصحافة العربية باهتمام كبير . فقد نشرت جريدة « المقتبس » السورية . « دعوة من كوسوفا » موجهة إلى السوريين ، ومؤكدة على أنها « مستعجلة ومهمة » . وفي هذه الدعوة يستعرض الألبانيون في كوسوفا الاستعدادات القائمة للحرب ، ويطلبون المساعدة من أخوانهم السوريين . وفي نفس العدد نجد جوابا على هذه الدعوة ، موقعاً من حاكم دمشق محمد عطا . وفي هذا الجواب يشدّد محمد عطا على أن السوريين لن يوفّروا النقطة الاخيرة من دمهم للكفاح جنباً الى جنب مع أخوانهم الألبانيين [2] . وفي أعداد لاحقة من هذه الجريدة نجد أخباراً كثيرة عن المظاهرات التي كانت تعمّ شوارع دمشق وعن المتطوعين الراغبين بالمشاركة في الحرب .

في هذه الظروف ، في تشرين الثاني ١٩١٢ ، تم اعلان الاستقلال الألباني واستقبل هذا باهتمام كبير في الصحافة العربية . وقد ترك هذا الاستقلال تأثيراً على الحركة القومية العربية ، نظراً لتشابه الظروف التي كان يعيش فيها العرب والألبانيون . ومع هذا تجدر الاشارة هنا إلى أن بعض الصحف العربية ، الموالية لاستنبول ، حاولت أن تستغل هذا الاستقلال بشكل معاكس ، وذلك بالتركيز على « سقوط نصف مليون مسلم قتيل » أثناء حرب البلقان بسبب رغبة الألبانيين بالاستقلال ، وذلك بهدف تحويل العرب عن مشاعرهم القومية للارتباط أكثر بالرابطة العثمانية [3] . وقد يكون في

---

(1) Zekeria Cana, Lëvizja Kombëtare Shqiptare në Kosovë 1908 - 1912 , Prishtinë 1979 , p. 156 - 157 .

(٢) المقتبس ، عدد ٧ تشرين الأول ١٩١٢ .

(٣) د. احسان عسكر ، نشأة الصحافة السورية ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١٦١ .

هذا شيء من الصحة ، لان الحركة القومية لدى العرب والألبانيين بدأت بطموحات كبيرة للوصول إلى استقلال قومي عن الامبراطورية العثمانية وإلى تشكيل الدولة القومية . إلا أن هذه الحركة سقطت ضحية القوى الاستعمارية ، التي كانت تقوم بتغذية هذه الحركة بالسلاح لخدمة مصالحها في إضعاف الطرفين ، (العرب والعثمانيين من جهة أو الألبانيين والعثمانيين من جهة أخرى) لتتمكن من السيطرة على كل الاطراف [١] . ومما يؤكد هذا تسارع القوى الاستعمارية إلى اقتسام المناطق العربية والألبانية عقب « تحريرها » من العثمانيين ، مما أدى إلى بروز « شبح دولة » عوضاً عن « الدولة القومية الكبرى » التي كانت تطمح بها الحركة القومية العربية - الألبانية . وفي الواقع ، لقد أدى هذا إلى انفجار ردّة عند الألبانيين المسلمين طالبت بالعودة إلى الرابطة العثمانية والى الارتباط بالشرق . وقد حدث هذا لأن الألبانيين كانوا يرون أن وجود كل المناطق الألبانية في إطار الرابطة العثمانية أفضل من « استقلال قومي » يقوم على جزء من هذه المناطق ويترك بقية المناطق للآخرين [٢] .

أُعلن الاستقلال الألباني في ٢٨ من تشرين الثاني ١٩١٢ في رقعة صغيرة حول مدينة فلورا Vlora ، نظراً لأن بقية المناطق كانت قد سقطت تحت الاحتلال العسكري للدول المجاورة نتيجة لحرب البلقان الأولى ، وقد بقي الاستقلال متأرجحاً ، وسط تناقضات الدول الأوروبية الكبرى ، إلى أن اعترفت هذه الدول في ٢٩ تموز ١٩١٣ باستقلال محدود لألبانيا كـ « إمارة محايدة تحت رقابة الدول الكبرى » . وكان قد صاحب هذا خلاف طويل بين الدول الأوربية

(١) حول الخصوصية الشديدة ، التي تربط بين الحركة القومية لدى العرب والألبانيين ، يعمل كاتب هذه السطور الآن على إنجاز كتاب بعنوان « دراسات في الحركة القومية العربية - الألبانية » .

(2) Abas Ermenji, Albania, në Mërgim 1968 , pp. 324-355 .

الكبرى حول تخطيط حدود ألبانيا ، إلى أن تم الاتفاق على تحجيم ألبانيا ضمن ٢٨ ألف كيلو متر مربع فقط اشتملت على أقل من ٨٠٠ ألف ألباني (١) ، بينما بقي القسم الأكبر في المناطق التي ضُمت للدول المجاورة (٢) . وفي غضون هذا ، حينما أثيرت مشكلة عرش الأمارة ، كان من أبرز المرشحين الأمير أحمد فؤاد من مصر ، الذي كان يتمتع بمؤهلات نادرة تُرضي الجميع كأصله الألباني ونشأته الشرقية الاسلامية وثقافته الأوربية (٣) . إلا أن الدول الأوربية قررت أخيراً في تشرين الثاني ١٩١٣ تنصيب النبيل الألماني فيلهلم فوت فيد W. V. Wied أميراً على ألبانيا ، في الوقت الذي كان فيه المجتمع الألباني مهيئا لاستقبال أمير مسلم (٤) . وقد تطور هذا الموقف إلى انتفاضة ضد الأمير الألماني ، فاضطر إلى مغادرة ألبانيا في أول ايلول ١٩١٤ .

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى تعرضت ألبانيا للاحتلال من عدة أطراف مجاورة . وفي معاهدة لندن السرية ، بين روسيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا ، تم الاتفاق على تقسيم ألبانيا بين ايطاليا وصربيًا والجبل الاسود واليونان مع الاحتفاظ بدولة ألبانية صغيرة تحت النفوذ الايطالي ، وذلك لدفع ايطاليا إلى اعلان الحرب ضد دول الوسط . وفيما بعد قامت النمسا باحتلال معظم ألبانيا واستمر احتلالها إلى نهاية الحرب تقريبا . وقد بقي مصير ألبانيا معلّقاً خلال مساومات مؤتمر السلام في

---

(1) Kristo Fresheri, The History of Albania, Tirana 1964 , p. 183 .

(٢) حسب احصائيات ١٩١٣ كان عدد الألبانيين في المناطق التي ضُمّت إلى مملكة صربيا فقط يصل إلى ٨٣٨٨٦٣ ألباني ، على حين أن عدد الألبانيين في المناطق التي ضُمت إلى الجبل الأسود واليونان لم تشمله هذه الاحصاءات ، انظر :

Dr. Hakif Bajrami, Rretanat shoqërore dhe politike në Kosovë më 1918 - 1941 , Prishtinë 1981 , p. 11. .

(3) Stavro Skendi, The Albanian National . Awaking , New Jersey 1967 , p. 317 .

(4) Grup autorësh, Historia e popullit shqiptar 11, ribotim i Prishtinës 1979, p. 398 .

باريس إلى أن التأم مؤتمر قومي ألباني في كانون الثاني ١٩٢٠ وتمكن من السيطرة على الوضع ، وفي نهاية ١٩٢٠ تأكـد استقلال ألبانيـا وانضمت الى عصبة الأمم . وكـان قد نتج عن هذا المؤتمر القومي تشكيل مجلس أعلى للرئاسة من أربعة ممثلين للطوائف الدينية في ألبانيا (الاسلام ، البكتاشية ، الكاثوليكية والارذودكسية) . ومنذ البداية ، وتحت تأثير الظروف المعقّدة ، لم تعلن الدولة الألبانية الاسلام ديناً رسمياً لها مع ان غالبية السكان كانت من المسلمين [١] .

ومـع بداية ١٩٢٥ أعلنـت الجمهـورية في ألبـانيا برئاسـة احمـد زوغو ، الذي اعلن نفسه في ١٩٢٨ « ملك الألبانيين » وخلال هذه الفترة الجمهورية ـ الملكية ١٩٢٥ ـ ١٩٣٩ سقطت البانيا بالتدريج تحت النفوذ الاقتصادي والعسكري والسياسي ، نتيجـة للاتفـاقيات التي عقدها الرئيس ـ الملك أحمد زوغو لتعزيز وضعه ، الى ان قامت ايطاليا اخـيراً باحتلالهـا العسـكري لألبـانيا في ٧ نيسـان ١٩٣٩ . وأعقب هذا دمج البانيا بايطاليا وتقديم تاج البانيا الى ملك ايطـاليا فيكتور عمانوئيل الثالث . وقد قوبـل هذا الاحتـلال الفـاشي لبلـد صغير كألبانيا بصمت مثير في أوربا ، حتى ان عصبة الامم تصرفت وكأن شيئاً لم يحدث ، بينما جاءت ردّة الفعل الفريدة في البلاد العربية حيث اندلعت المظاهرات في الجزائر وسوريا وغيرهما ، احتجاجاً على العدوان الفاشي الايطالي وتضامناً مع الشعب الألباني [٢] . وقد تميز

---

(1) Lec Shllaku, ' Feja ' në ststuret themeltar te shtetit shqiptar, Koha jonë, Paris, p. 28 .

في سنة ١٩٢٧ كان عدد سكان البانيا ٨٣٣,٥١٩ ، ومن هؤلاء كان ٥٦٣٧٢٩ من المسلمين ، و ١٨١٠٥١ من الارذودكس و ٨٨٧٣٩ من الكاثوليك . انظر :

T. Selenica, Shqipria më 1927, Tiranë 1928, pp. CXLI-CXLVI.

أما الآن فقد وصل عدد سكان البانيا الى حوالي ثلاثة ملايين ، بينما وصل عدد الالبانيين في يوغسلافيا الى ما يقارب المليونين .

(2) Grup autorësh, Historia e popullit ..., p. 659.

العهد الايطالي باعادة الحاق المناطق التي يسكنها الألبانيون في يوغسلافيا ، منطقة كوسوفا ومكدونيا الغربية وجنوب الجبل الاسود ، الى البانيا مما ادى الى جمع شمل غالبية الألبانيين في اطار واحد . ومع سقوط موسوليني قامت الجيوش الألمانية بالسيطرة على البانيا في خريف ١٩٤٣ . وقد صاحب هذا فصل البانيا عن ايطاليا واعلانها « دولة مستقلة » ذات سيادة » تحت السيطرة الألمانية . وخلال هذه الفترة كانت قد تطورت في البانيا حركة مقاومة ، تحت قيادة الحزب الشيوعي الألباني ، لتحرير البانيا من الاحتلال الألماني . وقد تمكنت هذه الحركة من السيطرة على الوضع في البلاد في تشرين الثاني ١٩٤٤ . ومع تحرير البلاد عادت البانيا الى حدودها السابقة من ٢٨ الف كم٢ ، بينما عادت بقية المناطق الى يوغسلافيا[1] . وقد استمرت البانيا الحديثة تحت القيادة الماركسية بتبنّي الوضع السابق للدولة الألبانية ، القائم على فصل الدين عن الدولة ، الى سنة ١٩٦٧ حين اعلنت الغاء مؤسسات الدين[2] .

في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي شهدت استقلال الدول العربية ، وخاصة في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات ، تطورت الصلات وتوسّعت بين البانيا على اعتبارها الدولة الأم للألبانيين وبين الدول العربية ، فأقيمت العلاقات الدبلوماسية مع سوريا والعراق والجزائر ولبنان والكويت ، بينما كانت أول سفارة البانية قد افتتحت في نهاية العشرينيات في القاهرة . وفي بداية السبعينيات ، خرج البانيو يوغسلافيا من عزلتهم الطويلة ، التي

(١) بعد شهر العسل الألباني ـ اليوغسلافي ، خلال « حرب التحرير » وحتى ١٩٤٨ ، توترت العلاقات كثيراً بين البلدين بسبب هذه المناطق ، وخاصة بعد الأحداث التي جرت في هذه المناطق في ربيع ١٩٨١ .

(٢) للتوسع حول هذا الموضوع انظر :
محمد موفاكو ، الدين والمسألة الدينية في ألبانيا ، مجلة « العربي » الكويت ١٩٧٨ .

كانت مفروضة عليهم ، وتمكنوا من اقامة صلات مباشرة مع عدة دول عربية وخاصة مع سوريا وليبيا ، حيث يعمل عدة آلاف من الالبانيين في قطاعي الصحة والبناء .

كان لهذه الصلات المتنوعة والطويلة بين العرب والالبانيين أثرها في تعميق التواصل العربي ـ الألباني ، وخاصة بالنسبة للألبانيين الذين حافظوا على عواطفهم العربية بالرغم من الظروف الصعبة التي مرت عليهم . فحتى الآن لدينا في الجانب الألباني « هوس » الاهتام بكل ما يجري في العالم العربي ، مما يبدو بوضوح في الأدب الألباني المعاصر سواء في البانيا أو في يوغسلافيا . فمع اندلاع الثورة الجزائرية مثلاً ، نجد ان الهموم الجزائرية انتقلت الى الألبانيين الى درجة ان برز « شعر جزائري » في اللغة الألبانية ، حيث تدفق سيل شعري الى ان نالت الجزائر استقلالها ، مع ان بعض الشعراء بقي يكتب عن هذه الثورة حتى سنة ١٩٦٩ . وقد تكرّر هذا ويتكرر مع الثورة الفلسطينية ، إذ إن فلسطين غطّت على اي موضوع آخر في الشعر الألباني واصبحت موضوعاً صميماً [١] . ومن الناحية الاخرى ، قد نجد من العرب من يعرف شيئاً عن الألبانيين سواء في البانيا او يوغسلافيا[٢] ، مع ان الكثير من العرب قد لا يعرف ان المناطق الألبانية هى اكبر جيب للحضارة العربية الاسلامية في أوربا .

---

(١) للتوسع حول هذا راجع :
محمد موفاكو ، فلسطين الألبانية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ١٩٧٩ .

(٢) يعود الفضل الى مجلة « العربي » الكويتية (عدد كانون الأول ١٩٨١) في تعريف العرب بوضع الألبانيين في يوغسلافيا ، وذلك بنشر تحقيق واسع تناول تاريخ وواقع هؤلاء الألبانيين .

الفصل الثاني

اللغة الألبانية بين التشرّق والتغرّب

مع ان الالبانيين يعتبرون من اقدم الشعوب في البلقان ، وفي أوربا بشكل عام ، نجد أن اللغة الألبانية لا تتمتع بذلك التراث الذي يفترضه المرء . فمن اللغة الإليرية ، لغة اجداد الألبانيين ، لم يتم العثور على أية نصوص حتى الآن . وفيما يتعلق باللغة الألبانية الحالية لدينا أول اشارة ذات مغزى حول هذه اللغة وابجديتها في تقرير لأحد القساوسة الكاثوليك في سنة ١٣٣٢ ، حيث يذكر أن « الألبانيين يتمتّعون بلغة تختلف تماماً عن لغة الأمم الكاثوليكية ، الا انهم يستخدمون الحروف اللاتينية في كتبهم[١] » . ومع هذا هناك من العلماء من يشكّ في وجود ابجدية لاتينية للغة الألبانية وفي وجود كتب البانية في هذه الابجدية . وفي الواقع ان أول جملة البانية مكتوبة في الابجدية اللاتينية هي « صيغة التعميد » المسيحية اللاتينية التي تتألف من تسع كلمات والتي لايوجد اختلاف على اقدميتها وتاريخ كتابتها ، اذ انها تعود الى سنة ١٤٦٢[٢] . وبعد هذه الجملة لدينا انقطاع طويل يمتدّ الى قرن من الزمن ، أي الى سنة ١٥٥٥ على وجه التقريب . ففي هذه السنة ، كما يسلّم العلماء الآن ، صدر كتاب للقس الألباني جون بوزوكو Gjon Bozuku بعنوان « كتاب الصلاة » ، الذي ما زال يعتبر الى الآن أول كتاب مطبوع في اللغة الألبانية . وقد جاء نشر هذا الكتاب في لحظة انعطاف كبير في اللغة الألبانية ، مع بداية تعرّب هذه اللغة . ونقصد هنا بهذا « التعرّب » الظواهر الثلاثة التالية التي لحقت باللغة الألبانية حتى القرن

(1) Dhimitër S. Shuteriqi, Shkrimet shqipe në vitit 1332 - 1850, Prishtinë 1978, p. 27

(2) Ibid., p. 34

العشرين :

١ ـ تشبّع اللغة الألبانية بالمفردات العربية .
٢ ـ التحول نحو كتابة اللغة الألبانية بالحروف العربية .
٣ ـ اضافة بعض الحروف التي ترمز للأصوات العربية الأصيلة الى اللغة الألبانية .

وقد جاء هذا التعرب في بداية الأمر نتيجة لاحتكاك الألبانيين بالاتراك وباللغة التركية ، التي كانت تحمل بدورها الكثير من المؤثرات العربية ، وذلك مع استقرار الادارة العثمانية في المناطق الألبانية منذ القرن الخامس عشر . وفيما بعد ، أصبح للألبانيين احتكاك مباشر باللغة العربية ، سواء عن طريق المدارس التي انتشرت في مناطقهم ، أوعن طريق صلاتهم بالعرب ، التي تعرّضنا اليها في الفصل الأول . ومن الواضح ان لانتشار الدين الاسلامي في صفوف الألبانيين الدور الأساسي في هذه المسيرة التي لحقت باللغة الألبانية . فمع بداية انتشار الاسلام في المناطق الألبانية اخذت اللغة العربية في الانتشار أيضاً بفضل المدارس الجديدة ، التي كانت تشمل مدارس الصبية (الكتاتيب) والمدارس الثانوية أو العليا . وقد انتشرت المدارس الابتدائية ، أو الكتاتيب ، في المدن الرئيسية أولاً ، ثم شملت المدن الاخرى وحتى القرى الصغيرة ، في حالة وجود مسجد أو جامع فيها . وفي القرى الصغيرة الأخرى ، التي كانت تفتقد الى وجود مسجد أو جامع ، كان يأتي المعلمون من حين الى آخر لتعليم الاطفال[1] . وفي هذه المدارس كان التعليم ينصبّ على اللغة العربية قراءة وكتابة بالاضافة الى صرفها ونحوها للتمكّن من

(1) Dr. Jashar Rexhepagiq, Zhvillimi i arësimit dhe i sistemit shkollor të kombësisë shqiptare në teritorin e Jugosllavisë së stome deri në vitin 1918, Prishtinë 1970, p. 33

القرآن الكريم . وتجدر الاشارة هنا الى ان هذه المواد كان يجرى تعليمها في البداية عبر اللغة التركية ، الا ان اللغة العربية اخذت تحلّ محلّها كلغة تدريس منذ القرن السادس عشر[1] . وعلى اعتبار ان كل مدرسة من هذه كانت ترتبط بوجود مسجد أو جامع . فقد ارتفع عدد هذه المدارس باستمرار ، مع انتشار الاسلام ، الى ان وصل عددها الى عدة مئات في المناطق الألبانية .

والى جانب هذه المدارس الابتدائية كان للمدارس الاخرى ، التي تعادل الآن المدارس الثانوية أو العليا ، دور أكبر في تعميق اللغة العربية في صفوف الألبانيين . ففي هذه المدارس كان الطلاب يتعمّقون أكثر في اللغة العربية لوجود المواد الأصولية كـ « علم اللغة » و « علم العروض » و « علم البلاغة » والقواعد المفصّلة الخ ، بالاضافة الى المواد الاساسية الأخرى كـ « التفسير » و « العقائد » و « الفقه » الخ[2] . ولدينا ما يشير الى ان غالبية النصوص التي كانت تُدرّس بها هذه المواد ، كانت أيضاً في اللغة العربية . ففي القرون الأولى للادارة العثمانية كانت اللغة العربية تعتبر أكثر تفوّقاً ، حتى على اللغة التركية[3] . وقد بدأت هذه المدارس في البروز منذ القرن الخامس عشر على الأقل ، اذ لدينا ما يشير الى ان أول مدرسة من هذا النوع هي مدرسة اسحق بك في مدينة سكوبيه Skopje ، التي أنشئت سنة ١٤٤٠ ، والتي أصبحت فيما بعد من أشهر المدارس في البلقان[4] . وقد ازداد عدد هذه

---

(1) Ibid.

(2) Dr. Hasan Kaleši, Najstariji vakufski dokumenti u Jugoslaviji na arapskom jeziku, Priština 1972, p. 23

(3) Rexhepagiq, Zhvillimi ..., p. 39

(4) Kaleši, Najstariji ..., p. 90

المدارس باستمرار في المناطق الألبانية ، الى ان وصل عددها الى ما يقارب المائتين ، مما كان يشكّل أرضية واسعة للغة العربية في هذه المناطق . وبالاضافة الى هذا ، كان العديد من خريجي هذه المدارس يتابعون دراساتهم في مراكز الثقافة العربية ، كما في القاهرة ودمشق وبغداد . وقد ادى كلّ هذا ، فيما لو تجاوزنا تأثير اللغة العربية على اللغة الألبانية ، الى انعطاف جديد يتمثّل في تحول الألبانيين للكتابة في اللغة العربية ، اذ لدينا عدة مئات من العلماء الألبانيين الذين تركوا لنا تراثاً مكتوباً في اللغة العربية في مختلف الحقول . ويكفى ان نشير هنا الى بروز العديد من الشعراء الألبانيين ، الذين كتبوا الشعر باللغة العربية وبالأوزان الخليلية ، مما يدلّ على مدى سيطرة الألبانيين على اللغة العربية في ذلك الوقت[1] .

وفيما يتعلق بالمؤثرات العربية في اللغة الألبانية نجد أن المفردات العربية بدأت في الانتشار في صفوف الألبانيين في وقت مبكر ، منذ القرن الخامس عشر على الأقل . وفي هذا الاتجاه ، يبدو أن أول كلمة عربية دخلت في صفوف الألبانيين كانت كلمة خراج haraq ، اذ انها وردت في رسالة من الزعيم الألباني ، اسكندر بك Skënderbeu الى الفونس الرابع ملك نابولي سنة ١٤٥١[2] . وتدل هذه الكلمة على ان المفردات العربية الأولى التي دخلت الى اللغة الألبانية كانت تتصل بالمجال العسكري . فمن هذا المجال اكتسبت اللغة الألبانية بعض المفردات العربية الاخرى مثل عسكر asqer و قلعة kala الخ . وقد يكون هذا من الامور الطبيعية ، وذلك لأن الاحتكاك الأول بين الألبانيين والاتراك كان في ميدان القتال .

(١) لدينا نماذج من هذا الشعر في :
محمد موفاكو - نعمة الله حافظ ، الحاج عمر لطفي بشاريزي ١٨٦٩ - ١٩٢٩ ، مجلة « العربي » عدد ٢٤٢ ، الكويت كانون الثاني ١٩٧٩ ، ص ١٣٥ .

(2) Eqrem Cabej, Studime gjuhësore, vëll. III, Prishtinë 1976, p. 277

ومع استقرار الادارة العثمانية في المناطق الألبانية بدأت تدخل في اللغة الألبانية مفردات جديدة تتعلق بالادارة مثل سلطان sultan ، وزير vezir ، حكومة Hyqymet ، ادارة idare ، قاضي kadi ، محكمة mehqemet ، كاتب qatib ، رعية raje الخ .

وفي القرن السادس عشر بدأ تطور المدن الألبانية يتضّح على نحو شرقي غير مألوف للمحيط البلقاني . فقد برزت المنشآت الجديدة في هذه المدن مع مسمياتها العربية التي دخلت اللغة الألبانية كالمسجد mesxhid ، والجامع xhami ، والحمام hamam ، والعمارة imaret ، والمحلات (ج محلة mahallë) الخ .

ومع انتشار المدارس في هذه المدن دخل الى اللغة الألبانية سيل من الكلمات العربية المتعلّقة بالتعليم كالمدير mydir ، والمدرس muderriz ، والمعلم mualim ، والمُفسر mufasir ، والطلبة talebe ، والكتاب qitab ، والدفتر defter والقلم kalem ، بالاضافة الى اسماء المواد التي كانت تُدّرس كالحديث hadith ، والعقائد akaid والفقه fikh والوعظ vaiz والفرائض faraiz الخ .

وفي هذه المدن تطورت الحياة الاقتصادية مع نمو الحرف الجديدة zanat ، التي اشتهرت باسمائها العربية ايضاً كالخياط hajat ، والدباغ debag ، والقصّاب kasap والخبّاز habbaz ، والسرّاج sarac ، والعطّار attar ، والحّلاج hallac ، والجرّاح xherrah الخ[1] ، ويُقصد بـ « الجراح » هنا ذلك الرجل الذي كان يقوم بتطهير الأولاد في ذلك الوقت . ومع هذا دخلت الى البيوت الألبانية اشياء جديدة

(1) Selami Pulaha, Qytetet e rrafshit të Dukagjinit dhe të Kosovës gjatë gjysmës së dytë shek. XVI në dritën e të dhënave të reja të regjistrimeve kadastrale osmane, Gjurmime albanolo-gjike-Seria e shkencave historike, IX-1979, Prishtinë 1980, p. 17-19

كالصابون sapun والسجادة sexhade و (القهوة) -kahva,kafe الخ ، بالاضافة الى الملابس العربية كالجُبة xhybe والفترية antarije ، والدلامة dilame ، والطاقية takije الخ[1] .

ومع انتشار الدين الاسلامي في صفوف الألبانيين، الذي وصل الى ذروته في القرن السابع عشر ، انفتحت اللغة الألبانية امام موجة كبيرة من المفردات العربية التي تتعلق بالدين مثل الله allah ، رب rab ، إمام iman ، مؤذن muzin ، جنة xhent ، جهنم xhehenem ، دنيا dunja ، آخرة ahiret ، حلال hallal ، حرام haram ، مكروه makruh ، مباح mubah الخ .

كما دخلت مع هذا التحيات العربية مثل : مرحبا marhaba ، السلام عليكم selamalejqum ، وعليكم السلام alejqumselam . ومع انتشار التصوّف tasuvuf والطرق الصوفية tarikat في صفوف الألبانيين أصبحت الكتابات الألبانية الصوفية تعتمد أساساً على التعابير الصوفية العربية مثل نور nur ، حق hak ، ظهور zuhur ، ولاية vilajet ، جمال xhemal ، مرّبي murabi الخ . وقد كان لانتشار الاسلام تأثير كبير في مجال آخر . فقد استقبلت اللغة الألبانية عدة مئات من الأسماء العربية ، التي اصبحت تميز الألبانيين المسلمين عن غيرهم ، مثل محمد Muhamet ، وعلي Ali وفاطمة Fatime وخديجة Hatixhe ، ومصطفى Mustafe ، وحسن Hasan ، وشعبان Shaban ، ورجب Rexhep الخ[2] .

---

(١) حول هذا انظر ايضاً :

محمد موفاكو ، اللغة العربية في اللغة الالبانية ، مجلة « المعرفة » ، عدد ١٨٧ ، دمشق كانون الأول ١٩٧٦ ، ص ١٧٣ - ١٨٣ .

(2) Muhamed Mufaku, Emrat arabë në gjuhën shqipe-dikur e sot, kumtesë në Simpoziiumin shkencor ' Probleme aktuale të kulturës së gjuhës shqipe, Prishtinë 15-17. XII. 1980 .

وفيما لو تجاوزنا تأثير الدين ، نجد ان اللغة الالبانية قد انفتحت ايضاً لتستقبل مئات المفردات العربية ، التي ليست لها علاقة مباشرة بالدين . ومع هذه الموجة الكبيرة جاءت المفردات لتُغني اللغة الألبانية في مجالات شتى ، سواء فيما يتعلق بالمعاني المحسوسة او غير المحسوسة . ويبدو هذا بوضوح فيما لو تناولنا أي حرف من حروف اللغة الألبانية . ففي حرف الياء ، على سبيل المثال ، نجد حوالي مئة مفردة ، بينما نجد في حرف الميم حوالي ٢٠٠ من مختلف المجالات مثل معدن maden ، مغرور magrup ، ماهر mahir ، محزون mahzun ، مخلوق mahluk ، محصولات mahsulat ، مقصد maksat ، مأمور mamur ، معنى mana ، معرفة marifet ، مصرف masraf ، مصلحة maslahat ، معطوف matuf ، ملك malek ، مملكة mamlaqet ، مسألة masale ، مُصيبة musibet ، مُشتري myshtari الخ .

ونتيجة لهذا اصبحت المفردات العربية أساسية في اللغة الألبانية ، وحتى في الكتابات الألبانية إلى درجة ان هذه الكتابات لا يمكن أن تُفهم في بعض الأحيان لمن لا يعرف اللغة العربية . فالى جانب المفردات العربية نجد في هذه الكتابات عبارات عربية كاملة . وكمثال على هذا نذكر هنا مقطوعة شعرية لأحد الشعراء الألبانيين من القرن التاسع عشر ، محرّم محزوني Muharrem Mahzuni (ت ١٨٦٧) ، حيث يبدو بوضوح مدى التأثير الذي لحق باللغة الألبانية :

لولا المربّي ،	Levla murabi -
كما قال السلطان	The ay sultan -
لما عرفت ربّي	Lema areftu Rabbi
الرسول الرحمن (١)	Resuli Rahman

(1) Baba Rexhepi , Misticizma islame dhe Bektashizma , New York 1970 ,P . 274 - 275 .

ومع أن هذا المقطع الشعري لا يتألف إلا من عشر كلمات ، نجد أن ثماني منها هي عربية ، وهي تشتمل على الاسماء وتستعمل أداة الشرط العربية (لولا) والفعل في صيغته العربية (عرفتُ) .

ولقد استمر انفتاح اللغة الألبانية امام المؤثرات العربية لعدة قرون ، حتى القرن التاسع عشر ، حين وصل الانفتاح الى ذروته مع تعمق الدين الاسلامي والثقافة العربية الاسلامية في صفوف الألبانيين . وتجدر الاشارة هنا الى أن هذه المؤثرات العربية قد شملت اللغة الألبانية ككل في هذا القرن ، بحيث ان هذه المؤثرات لم تعد محصورة لدى المسلمين الذين يشكّلون غالبية الألبانيين ، بل امتدت لتشمل ايضاً لغة الألبانيين المسيحيين . . ومما يؤكّد هذا ان المفردات العربية كانت واضحة في اعمال الشعراء الكاثوليك من الألبانيين ، كما في أشعار بيتر زاريشي Pjetër Zarishi ، وحتى في كتابات القساوسة الكاثوليك كما لدى إنجيل رادويا Engjëll Radoja وباشكو بابي Pashko Babi وغيرهم[1] .

ومع هذا نجد في القرن التاسع عشر ، مع نهوض القومية الألبانية ، بداية بروز تيار قومي يدعو الى تطهير اللغة الألبانية من المؤثرات الأجنبية ، ومن بينها المؤثرات العربية بطبيعة الحال . وقد ارتبط هذا الموضوع في ذلك الحين مع دعوة التيار القومي الى الاتفاق على أبجدية للغة الألبانية ، الشيء الذي تحول الى صراع سياسي ـ كما سنرى فيما بعد بين من يمكن ان ندعوهم بالمتشرقين ومن يمكن ان نسميهم المتغربين . وقد يكون من المهم ان نشير هنا الى أن الموقف من المؤثرات العربية قد تميز على نحو مثير في صفوف الأدباء الألبانيين في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . فقد قاد بعض الأدباء من الألبانيين المسلمين ، كشاعر النهضة القومية الألبانية

(1) Shaban Demiraj , Historia e gjuhës Së Shkruar Shqipe , Prishtinë 1970 , P .53 .

نعيم فراشري Naim Frashëri (١٨٤٦ - ١٩٠٠) ، لواء الدعوة الى تطهير اللغة الألبانيةالى أقصى حدّ ممكن من المفردات العـربية.ومـن المثير أن الموقف الآخر ، الذي كان يرى أن اللغة الألبانية لا يمكن ان تستغنـي عن المفردات العربية لكي لا تفقد قوتها التعبيرية،كان يقوده ادباء من صفـوف الألبـانيين المسيحيين كـ فان نولي Noli Fan (١٨٨٢ - ١٩٦٥) وجيرج فيشتا Gjergj Fishta (١٨٧١ - ١٩٤٠).[1]

وقد جاء اعلان الاستقلال في البانيا (١٩١٢) ليسجّل انتصاراً للاتجاه القومي المتغـرب ، الـذي كان همّـه الانفصـال عن الشرق « المتخلّف » واللحاق بالغرب « المتقدم » وفي اطار هذا الاتجـاه بدأ العمل على تطهير اللغة الألبانية من المؤثرات العربية وذلك باستبدال مفردات غربية بالمفردات العربية . ومع أن هذا الموقف توصّـل الى تصفية نسبة كبيرة من المفردات العربية في اللغة الألبانية الفصحى ، إلا أن غالبية هذه المفردات استمرت الى الآن ، في اللهجة الشعبية ، وبخاصة لدى الألبانيين في يوغسلافيا .

وفيا يتعلق بالجانب الآخر لتعرّب اللغة الألبانية ، الذي يتنـاول تحوّل الألبانيين الى كتابة لغتهـم بالحـروف العـربية ، نرى ان هذا الجانب قد ارتبط بدوره بشـكل وثيق بانتشـار الاسـلام في صفـوف الألبانيين . وفي الواقع ان موضوع الأبجدية لدى الألبانيين بشـكل عام قد ارتبط بالدين ، بأيّ دين ، وبأدبيات هذا الدين وأبجديته . ففي المرحلة التي سبقت انتشار الاسلام لدى الألبانيين ، كان الشعب الألباني منقسماً على نفسه بين الانتماء الكاثوليكي في الشمال والانتماء الأرذودكسي في الجنوب . وقد أدى هذا الانقسام الديني الى انقسام

(1) Anton Kraja . Hymja e turqizmeve në gjuhën Shqipe dhe përpjekjet për Zëvendësimin e tyre , Studime filologjike nr , I , Tiranë 1965 , P150 .

ثقافي مع مرور الزمن . فقد كان الألبانيون الأرذودكس في الجنوب تحت تأثير الثقافة اليونانية ، التي كانت تمتصّهم ثقافياً وقومياً لتحولهم الى يونانيين في النهاية . وحين حاول بعض المثقفين الألبانيين من هؤلاء الكتابة باللغة الألبانية جاءت كتابتهم بالأبجدية اليونانية ، مما جعل كتاباتهم محصورة في الدائرة الارذودكسية فقط .(١) وفي مقابل هذا ، كان الألبانيون الكاثوليك تحت تأثير روما والثقافة اللاتينية ، ولذلك اعتمد المثقفون في هذه الدائرة على الأبجدية اللاتينية التي اشتهرت بمرور الزمن باسم « الأبجدية الكاثوليكية » .(٢) وكنا قد أشرنا سابقا الى أن أول كتاب طبع في اللغة الألبانية كان « كتاب الصلاة » للقس الألباني الكاثوليكي جون بوزوكو ، الذي طبع حوالي ١٥٥٥ في روما بالأبجدية اللاتينية .

ومع انتشار الاسلام في صفوف الألبانيين ، الذي وصل الى ذروته في القرن السابع عشر حين اصبحت غالبية الألبانيين في اطار الدين الجديد ، نلاحظ تراجعاً كبيراً في الكتابة سواء بالأبجدية اليونانية او بالأبجدية الكاثوليكية . وكان من الطبيعي ان يؤدي تعمق الدين الاسلامي وامتصاص الألبانيين للثقافة العربية الاسلامية الى بروز اتجاه جديد في الكتابة في الشكل والمضمون . وقد بدأت هذه المسيرة ببطء منذ القرن الخامس عشر ، ثم اشتدت في القرن السادس عشر الى أن طغت في القرن السابع عشر ، حين اخذ الألبانيون في تمثّل الثقافة العربية الاسلامية وفي المشاركة في هذه الثقافة ، التي اصبحوا جزءاً منها . وفي هذا الاتجاه لم يكن من المستغرب ان يتحوّل المثقفون الألبانيون الى الكتابة في اللغة الألبانية بالحروف العربية ، إذ إن هذا الشيء نجده ايضا لدى الشعوب المجاورة في البلقان، التي دخل

(1) Hasan Kaleši , Prilog Poznvanju arbanske Književnosti iz vremena preporoda , Godišinjak I .Balkanološkog Instituta , Sarajevo 1956 , P .353 .

(2) Stavro Skendi , Historia e abecesë Shqipe , Albania vëll. I, 1962, P.355.

قسم منها في الاسلام مما ادى الى بروز كتابات يونانية وسلافية جنوبية (بوسنوية) وبولونية وبلغارية ومجرية بالحروف العربية .[1]

وقد أدى هذا التحول الجديد لدى الألبانيين الى بروز واستمرار ثلاث ابجديات أساسية للغة الألبانية ، لأن الأقلية الأرذودكسية في الجنوب بقيت على ولائها للأبجدية اليونانية كما ان الأقلية الكاثوليكية في الشمال استمرت على تقاليدها في الكتابة بالحروف اللاتينية بينما تحولت الغالبية الى الحروف العربية والى الكتابة من اليمين الى اليسار .

ويبدو ان التحول للكتابة في اللغة الألبانية بالحروف العربية قد بدأ في القرن السابع عشر[2] ، مع أن الآخرين يتركون هذا للقرن الثامن عشر . ولا شك في أن الأبحاث الجارية قد تضيف جديداً حول هذا الموضوع ، لأن عملية البحث عن المخطوطات الألبانية المكتوبة بالحروف العربية لم تنته ، بل انها لم تبدأ حتى الآن في بعض المناطق . وفي ضوء نتائج الأبحاث التي تمت الى الآن ، يبدو ان اقدم النصوص الألبانية المكتوبة بالحروف العربية تعود الى مطلع القرن الثامن عشر ، وبالتحديد الى سنة ١٧٢٥ . فمن هذه السنة لدينا قصيدة شعرية حول القهوة ، وتتألف هذه القصيدة من (١٧) مقطعاً ، وفي المقطع الأخير نجد اسم صاحب القصيدة موتشي زاده MuÇi Zade والسنة التي كتب فيها هذه القصيدة (١١٣٧ هجرية) . وفي المقطع الرابع عشر لدينا اشارة مهمة تفيد أن الشاعر كتب هذه

(1) Smail Balić , Kultura bŏsnjaka , Wien 1973 , P .59 .

(٢) إلى هذا الرأي يميل الباحث المعروف عثمان مدرّسي ، الذي يسلم بامكانية العثور على كتابات ألبانية بالحروف العربية من القرن السابع عشر . انظر :

Osman Myderrizi . Tekstet me të vjetra Shqip me alfabetin arab , Konferenca e studimeve albanologjike , Tiranë 1965 , P .291

القصيدة في شيخوخته[1] ، مما يؤكد الاحتمال بأن الكتابة الألبانية بالحروف العربية قد سبقت ذلك التاريخ .

ويتميز القرن الثامن عشر بانتشار الكتابة الألبانية بالحروف العربية في كل المناطق الألبانية ، من الشمال الى الجنوب . ومع هذا يبقى لهذا القرن ميزة اخرى على جانب كبير من الأهمية ، وذلك لأن هذا القرن قد شهد في اطار الكتابة بالحروف العربية ، بروز حركة شعرية تشكل علامة مضيئة في تاريخ الأدب الألباني ومن اهم رموز هذا النتاج الشعري المكتوب بالحروف العربية لدينا ابراهيم نظيمي Ibrahim Nezimi ، اسماعيل باشا فلابيشي Ismail Pashë Velabishi سليمان نائبي Suleiman Naibi ، حسين دوبراتشي Hysein Dobraci حسن زيكو كامبيري Hasan Zyko Kamberi ، حسين شكودرا Hysein Shkidra صالي باتا Sali Pata وغيرهم . وبالاضافة الى هذا ، اتّسعت دائرة الكتابة الألبانية بالحروف العربية في هذا القرن لتشمل اهتمامات اخرى للمثقفين الألبانيين . ففي هذا القرن قام الشاعر ابراهيم نظيمي بمحاولة رائدة ، ألا وهي وضع قاموس شعري ألباني ـ تركي . وبعد هذه المحاولة ترجم مسلم هوجا Myslim Hoxha قاموساً فارسياً ـ تركياً يعود الى سنة ١٥٠٢ .[2]

ونلاحظ في القرن التاسع عشر أن الكتابة الألبانية بالحروف العربية بلغت اقصى انتشار لها ، سواء من حيث الامتداد الجغرافي او من حيث اتساع دائرة المواضيع . ففي هذا القرن نرى استمراراً لابداعات الحركة الشعرية التي بدأت في القرن الماضي ، اذ لدينا في هذا القرن اهم الأعمال الشعرية في الأدب الألباني للشاعر محمد تشامي Muhamad Çami وغيره . وبالاضافة الى هذا برز في هذا

(1) Shuteriqi , Shkrimet ... , P .105 - 106 .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٣ .

القرن تيار شعري طويل النفس تطغى عليه المؤثرات العربية الاسلامية ، مما حمل في طياته اضافة جديدة للأدب الألباني ومن أهم الأعمال الشعرية لهذا التيار ملحمة « الحديقة » للشاعر داليب فراشري Dalib Frashëri ، التي تتألف من ٦٥ ألف بيت ، والتي تُعتبر أول ملحمة في تاريخ الأدب الألباني .⁽¹⁾ ويدور موضوع هذه الملحمة حول معركة كربلاء المعروفة . وحول هذا الموضوع لدينا ملحمة شعرية اخرى في اللغة الألبانية بالحروف العربية ، ألا وهي « مختار نامه » للشاعر شاهين فراشري Shahin Frashëri ، التي تتألف من ثلاثة عشر الف بيت تقريباً .⁽²⁾

وفي هذا القرن لدينا في اللغة الألبانية بالحروف العربية تراث شعري يستلهم سيرة النبي محمد عليه السلام . فقد تنافس الشعراء الألبانيون في هذا القرن في ابداع الأعمال الشعرية بالأوزان العربية لكي تُنشد في ذكرى المولد النبوي . وبشكل عام ، كانت هذه الأعمال الشعرية تشتمل على عدة مئات من الأبيات، وتختلف بالطبع من شاعر الى آخر . ويعتبر الشاعر حسن زيكو كامبيري H . Z . Kamberi أول من كتب في هذا الموضوع ، منذ أواخر القرن الثامن عشر . ومع ان هذا العمل الشعري كان معروفاً في ذلك الوقت الا انه بقي مخطوطاً حتى الآن ، بل أننا لا نعرف عنه إلا نسخة وحيدة محفوظة الآن في مركز الدولة للوثائق في تيرانا⁽³⁾ وبعد هذه المحاولة الرائدة اشتهر عدة شعراء في القرن التاسع عشر بأعمالهم الشعرية التي تستلهم السيرة النبوية . ومن هؤلاء الشعراء لدينا في هذا القرن

(1) Grup autorësh , Historia e Letërsisë Shqipe , Prishtinë 1975 , P .226 .

(٢) للتوسع حول هذا انظر :

محمد موفاكو ، كربلاء في الأدب الألباني ، مجلة « المعرفة » عدد ٢١٣ ، دمشق تشرين الثاني ١٩٧٩ ، ص ٨٨ - ١١١ .

(3) Shuteriqi, Shkrimet ..., P. 272.

عبدالله كونيسبولي Abudllah Konispoli ، اسماعيل فلوتشي Floqi Ismail ، وماجي تشيتشكويا Haxhi Çickoja . وبالاضافة الى هؤلاء قام بعض الشعراء الألبانيين بترجمة المولد الذي نظمه الشاعر التركي سليمان شلبي ، والذي حظي بشهرة واسعة في العالم الاسلامي ، مع بعض التعديلات التي اضافوها من عندهم . ومن هذا لدينا مولد في اللغة الألبانية بالحروف العربية للشاعر طاهر بوبوفا Tahir Popova ، الذي نشره سنة ١٨٧٣ في استنبول بعنوان « منظومة المولود في افضل الموجود بلسان الأرناؤوط » ، ثم اعيد نشره في عدة مرات فيما بعد . واهمية هذا العمل تكمن في أنه أول كتاب شعري يطبع في اللغة الألبانية بالحروف العربية ، لأن الأعمال الشعرية السابقة بقيت مخطوطة حتى هذا التاريخ . وبعد عدة سنوات قام شاعر ألباني آخر ، الحافظ علي أولشيناكو H . Ali Ulqinaku ، بنشر ترجمة اخرى بعنوان عربي « ترجمة المولود على لسان الأرناؤوط » . وقد نشر هذا العمل الشعري ، الذي نُظم على بحر الرمل ايضاً ، في استنبول سنة ١٨٧٩ ، ثم أعيد طبعه بعد ذلك عدة مرات .[١]

وبالاضافة الى هذا ، لدينا في القرن التاسع عشر بداية الترجمات من اللغة العربية الى اللغة الألبانية بالحروف العربية . ففي مجال الشعر قام الشاعر الألباني المعروف في هذا القرن محمد تشامي Gami M. بترجمة الأشعار العربية الى اللغة الألبانية بالحروف العربية . ولعل من أشهر ترجماته الشعرية قصيدة « البردة » للبوصيري ، التي لا تزال مخطوطة الى الآن والى جانب هذا لدينا في هذه الفترة في اللغة الألبانية بالحروف العربية ترجمات لكتابات دينية عن اللغة

---

(١) صدرت آخر طبعة لهذا العمل في مدينة تيتوغراد ، عاصمة جمهورية الجبل الأسود في يوغسلافيا سنة ١٩٧٥ . وقد صدرت هذه الطبعة بعنوان جديد « المولد الشريف » Sherif Mevludi وبالأبجدية اللاتينية .

العربية .[1]

وعلى الرغم من هذا الانتشار والامتداد للكتابات الألبانية في الحروف العربية ، فقد بقيت هذه الكتابات دون نظام أبجدي موحّد يعتمد عليه الجميع ، مما كان يؤدي الى بروز اختلافات في بعض الحروف . ويبدو ان هذا قد دفع بعض المثقفين الى وضع نظام أبجدي للغة الألبانية التي كانت تكتب بالحروف العربية . وفي هذا الاتجاه قام الشاعر شميمي شكودرا Shemimi Shkodra بأول محاولة لتحديد أبجدية للغة الألبانية على أساس الحروف العربية . ففي مقدمة قاموسه الشعري الألباني ـ التركي ، الذي انتهى منه سنة ١٨٣٥ ، ترك لنا الأبجدية التي استعملها لكتابة اللغة الألبانية في قاموسه . وتقوم هذه الأبجدية التي وضعها هذا الشاعر على خمسة وأربعين حرفاً .[2] وقد يبدو هذا الرقم كبيراً فيا لو عرفنا أن الأبجدية الحالية للغة الألبانية تعتمد على ستة وثلاثين حرفاً فقط . وهذا الفارق يعود الى وجود بعض الصوامت العربية (ض ، ط ، ظ ،ع ، ص ، ح ، خ) التي اضافها الشاعر لأبجديته بسبب وجود المفردات العربية المستعملة حينذاك في اللغة الألبانية والتي تحتوي على هذه الصوامت . وفي الواقع ان هذه الأضافة ترمز الى تأثير المفردات العربية داخل اللغة الألبانية التي حملت معها الأصوات العربية الصميمة الى اللغة الألبانية في ذلك الوقت .

وبعد هذه المحاولة اهتم شاعر آخر ، داود بوريتشي Daud Borigi بهذا الموضوع ونشر في استنبول سنة ١٨٦١ أول كتاب أبجدي للغة الألبانية ، التي أعيد نشرها في استنبول أيضاً سنة ١٨٦٩ . والأهم من هذا ان صاحب هذه الأبجدية وضع عدة كتب قراءة لتسهيل تعلّم

(1) Shuteriqi , Shkrimet..., P. 224

(2) Ibid . , P . 209 .

اللغة الألبانية بالأبجدية العربية .[١] وفي الواقع ان هذه الأبجدية تتمتّع بأهمية خاصة ، نظراً لخبرة ومكانة صاحبها في ذلك الحين . فقد كان صاحب هذه الأبجدية أستاذاً ومفتشاً للتعليم في مدينة شكودرا Shkodra ، مما يعني ان عمله في وضع الأبجدية كان نتيجة لخبرته في التعليم ، ولمعرفته باللغتين الألبانية والعربية . وبالاضافة الى هذا ، كان صاحب هذه الأبجدية من الشخصيات القومية المعروفة في الشمال الألباني ، وخاصة خلال فترة الانتفاضة القومية ١٨٧٨ - ١٨٨١ ، التي كانت تطالب بالحكم الذاتي للألبانيين .[٢] وأهمية هذا تكمن في ان الشاعر بوريتشي ، مع حماسه القومي الكبير ، لم تكن لديه عقدة من اختيار الأبجدية العربية للغة الألبانية ، وذلك على عكس الشخصيات القومية الأخرى التي اخذت تعمل ضد هذه الأبجدية . وفي هذا الاتجاه لدينا ما يشير الى ابجدية عربية اخرى للغة الألبانية من وضع العالم والكاتب المعروف هوجا تحسين Hoxha Tahsini [٣] . إلا أن هذه الأبجدية للأسف لم تصل الى أيدينا مع أن تاريخها يعود الى سنة ١٨٧٧ . ويبدو أن تلك الفترة شهدت اهتماماً واسعاً للوصول الى

(1) Hasan Kaleši , Albanska aljamiado Književnost , Prilozi za orijentalnu filologju XVI - XVII , Sarajevo 1966 - 1967 , P .69

(2) Shuteriqi, Shkrimet ... , P .281

(٣) هوجا تحسين (١٨١٢ - ١٨٨١) من اعظم العلماء والمفكرين في الامبراطورية العثمانية في النصف الثاني للقرن التاسع عشر . درس العلوم في باريس وعاد بأفكار اصلاحية جديدة ليقظة العالم الاسلامي . كان أول رئيس لجامعة استنبول (دار الفنون) التي أسست ١٨٦٨ ، وقد دعا المصلح المعروف جمال الدين الأفغاني الذي كان يشاركه آراءه لكي يلقي محاضرة في هذه الجامعة سنة ١٨٧٩ - إلا أن هذه الأفكار الاصلاحية لم ترض السلطان ولا رجال الدين المحافظين مما أدى الى اغلاق الجامعة . انظر :

Hasan Kaleshi , Roli i Shqiptarëve në Letërsitë orientale , Prishtinë 1976 , P . 191

أفضل أبجدية عربية للغة الألبانية . فبعد سنتين فقط ، في ١٨٧٩ ، وضع العالم والشاعر علي أولشيناكو Ali Ulqinaku أبجدية عربية اخرى للغة الألبانية ، التي نشر بها ترجمته الشعرية « ترجمة المولود على لسان الأرناؤ وط» ، الذي طبع في استنبول في تلك السنة . وقد استمرّ وضع الأبجديات العربية للغة الألبانية والكتابة بها في أماكن مختلفة ، حتى اننا نجد ابجدية عربية للغة الألبانية في سوريا .[١]

وفي مطلع القرن العشرين ازداد الاهتمام للوصول الى ابجدية عربية حاسمة ونهائية للغة الألبانية ، وذلك في ظل الصراع السياسي الذي اخذ يلفّ موضوع الاتفاق على أبجدية واحدة للغة الألبانية . وكان ممن تحمسوا لهذا الغرض الكاتب رجب فوكا Rexhep Voka ، مفتي مدينة مناستير Manastir في ذلك الحين ، الذي كان يعتبر من أفضل علماء عصره[٢] . وقد صدرت ابجدية فوكا في كتاب أبجدي صغير سنة ١٩١٠ ، اشتمل على ابجديته المؤلفة من أربعة واربعين حرفاً وعلى تمرينات للتدرب على استعمال هذه الأبجدية . وكانت هذه الأبجدية قد صدرت حينذاك في استنبول وطبعت في عشرة آلاف نسخة ، ليتاح لها الانتشار في المناطق الألبانية . ويبدو أن هذه الأبجدية قد لاقت رواجا بعد صدورها ، لأنها طبعت مرة ثانية خلال نفس السنة[٣] . وفي الواقع لقد استفاد صاحب هذه الأبجدية من التراث الألباني الذي كان يكتب بالحروف العربية ومن خبرته الواسعة ، في وضع افضل ابجدية عربية للغة الألبانية . وبهذه الأبجدية التي اعتمدت على مبدأ حرف لكل صوت ، اصبح من

(١) محمد موفاكو ، محاولة لكتابة الألبانية بحروف عربية ، مجلة « المعرفة » عدد ١٩٦ ، دمشق حزيران ١٩٧٨ ، ص ١٧١ ـ ١٧٨ .

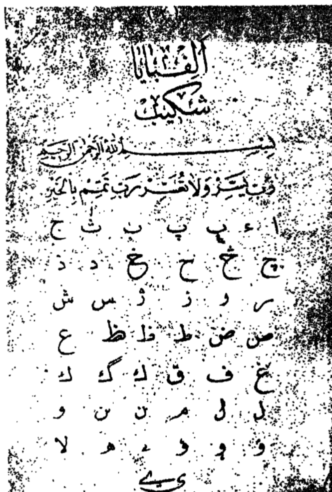
(2) Kaleši , Prilog ... , P . 372

(3) Rexhepagiq , Zhvillimi ... , P .145 - 146

الممكن قراءة اللغة الألبانية بسهولة ممتعة .[1] إلا أن الملاحظة الاساسية على هذه الأبجدية تبقى حول عدد حروفها الكبير (٤٤ حرفاً) ، في الوقت الذي كانت الأبجدية اللاتينية المنافسة لها تقوم على ستة وثلاثين حرفاً . وهذا الفارق الواضح جاء نتيجة لاضافة بعض الصوامت العربية الصميمية (ح ، خ ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع) ، التي كانت تفتقد اليها الأبجدية المنافسة . ويعود هذا الى ان هذه الصوامت العربية الصميمية بدأت تستعمل عند المثقفين الألبانيين المسلمين نتيجة لوجود المفردات العربية الكثيرة في اللغة الألبانية . ويلاحظ هنا ان صاحب هذه الأبجدية يستعمل هذه الصوامت العربية الصميمية في كتابة المفردات العربية حين ترد في سياق النص . ومع هذا يبقى لهذه الأبجدية اهمية خاصة ، لأنها كانت تدل على إلحاق بعض الأصوات العربية الصميمة الى اللغة الألبانية ، التي كانت تفتقد فعلا هذه الأصوات .



(1) Kalešì , Prilog ... , P .373


الفبايا
شكيب
بسم الله الرحمن الرحيم
رب يسر ولا تعسر رب تمم بالخير

الأبجدية الألبانية الحالية مع ما يقابلها من أبجدية فوكا العربية

a	ا	m	م
b	ب	n	ن
c	خ	nj	ں
ç	چ	o	ۆ
d	د	p	پ
dh	ذ	r	ر
e	اه	rr	ڕ
ë	ء	s	س
f	ف	sh	ش
g	غ	t	ت
gj	گ	th	ث
h	هـ	u	و
i	اي	y	ۈ
j	ي	v	ۋ
k	ق	z	ز
q	ك	x	ظ
l	ل	xh	ج
ll	ڵ	zh	ژ

وتجدر الاشارة هنا الى أنه بعد مرور سنة من صدور هذه الأبجدية نُشرت عدة كتب ألبانية في هذه الأبجدية الناجحة ، التي كانت تهدف الى تأكيد انتشارها . ومن اهم هذه الكتب لدينا كتاب

« القواعد الأولية للألبانية » لمؤلفة فضلي تيرانا Fazil Tirana ، الذي صدر في استنبول سنة ١٩١١ . وقد تضمّن هذا الكتاب في مقدمته ابجدية رجب فوكا ، التي اعتمد عليها المؤلف في كتابة هذا العمل الهام .(١) وبالاضافة الى هذا ، فقد صدر أيضاً لواضع هذه الأبجدية كتابان مختلفان ، استعمل فيهما ابجديته الجديدة للغة الألبانية . وقد حمل الكتاب الأول عنوان « علم الحال المفصّل في الالبانية » ، الذي تناول فيه الأحكام الأساسية للشريعة الاسلامية . كما صدر له بعد هذا كتاب آخر بعنوان « أفكار » ، الذي يعتبر من أهم ما كتبه . وتعود اهمية هذا الكتاب الى أن المؤلف تناول فيه بعض الموضوعات الحسّاسة بالنسبة لذلك العصر كالدين والعلم ، والدين والقومية الخ .(٢)

جاءت هذه الأبجدية الجديدة في لحظة حاسمة ومليئة بالصراع والحوار المسلح بين أنصار هذه الأبجدية من جهة وبين المدافعين عن الأبجدية اللاتينية من جهة اخرى . وفي الواقع لقد جاء هذا الصراع نتيجة للتنافس الذي بدأ بين انصار الأبجديات المختلفة ، والذي برز بوضوح في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، مع نمو الحركة القومية عند الألبانيين . وكان من الطبيعي ان يرتبط موضوع الأبجدية بالنهوض القومي لأن الألبانيين كانوا يحتاجون الى تواصل ثقافي قومي بسبب استعمال الأبجديات المختلفة ، التي وصل عددها في القرن التاسع عشر الى سبع عشرة أبجدية مما ادى الى خلق دوائر ثقافية

(1) Hasan Kaleshi , Gramatika Shqipe e Fazil e Fazil Tiranasit , Përparimi nr . 5 , Prishtinë 1955 , Pp .270 - 273 .

(2) Kaleši , Prilog ... , P .378 - 379 .

مختلفة لدى الألبانيين[1] . وانطلاقاً من هذا التشتّت الثقافي القومي ، الـذي كان يشكل عقبـة كبيرة امـام التواصـل الثقـافي والقومـي للألبانيين ، قامت الحركة القومية الألبانية في النصف الثاني للقـرن التاسع عشر بالدعـوة الى حل عاجـل لموضـوع الأبجـدية ، وذلك للوصول الى ابجدية واحدة فقط للغة الألبانية . وعلى الرغم من ان القرن التاسع عشر شهد استعمال واستمرار الكثير من الأبجـديات للغـة الألبـانية ، إلا أن الاهتمام كان يدور اساسـاً حول الأبجــدية العربية ، التي كانت شائعة لدى المسلمين ، وبـين عدة أبجـديات تعتمد اساساً على الحروف اللاتينية مع بعض الاختلافات فيما بينها . وقد تطور التنافس بين انصار الابجديات الى صراع سياسي بين انصار الارتباط بالشرق وبين الراغبين باللحاق بالغرب الأوربي . وفي هذا الاتجاه تجاوز موضوع الابجديـة . الساحة الألبانية وذلك مع تدخّل بعض القوى الخارجية التي كانت تريد تأمين نفوذ لها عبر تأييد احد الأطراف .

وقد بدأ موضوع الأبجدية يتّخذ أبعاده السياسية الواضحة لدى الألبانيين في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، وبالتحديد في العقد السابع الذي شهد انعطافاً هاما في التاريخ الألباني مع نهوض الحركة القومية الألبـانية ، التـي انطلقـت من « رابطـة بريزرن » Lidhja e Prizrenit ١٨٧٨ ـ ١٨٨١ . وحتى ذلك الحين بداية السـبعينيات ، كانت الأبجدية العربية للغة الألبانية هي الأكثر شيوعـاً في صفـوف الألبانيين ، نظراً لأن غالبية الألبـانيين كانـت من المسلمـين . وقـد ترسّخت جذور هذه الأبجدية في ذلك الحين نظراً للتراث الألبانـي

(1) Muhamet Pirraku Gjurmave të alfabetit deri Ke Kongresi i Manastrit , Përparimi nr . 6 - 7 , Prishtinë 1968 , P2 . 676 .

الذي كتب بها حتى ذلك الوقت ، والذي تحول بطبيعة الحال الى أساس لثقافة الأغلبية الألبانية . ومن هذا يبدو بوضوح ان مكانة الأبجدية العربية كانت قد رسخت في المناطق الألبانية لكونها « أبجدية المسلمين » ولذلك بقيت هي الشائعة لاتفاق الألبانيين المسلمين حولها . وقد كان لهذا الاجماع اهمية حاسمة في استمرار وانتشار الأبجدية العربية . ويدلّ على هذا أن بداية التراجع لهذه الأبجدية جاء نتيجة للانقسام الذي حدث بين المثقفين الألبانيين المسلمين ، الذي حصل على أساس طائفي بين الاتجاه السني والاتجاه البكتاشي الشيعي .

وفي الواقع ، كان الآباء البكتاشيون حتى العقد السابع من القرن التاسع عشر من أنصار الأبجدية العربية[1] ، ويدلّ على هذا التراث الشعري الكبير الذي خلّفه الشعراء البكتاشيون حتى ذلك الوقت . وفي إطار هذا التراث كانت ملحمة الشاعر شاهين فراشري Frashëri Shahin ، التي تناول فيها احداث كربلاء بثلاثة عشر الف بيت ، من أواخر الأعمال البكتاشية المكتوبة بالأبجدية العربية ، إذ انها كُتبت سنة ١٨٦٨ . وقد جاء تراجع الآباء البكتاشيين عن الأبجدية العربية نتيجة للاتجاه القومي الألباني الذي طغى على نشاط الطائفة البكتاشية في المناطق الألبانية[2] ، حيث قامت بدور كبير في الحركة القومية الألبانية التي تبنّت الدعوة الى أبجدية جديدة للغة الألبانية تعتمد على الحروف اللاتينية ومع هذا التحول اهتزت مكانة الأبجدية

(1) Stavro Skendi , The National Albanian Awakening 1878 - 1912 , Princeton University Press 1967 , P ,143 .

(٢) للتوسع حول هذه الطائفة الشيعية ودورها القومي انظر :

محمد موفاكو ، من الأدب الألباني - مع مقدمة في الصلات الأدبية العربية - الألبانية ، مجلة « التراث العربي » ، العدد الثالث ، دمشق تشرين الأول ١٩٨٠ ، ص ٥٩ - ٦٨ .

العربية في المناطق الألبانية ، وذلك نظراً للانتشار الواسع الذي كانت تتمتع به البكتاشية في هذه المناطق .[١] وتجدر الاشارة هنا الى أن هذا التراجع عن الأبجدية العربية قد ارتبط بموقف آخر متطرف يدعو الى تطهير اللغة الألبانية من المفردات العربية . ويبدو هذا بشكل واضح لدى الشاعر القومي نعيم فراشري Naim Frashëri ، الذي يبدو للبعض « النبي القومي للبكتاشية في ألبانيا » .[٢] ففي مقدمته لترجمة « الالياذة » تعرض نعيم فراشري الى شعراء القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، الذين كتبوا في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية ، ووصف استعمالهم للمفردات الأجنبية (العربية) في اشعارهم بأنه « ذنبٌ لا يغتفر لهم على الاطلاق » .[٣] وفي مقابل هذا أشاد بحماس بالشاعر الفارسي الفردوسي لكونه تجنب استعمال أية كلمة عربية في اشعاره .[٤]

وقد صاحب تخليّ الآباء البكتاشيين عن الأبجدية العربية تأييدهم للأبجدية الجديدة التي صدرت في استنبول سنة ١٨٧٩ ، التي اعتمدت أساساً على الحروف اللاتينية . ومع هذه الأبجدية الجديدة التي تمتّعت بدعم الشخصيات القومية والتكايا البكتاشية لتأمين انتشار ادبياتها في المناطق الألبانية ، حدث نوع من التراجع للأبجدية العربية . إلا أن هذه الأبجدية بقيت سائدة مع هذا لدى المثقفين السنيّين ، الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير لدى الجماهير السنية التي كانت تشكّل الغالبية في الشمال . وتجدر الاشارة هنا الى أن الأبجدية

(١) لوثروب ستودارد ، حاضر العالم الاسلامي ، مع شروح وتعليقات شكيب ارسلان ، ج ٤ ، الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧١ ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(2) Mali Kokoja , Naim be Frashëri , botimi i Kajros 1941 , P . 6

(3) Naim Frashëri , Vepra V , Prishtinë 1978 . P . 122

(4) Ibid, P. 130

العربية قد انكمشت الى حدّ ما بسبب موقف الادارة العثمانية ، التي كانت تمنع التعليم باللغة الألبانية في العصر الحميدي ، مما ادى الى عدم نشر الكتب بالأبجدية العربية . وعلى العكس من هذا ، كانت الأبجدية الاخرى ، « أبجدية استنبول » ، تتمتّع بامتياز كبير لاهتمام اصحابها في نشر الكتب المدرسية في هذه الأبجدية لنشرها بشكل او بآخر في المناطق الألبانية ، حيث كانت تستقبل باهتمام من قبل الألبانيين المتعطشين لتعلّم لغتهم .[1]

وفي نهاية القرن التاسع عشر تطور موضوع الأبجدية مع تدخل القوى الخارجية ، التي اخذت تتنافس على دعم احدى الأبجديات لتحقيق مصالحها الخاصة من دعم هذه الأبجدية او تلك . وقد بدأ هذا التنافس بين القوتين الأكثر اهتماما بالمناطق الألبانية ، النمسا وايطاليا . ويعود هذا الى أن النمسا كانت تطمع في تأمين نفوذ سياسي لها في المناطق الألبانية لكي يحقّق لها ، بعد ان تمكنت من احتلال البوسنة سنة ١٨٧٨ ، امتداداً نحو الجنوب باتجاه المياه الدافئة المتوسطية . وفي مقابل هذا كانت لايطاليا شهوتها السياسية في تحويل البحر الأدرياتيكي الى بحر ايطالي مما كان يفترض السيطرة على المناطق الألبانية الممتدة على الساحل الشرقي للبحر الأدرياتيكي .[2] وفي هذا الاتجاه كانت مراهنة القوتين على الأقلية الكاثوليكية في

(١) قد يكون من المفيد أن نضيف هنا أن أول مدرسة لتعليم اللغة الألبانية أنشئت في آذار ١٨٨٧ في مدينة كورتشا Korça . وقد افتتحت هذه كمدرسة خاصة وبعد صراع عنيف مع رجال الكنيسة اليونانية ، الذين كانوا ضد تعلّم وانتشار اللغة الألبانية في صفوف الألبانيين الارذودكس انظر :

Grup autoresh , Historia e Popullit Shqiptar , vell . II , Prishtinë 1979 , P . 210

(2) Skënder Rizaj , Lufta frakcioniste në mes te Shoqërive letrare Bashkimit dhe Agimit , Gjurmime albanologjike , nr , i , Prishtinë 1969 , P . 120

الشمال ، التي كانت تشكل جسراً مهماً للعبور الى بقية المناطق الألبانية . وقد اختارت النمسا وايطاليا التغلغل الى هذه المناطق عن طريق الاهتمام باللغة الألبانية وفتح المدارس المختلفة ، لتكون قاعدة لنشر النفوذ الثقافي والسياسي . ومما زاد في التنافس بين هاتين الدولتين ان كل واحدة كانت واعية تماماً لأهداف الاخرى . ويدلّ على هذا تقرير مثير للقنصل النمساوي في مدينة مناستير Manastir الذي يدور حول نشاط الطرف الايطالي في فتح مدارسه في المناطق الألبانية . ففي هذا التقرير يصف القنصل بدقة اغراض ايطاليا من وراء هذه المدارس التي « تهدف الى خلق مؤسسات استعمارية في ألبانيا على أمل ان يحتلوا في يوم ما هذا البلد » ، ولذلك فهو يؤكد في مقابل هذا على هدف المدارس النمساوية التي يجب ان تعمل على « تأمين التأثير النمساوي في ألبانيا » .[1] وفي هذا الاتجاه كانت هذه المدارس تغري الألبانيين فعلا في تعلّم لغتهم ، بالحروف اللاتينية طبعاً ، طالما ان الادارة العثمانية كانت تمنعهم من تعلم لغتهم ، حتى ولو بالأبجدية العربية ، في المدارس الرسمية التابعة لتلك الادارة .[2]

وعلى هذا النحو كان التنافس بين الأبجدية العربية واللاتينية يدور في شروط غير متكافئة في الساحة الألبانية ، نظراً لأن الأبجدية العربية حتى مطلع القرن العشرين كانت تفتقد الى دعم قوة ما من الخارج ، بينما كانت الأبجدية اللاتينية تحظى بدعم عدة قوى خارجية (الفاتيكان ، النمسا وايطاليا) ، التي كانت تموّل طبع ونشر الكتب الألبانية في هذه الأبجدية . وفي الواقع ، كان هذا الاهتمام بدعم ونشر الأبجدية اللاتينية بين الألبانيين يرتبط برؤية سياسية بعيدة النظر . فقد كان الهدف الأساسي من تحويل الألبانيين عن الأبجدية

(1) Ibid. P. 119

(2) Pirraku , Gjurmave ... , P . 673 .

العربية الى الأبجدية اللاتينية هو فك الارتباط بين الألبانيين والشرق ، لأن التخلي عن الأبجدية العربية كان يعني الانفكاك عن الثقافة الشرقية والارتباط بالثقافة الغربية . وفي نهاية الأمر كانت هذه المسيرة ترمي الى تخليص الألبانيين من « الهموم الشرقية » ومن « الشرق المتخلف » للاستفراد بالألبانيين بعد فصلهم عن الشرق ، الذي قد يدافع عنهم في لحظة الخطر . وهذا ما حدث فعلا أثناء الحرب العالمية الأولى حين قامت النمسا وايطاليا باحتلال المناطق الألبانية ، ثم عاودت ايطاليا الكرة باحتلال البانيا خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٣ ، دون ان يجد الألبانيون من يدافع عنهم من « الغرب المتقدّم » الذي دفعوا للحاق به .

ان هذا الجانب السياسي لموضوع الأبجدية بدأ يتضح في الأفق في مطلع القرن العشرين وبالتحديد بعد انقلاب الأتراك الجدد سنة ١٩٠٨ . ومن المعروف ان الألبانيين كان لهم دور كبير في هذا الانعطاف السياسي الكبير ، سواء في تشكيل جمعية « الاتحاد والترقي » او في الاعداد العسكري لهذا الانقلاب .[١] ونظراً لهذا الدور الكبير فقد تفاءل الألبانيون كثيراً بالعهد الجديد ، وذلك فيما يتعلّق بحقوقهم القومية التي كان على رأسها حق التعلّم باللغة الألبانية . وقد استجاب النظام الجديد في استنبول في بداية الأمر لبعض المطالب الألبانية ، وخاصة فيما يتعلّق بتعلّم اللغة الألبانية ، مما أدى الى حماس هائل في المناطق الألبانية لموضوع اللغة ، الشيء الذي كان يرتبط بطبيعة الحال بموضوع الأبجدية . ويعود هذا إلى ان السماح بتعلّم اللغة الالبانية في المدارس قد أدى الى طرح موضوع الابجدية بحدة ، نظراً لأن كل مدرسة كانت تعلّم الألبانية بهذه

(1) Skënder Rizaj , Roli i Shqiptarëve në Revolucionion Xhonturk të vitit 1908 , Kosova nr. 3, prishtiinë 1974 , pp . 159 . 193 .

الأبجدية او تلك وذلك لأن النظام الجديد لم يتدخل في البداية لصالح احدى الأبجديات لاهتمامه بتثبيت سلطته .[1] إلا أن النظام خرج عن حياده اخيراً ، مع بروز الخلفية السياسية للصراع حول الأبجدية .

وقد بدأت أبعاد هذا الصراع تبرز على السطح منذ نهاية سنة ١٩٠٨ ، حين بادر نادي « الاتحاد » في مدينة مناستير Manastir الى الدعوة لعقد مؤتمر قومي لبحث موضوع الأبجدية . ومع انعقاد هذا المؤتمر في تشرين الثاني ١٩٠٨ ، بمشاركة ٣٥ شخصية تمثل الروابط الألبانية المختلفة في الداخل والخارج ، بدا بوضوح ان الأبجدية العربية كانت خاسرة منذ البداية ، نظراً لموقف الشخصيات التي تمّ اختيارها للمشاركة في هذا المؤتمر ، لأن غالبيتها كانت غير متعاطفة في الأصل مع الأبجدية العربية . ولذلك لم تكن هذه الأبجدية على جدول الأعمال ، بل ان النقاش دار حول الاختيار بين ثلاث ابجديات كانت تعتمد على الحروف اللاتينية . ونظراً للاختلافات التي برزت اثناء النقاش فقد تقرر الاخذ بأبجديتين معاً : « أبجدية استنبول » التي تعتمد اساساً على الحروف اللاتينية ، أبجدية اخرى تستعمل الحروف اللاتينية فقط[2] ، وهي التي تستعمل الآن للغة الألبانية .

وفي الواقع ان هذا التخلّي عن الأبجدية العربية في هذا المؤتمر الذي يُعظّم الآن كثيراً كان نتيجة طبعية لتركيبة هذا المؤتمر التي اخلّت بتمثيل الألبانيين سواء من الناحية الاقليمية او الدينية ففي هذا

---

(1) Shukri Rahimi , Qëndrimi i pushtetit turk nadaj Gështijes së alfabetit . Gjurmime albanologjike nr . L , Prishtinë 1969 , P . 13 - 14 .

(2) Alfabeti i gjuhës shqipe dhe Kongresi i Manastirit - studime , materiale , dokumente - Tiranë 1972 , Pp . 352 - 353

المؤتمر كان ممثلو الجنوب يشكلون أغلبية المشاركين بينما كان الشمال الألباني السنّي - الذي كان يتعاطف مع الأبجدية العربية - لا يمثله إلا ثلث المشاركين فقد غاب عن هذا المؤتمر ممثلو المدن الشمالية الكبيرة مثل ديبرا Dibra وبريزرن Prizeren وجاكوفا Gjakova وبيا Peja [1] ، التي كانت تدعم الأبجدية العربية للغة الألبانية والأهم من هذا ان التوزع الديني للمشاركين كان يمثّل الألبانيين بصورة معكوسة . ففي هذا المؤتمر كانت غالبية المشاركين من الألبانيين المسيحيين ، الذين ليست لهم علاقة بالأبجدية العربية ، بينما كان الألبانيون المسلمون يشكلون اقلية داخل المؤتمر مع أن غالبية الشعب الألباني من المسلمين . فقد كان للألبانيين المسيحيين الحق في تسعة وعشرين صوتاً ، بينما كان للألبانيين المسلمين الحق في عشرين صوتاً فقط . [2] وهذا الخلل يبدو بوضوح اكثر في تركيب اللجنة التي انتخبت لتقرر الأبجدية النهائية للغة الألبانية ففي هذه اللجنة المؤلفة من احد عشر عضواً ، كان عدد الألبانيين المسيحيين سبعة بينما كان عدد الألبانيين المسلمين اربعة . [3]

ويبدو أن قرار المؤتمر قد فاجأ الادارة العثمانية والمثقفين السنّيين من انصار الأبجدية العربية ، الذين لم توجّه الدعوة اليهم اصلا لكي لا يشكّلوا قوة معارضة داخل المؤتمر ، نظراً لأن المؤتمر أراد استباق الظروف ووضع هذه الاطراف امام الأمر الواقع . وقد أدت هذه المبادرة الى خروج الادارة العثمانية عن (لا مبالاتها) السابقة ، نظراً للبعد السياسي الذي كان يرتبط بالأبجدية اللاتينية . فقد

(1) Stjepan Antoljak , Prilog historijatu borbe albanasa za svoj Alfabet , Gjurmime albanologjike nr . L , Prishtinë 1969 , P . 48

(٢) المصدر السابق ص ٤٦ - ٤٨

(٣) المصدر السابق ص ٤٨ .

ادركت الادارة العثمانية في ذلك الحين ان تبنّي الألبانيين للأبجدية اللاتينية سيؤدي الى تقربهم والى نوع من الأوربة Evropizition لديهم مما يقود بالضرورة الى انفصالهم عن الامبراطورية العثمانية .[1] ونتيجة لهذا ، اخذت الادارة العثمانية تخرج عن حيادها السابق لتسجل دعمها وتأييدها للأبجدية العربية . وفي هذا الاتجاه تمت الدعوة الى مؤتمر قومي آخر لمناقشة موضوع الأبجدية عقد في شهر تموز ١٩٠٩ في مدينة ديبرا Dibra . وبالمقارنة مع المؤتمر الأول ، فقد تميز هذا المؤتمر بحضور اوسع للمثقفين السنيين من الكتاب والقضاة والمشايخ ورجال الافتاء ، الذين ألحوا على تبنّي الأبجدية العربية نظراً لأنهم كانوا يشكلون الغالبية داخل قاعة المؤتمر . وفي مقابل هؤلاء تشدّدت الأقلية في تمسكها بالأبجدية اللاتينية ، ولذلك لم يتفق الجميع على ابجدية واحدة مع ان المشاركين اتفقوا على قرار وحيد يطالب بفصل المدارس الألبانية عن الكنائس المسيحية .[2]

وقد تأكد هذا التحول مع الدعوة الى مؤتمر آخر واكبر ليحسم هذا الصراع حول الأبجدية وما يثير هنا ان الداعين الى هذا المؤتمر اختاروا لانعقاده مدينة مناستير Manastir بالذات ، التي تقرّر في مؤتمرها الأول تبنّي الأبجدية اللاتينية دون الاشارة الى الأبجدية العربية . وقد عقد هذا المؤتمر أخيراً في شهر آذار ، في مقر نادي « الاتحاد » الذي كان قد نظّم المؤتمر الأول سنة ١٩٠٨ . وفي هذا المؤتمر حدث انعطاف غير متوقع لصالح الأبجدية العربية . فقد انتهى هذا المؤتمر الى تشكيل « مجلس خاص للألبانيين البارزين » يأخذ على عاتقه تطبيق الأبجدية العربية في « الأدب وفي المدارس الألبانية » .[3]

---

(1) Kaleši , Albanska ... , P . 93 .

(2) Rexhepagiq , Zhvillimi ... , P . 215

(3) Ibid .

وفي الواقع كان موضوع الأبجدية يتطور بحدة خلال هذه السنة في الشارع وعلى صفحات المجلات المختلفة مما كان يؤدي بدوره الى فرز سياسي واضح بين انصار الابجدية العربية وبين المتحمسين للأبجدية اللاتينية حيث ان كل طرف كان يعبر عن رؤية مغايرة تدفعه للبحث عن مبررات مختلفة لدعم موقفه من هذه الأبجدية او تلك . ونرى من الضروري هنا ان نتعرض الى مواقف هذين الطرفين ، لكي نتعرف بشكل ادق على الخلفية السياسية لهذا الموضوع كما كانت تبدو في حوار الطرفين على صفحات الجرائد .

كان انصار الأبجدية العربية يدافعون عن هذه الأبجدية لأسباب مختلفة منها ما يتعلق بالدين والارتباط بالشرق ومنها ما يتعلق بخطر التغرب على الألبانيين . وبشكل عام يمكن تلخيص رؤية انصار الأبجدية العربية كما يلي :

ـ مسألة الأبجدية العربية لا تتعلق فقط بالألبانيين ، لأن هذه الأبجدية هي لكل العالم الاسلامي من اندونيسيا الى المغرب ، ولذلك لا يمكن للالبانيين ان ينفصلوا من هذه القاعدة .(١)

ـ رفض الأبجدية اللاتينية ينبع من كونها ترمز الى « الشكل الغربي للكتابة » الذي يرتبط بـ « مرض » تقليد الحياة الأوروبية .(٢)

ـ المنطق يفترض ان تكون الكلمة لرأي الغالبية ولذلك لا يمكن للغالبية ان تتخلّ عن ابجديتها (العربية) لتقبل ابجدية الاقلية

---

(١) من مقال للنائب محمود بدري Mahmud Bedriu بعنوان «رسالة مفتوحة للألبانيين » الذي نشر في جريدة « طنين » في استنبول ، عدد ١١ كانون الثاني ١٩١٠ . للتوسع حول هذا انظر : Hasan Kaleshi , Disa aspekte të luftës për alfabetion shqip në Stambooll , Gjurmime albanologjike nr . Prishtinë 1969 , P . 86 .

(٢) من رسالة للنائب سيّد ادريس Seit Idrizi ، التي نشرت في مجلة « تصوير افكار » في استنبول عدد ١٩ آذار ١٩١٠ : المرجع السابق ص ٨٩ .

(اللاتينية) .[١]

ـ الأبجدية اللاتينية تدعم بقوة من قبل القوى الغربية (النمسا وايطاليا) ، التي تطمع في فصل الالبانيين عن الشرق تمهيداً لاحتلال مناطقهم .[٢]

أما رأي المتحمسين للأبجدية اللاتينية فقد اعتمد على عكس الحجج التي كان يتمسّك بها انصار الأبجدية العربية :

ـ الدعوة الى الاستمرار في الأبجدية العربية ، كما في افغانستان وسومطرة ، يعني تراجع الألبانيين ثقافياً الى ذلك المستوى المتخلف الذي تعيشه تلك الشعوب .[٣]

ـ استعمال الألبانيين للأبجدية العربية لمدة خمسة قرون ادى الى عرقلة تقدمهم .[٤]

ـ تبنّي الأبجدية اللاتينية ضروري للحفاظ على وحدة الشعب الألباني وذلك لتجاوز الانقسام بين الألبانيين المسلمين والألبانيين المسيحيين ، الذين لا يقبلون بفرض الأبجدية العربية عليهم .[٥]

ـ صعوبة تعلّم الأبجدية العربية وسهولة تعلّم الأبجدية

---

(١) من مقال طويل لـ علي ذو الفقاري Ali Zulfigari بعنوان « مشاورة مع الألبانيين » الذي نشر في جريدة « طنين » عدد ٢٥ شباط ١٩١٠ والمرجع السابق ص ١٠٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٣) من ردّ طويل للنائب غني فراشري Gani Frashëri ، الذي نشر في جريدة « طنين » عدد ١٥ يناير ١٩١٠ ؛ المرجع السابق ص ٩٠

(٤) من مقال طويل للنائب سريّا فلورا Surija Vlora بعنوان « الأبجدية العربية واللغة الألبانية » ، الذي نشر في جريدة « بني غازيت » في استنبول ، عدد ١٥ كانون الثاني ١٩١٠ ؛ المرجع السابق ص ٩٩ .

(٥) المرجع السابق ص ٩٩ .

اللاتينية ، التي يمكن لـ « الراعي ان يتقنها خلال شهر ليقرأ بها الجريدة » .[1]

والمثير هنا أن هذا الحوار بين انصار الأبجديتين قد ضاقت به صفحات الجرائد والمجلات وهبط اخيراً الى الشارع ليتحول الى اجتماعات ومظاهرات صاخبة في المدن الألبانية منذ بداية ١٩١٠ . ففي مدينة مناستير Manastir ، على سبيل المثال عقد اجتماع جماهيري صاخب في ٢٤ كانون الثاني . وعلى الرغم من المطر الذي يهطل في ذلك اليوم ، فقد اجتمع عدة آلاف لدعم الأبجدية العربية . وقد افتتح هذا الاجتماع المدرس سعد الدين ، الذي اكّد على أهمية الأبجدية العربية التي كُتب بها القرآن ، الذي يوحّد كل المسلمين . وبعد هذا اقسم المشاركون في هذا الاجتماع وتعاهدوا على الدفاع عن الأبجدية العربية مع صدى هتافاتهم « اللعنة على الحروف اللاتينية ، لن نسمح لهذه الحروف بالدخول الى قُرانا » . وقد أشار خطيب آخر في هذا الاجتماع الى ان الألبانيين مستعدون للتخلي حتى عن لغتهم في سبيل الحفاظ على الوحدة الدينية (مع بقية المسلمين) .[2] وفي مقابل هذا الاجتماع قام الألبانيون الكاثوليك في مدينة شكودر Shkodral بتنظيم مظاهرة لصالح الأبجدية اللاتينية .[3]

وقد شهدت بعض المدن الألبانية في ذلك الحين اقامة اجتماعات جماهيرية متعارضة ، كما حدث خلال شهر شباط ١٩١٠ في مدينة إلباسان Elbasan . فقد قام المتحمّسون للأبجدية اللاتينية بتنظيم اجتماع جماهيري لهم لتأكيد وجودهم ، مما دفع انصار الأبجدية

(١) من مقال النائب غني فراشري ، الذي ورد ذكره سابقا ، المرجع السابق ص ٩١ . وهذا لا يعني بطبيعة الحال أن الراعي لا يستطيع ان يتعلم ايضاً الأبجدية العربية كالأبجدية اللاتينية ، في حالة توفر الشروط المتكافئة .

(2) Kaleshi, Disa aspekte ... , P . 101

Skendi . The National ... , P . 386

العربية الى إقامة اجتماع حاشد بعد عدة ايام لاستعراض قوتهم .(١)
وما يثير هنا ان هذا الانقسام حول موضوع الأبجدية لم يشمل المدن الألبانية فقط ، وانما كان يشمل احيانا العائلات الألبانية . ففي هذه الحالة نجد ان ربّ العائلة من أنصار الأبجدية العربية بينما نجد ابنه ، الذي عاش في الخارج ، من المتحمسين للأبجدية اللاتينية .(٢)

وتجدر الاشارة هنا الى أن العرب قد ادلوا بدلوهم ايضا في هذا الموضوع لصالح الأبجدية العربية بطبيعة الحال . ففي ٤ آذار ١٩١٠ تشكّل في استنبول « محفل المعارف الألباني » ، وذلك في اجتماع حاشد شارك فيه العلماء وبعض النواب العرب ، بالاضافة الى عدة آلاف من الألبانيين . وقد تعاهد المشاركون في هذا الاجتماع على رفض الحروف اللاتينية للغة الألبانية ، وأيد هذا بعض النواب العرب الذين خطبوا في هذا الاجتماع .(٣)

وقد كانت هذه الاجتماعات الحاشدة والمظاهرات تنتهي عادة الى توجيه العرائض والبرقيات المختلفة الى الادارة المحلية او الى الحكومة في استنبول التي اصبحت مطالبة بتحديد موقف علني من هذه القضية . وفي هذا الاتجاه حدث تطور مفاجىء بتدخل شيخ الاسلام نفسه في هذه القضية ، في شهر نيسان ١٩١٠ . ففي الخامس من هذا الشهر ارسل شيخ الاسلام كتاباً الى رجال الافتاء في المناطق الألبانية ، يوضّح فيه موقفه بمنع استعمال الحروف اللاتينية للغة الألبانية ويطالبهم بالعمل على منع استعمال الأبجدية اللاتينية في المدارس الألبانية .(٤) وقد صاحب هذا الموقف الرسمي لشيخ

---

(1) Kaleshi , Disa aspekte ... , P . 104

(2) Ibid ... , P . 100

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩ .

(٤) انظر نص كتاب شيخ الاسلام في المرجع السابق ص ١٠٦

الاسلام لجوء الادارة العثمانية الى بعض الاجراءات الجديدة . ففي شهر آب اصدر مجلس الولاية في مناستير قراراً باغلاق مدرسة المعلمين في مدينة الباسان Elbasan ، التي كانت مقراً للمتحمسين للأبجدية اللاتينية ، وذلك لأسباب « دينية وسياسية » . واعقب هذا تسريح بعض الموظفين في الولاية ، الذين كانوا يعملون بحماس لصالح الأبجدية اللاتينية . إلا ان هذه الاجراءات الفوقية ادت الى تفاقم الوضع مما ادى الى تراجع الادارة العثمانية في آذار ١٩١١ ، حين اصدرت وزارة المعارف في استنبول قراراً توافق فيه على السماح باستعمال الأبجدية اللاتينية في المدارس الابتدائية وعلى الرغم من هذا ، بقيت الادارة العثمانية والأوساط السنية الألبانية على موقفها السابق في تبني الأبجدية العربية الى نهاية الأمر .[1]

هذا الصراع حول الأبجدية بقي يتفاعل الى سنة ١٩١٢ ، حين تغيرت خارطة المنطقة نتيجة للحرب البلقانية التي دارت بين الدول البلقانية المتحالفة (صربيا ، الجبل الاسود ، بلغاريا والبونان) من جهة وبين الامبراطورية العثمانية من جهة اخرى . وكما هو معروف ، فقد انتهت الحرب البلقانية الأولى الى هزيمة شاملة للقوات العثمانية ، والى تخلي الامبراطورية العثمانية عن المناطق الشاسعة التي كانت تابعة لها في البلقان . وفي اطار هذا تمكنت القوات البلقانية من احتلال المناطق الألبانية بسهولة ، حيث قامت على الفور بتصفية حساباتها بشكل دموي مع الألبانيين ، الذين لم يجدوا من يدافع عنهم . وفي هذه اللحظة التاريخية الصعبة قامت حفنة من الألبانيين باعلان الاستقلال في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٢ في رقعة صغيرة حول مدينة فلورا Vlora ، على اعتبارها المدينة الوحيدة التي كانت خارج الاحتلال . وقد جاء اعلان الاستقلال الألباني

(١) المرجع السابق ص ١١٣ .

تحت تأثير النمسا ، لأن سياستها الاستراتيجية كانت تقوم على عدم السماح لدول معادية (صربيا) باحتلال المناطق الألبانية والوصول الى البحر الأدرياتيكي ، لأن النمسا نفسها كانت تطمع بهذا الامتداد .[1] وتحت ضغط النمسا وتهديدها ، وافقت الدول الكبرى مبدئيا على استقلال البانيا إلا أنها قيّدت هذا الاستقلال في ٢٩ تموز ١٩١٣ ، باعلانها لألبانيا « إمارة محايدة تحت رقابة الدول الكبرى » مع قطع كل صلة لألبانيا مع الامبراطورية العثمانية . وبالاضافة الى هذا ، فقد قرّرت هذه الدول تنصيب النبيل الألماني فيلهلم فون فيد W .V .Wied أميراً على البانيا .[2]

وفي هذه الظروف قامت الحكومة الألبانية الأولى بتطبيق فوري لسياسة فك الارتباط مع الشرق ، استناداً الى قرار الدول الكبرى الذي ربط الاستقلال الألباني بقطع كل صلة لألبانيا مع الامبراطورية العثمانية . وفي هذا الاتجاه تبنّت الحكومة الألبانية عملياً ومنذ البداية الأبجدية اللاتينية ، التي تمّت الموافقة عليها في مؤتمر مناستير الأول ١٩٠٨ . وبالاضافة الى هذا ، اندفعت الحكومة لتقضي بسرعة على الارتباط الديني مع الشرق . ففي ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٣ اعلنت الحكومة « القانون المؤقت للادارة المدنية لألبانيا » ، الذي تقرّر فيه فصل الحقوق المدنية عن الشريعة الاسلامية وفصل الهيئة الاسلامية في ألبانيا عن ارتباطها بشيخ الاسلام .[3]

ويبدو أن هذه الاجراءات السريعة ، التي تناولت الدين والأبجدية قد ادت الى استياء لدى المثقفين السنيين والجماهير المحافظة

(1) Grup autorësh , Historia e popullit ..., pp. 347 - 349.

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٩ - ٣٩٨ .

(3) Abas Ermenji, Albania vendi që zë Skënderbeu në historinë e Shqipërisë, në Mërgim 1968, p. 327.

التي كانت عملياً تحت تأثير المشايخ . وقد تفجّر هذا الاستياء مع قرار الدول الكبرى في تشرين الثاني ١٩١٣ ، بتنصيب النبيل الالماني فيد اميراً على البانيا ، الذي رفضته الجماهير بتحريض من المشايخ لكونه اجنبياً (كافراً) ، لا يحق له ان يحكم بلداً مسلماً . ومع بداية سنة ١٩١٤ تراكم هذا الاستياء وتحول دفعة واحدة الى حركة جماهيرية مسلحة تمكنت من السيطرة على معظم البانيا . وفي الواقع ، كانت هذه الحركة في جوهرها ردة فعل ضد الانفكاك القسري عن الشرق ، كما ارادته الحكومة الألبانية المرتبطة بالأمير الألماني وبالدول الأوربية الكبرى . ويبدو هذا بوضوح في برنامج، هذه الحركة ، الذي اعلنته بعد انتصارها العسكري في ٣ حزيران ١٩١٤ . ففي هذا البرنامج طرحت هذه المطالب التي عكست تحولا جذرياً في الحياة السياسية :

١ ـ ابعاد الأمير فيد عن البانيا .

٢ ـ تعيين امير مسلم من طرف السلطان العثماني .

٣ ـ تبنّي الأبجدية العربية للغة الألبانية .

٤ ـ تنصيب المفتي الأكبر من طرف شيخ الاسلام , .(١)

وفي هذه المطالب تبدو بوضوح الخلفية السياسية لقضية الأبجدية العربية ، التي كانت ترمز الى الارتباط بالشرق . ويرتبط هذا في الحقيقة بالزعيم الفعلي لهذه الحركة الشيخ موسى كاظمي Qazimi Musa ، مفتي مدينة تيرانا Tirana ، الذي كان من أشد المدافعين عن الأبجدية العربية في السابق . وقد كان من الطبيعي ان يؤدي انتصار هذه الحركة الى قلق كبير لدى الدول المجاورة ، خشية من تحرك عواطف الألبانيين المسلمين في المناطق المجاورة ، التي كانت قد

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤٦

اخذت من الامبراطورية العثمانية قبل عدة سنوات ، ولذلك اخذت هذه الدول تدق ناقوس الخطر ضد هذه الحركة لكونها « ثورة اسلامية ضد المسيحيين » . وتحت هذا الادعاء اندفعت القوات اليونانية من الجنوب لـ « تحرير » المسيحيين من « الخطر الاسلامي » الا انها في تقدمها جرفت كل وجود اسلامي ، حتى ان مئة الباني من الرجال والنساء والاطفال التجئوا الى كنيسة هرموفا Hormova هرباً من « المحرّرين » ، الذين لاحقوهم وأبادوهم داخل الكنيسة . وقد كانت نتيجة هذا ان دخلت (٣١٤) قرية البانية الى هذا الجحيم ، نظراً لأن قوات « التحرير » تابعت تقدّمها حتى مدينة بيرات Berat .[1]

وعلى الرغم من هذا بقيت الحركة الجماهيرية المسلحة تتمتّع بقوة كبيرة الى حد انها تمكنت في النهاية من السيطرة على مدينة دورس Durrës ، عاصمة البانيا في ذلك الحين . إلا أن هذا الانتصار الذي اعقبه تشكيل حكومة مؤقتة ، قد دفع الدول المجاورة للعمل على اسقاط هذه الحركة بالقوة عبر التدخل العسكري من الخارج ، نظراً للخطر الذي اخذت تشكله في المنطقة . وقد تم هذا في حزيران ١٩١٥ ، حين اندفعت القوات الصربية مع المرتزقة تضرب هذه الحركة التي هزمت اخيراً بعد معارك طاحنة . وقد اكتملت هزيمة الحركة مع اعتقال زعمائها ، ومن بينهم الشيخ موسى كاظمي ، وباعدامهم جميعاً بعد محاكمة شكلية .[2] إلا أن التدخل الصربي انتهى بدوره امام تقدم الجيش النمساوي ، الذي احتل البانيا في نهاية ١٩١٥ . وخلال فترة الاحتلال النمساوي (١٩١٥ - ١٩١٨) قامت الادارة المحلية بالاهتمام بالتعليم لكسب عواطف الألبانيين ،

---

(١) المرجع السابق ٣٤٩ .

(2) Grup autorësh, Historia e popullit ..., p. 432.

ففتحت المدارس الألبانية في مختلف المناطق .[1] وقد كان من الطبعي في هذه الحالة ان تعود الأبجدية اللاتينية لتصبح هي الأبجدية الرسمية والسائدة ، نظراً لموقف النمسا الذي كان وراء الأبجدية اللاتينية منذ البداية . وقد استمر هذا الوضع مع انسحاب القوات النمساوية وعودة الروح الى الدولة الألبانية ، التي اعترف بها كدولة مستقلة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى . وفي اطار هذه الدولة ارتبط تبنّي الأبجدية اللاتينية باجراءات لاحقة لتأكيد الارتباط بالغرب ، مما شمل فك الارتباط بين الدين والدولة وتحويل البانيا الى دولة علمانية . وبهذا كانت ألبانيا اول دولة تدخل العلمانية في العالم الاسلامي .[2]

ومع أن هذا ادى بطبيعة الحال الى نهاية الكتابة بالأبجدية العربية في البانيا ، إلا ان هذه الأبجدية استمرت لدى بقية الألبانيين . وتجدر الاشارة هنا الى ان دولة البانيا بحدودها الدولية التي اعترفت بها الدول الكبرى سنة ١٩١٣ ، قد ضمت حوالي نصف الشعب الألباني ، بينما بقي العدد الاكبر خارج حدود دولته القومية . وقد تثبّت هذا الوضع مع قرارات مؤتمر الصلح في باريس ، مما ادى الى توزع الشعب الالباني بشكل متساوٍ تقريباً بين البانيا والدولة الجديدة يوغسلافيا ، بالاضافة الى الذين شملتهم حدود اليونان . ونظراً لأن الالبانيين الذين شملتهم حدود يوغسلافيا كانوا في غالبيتهم العظمى من المسلمين ، بينما كانت غالبية الألبانيين في اليونان من الارذودكس ، فقد بقي موضوع الأبجدية العربية يخص فقط الألبانيين في يوغسلافيا ، الذين استمروا في الكتابة في هذه

(1) Rexhepagiq, Zhvillimi ..., p. 259

(٢) للتوسع حول هذا انظر :
محمد موفاكو ، الدين والمسألة الدينية في ألبانيا ، مجلة « العربي » ، الكويت ١٩٧٨ .

الأبجدية حتى الحرب العالمية الثانية ، مع ان البعض بقي يكتب فيها حتى فترة متأخرة . وفي الواقع ، ان هذه المفارقة التي قد تثير الاستغراب كانت ترتبط بالظروف التي احاطت بالالبانيين في يوغسلافيا .

كان الهدف من يوغسلافيا هو تشكيل دولة تجمع الشعوب السلافية الجنوبية ، ونظراً لأن الشعب الألباني لا ينتمي الى الجنس السلافي ، فقد كان الألبانيون « شيئاً زائداً » في الدولة السلافية الجديدة . وفي الواقع ، كانت هذه الدولة تدعى « مملكة الصرب والكرواتيين والسلوفينيين» ، اي انها كانت تعترف فقط بوجود ثلاثة شعوب فيها ، ولذلك كان الألبانيون يشكلون « حالة شاذة » في إطار هذه الدولة . وللتخلص من هذه « الحالة الشاذة » مارست السلطة في يوغسلافيا القديمة (١٩١٨ ـ ١٩٤١) سياسة علنية تهدف الى رمي هؤلاء الألبانيين خارج الحدود . وقد تحولت يوغسلافيا في ذلك الحين كما وصفها الرئيس تيتو ، الى بلد نموذجي من حيث الاضطهاد القومي في اوروبا .[1] وفي اطار هذا السجن الكبير تركز الإرهاب على الألبانيين والمسلمين ، مما جعلهم محرومين من أية حقوق قومية وثقافية ، حتى ان اللغة الألبانية كانت ممنوعة في ذلك الحين ، وقد كان الهدف من هذا وضع الألبانيين في حالة تخلف كاملة ، من الناحية الاقتصادية او الثقافية ، لدفع الألبانيين الى اليأس من وجودهم والى البحث عن الخلاص في الهجرة الى الخارج وفي هذه الحالة ، حيث تجاوزت نسبة الأمية ٩٠٪ كان المرء يترحم على « التخلف » الذي كان في هذه المناطق خلال العهد العثماني .[2]

(1) Josip Broz Tito, Gështja kombëtare dhe vetëqevrisja, Prishtinë 1976 , p. 7 .

(٢) حول وضع الالبانيين في يوغسلافيا القديمة ١٩١٨ ـ ١٩٤١ لدينا وثائق كثيرة لدى :
Dr. Hakif Bajrami, Rrethant shoqëore dhe politike në Kousovë më 1918 - 1941 , Prishtinë 1981 .

في هذه الظروف ، لم يكن للألبانيين إلا التراث الذي بقي لهم من أيام الامبراطورية العثمانية . وهذا التراث كان في معظمه في الأبجدية العربية . نظراً لأن الألبانيين في الشمال في كوسوفاKosova ومكدونيا كانوا من المتعصبين للأبجدية العربية . ونظراً لسياسة التجهيل التي مورست على الألبانيين في يوغسلافيا القديمة ، فقد انحصر النشاط الثقافي في كوادر المدارس الدينية النادرة التي بقيت ، بعد ان كان عدد المدارس في هذه المناطق يقارب المئة في العهد العثماني في بداية القرن ١٩ [١] ، وفي تكايا الطرق الصوفية . وقد كان من الطبعي ان تستمر الكتابة في اللغة الألبانية بالابجدية العربية نظراً لان التعليم في تلك المدارس النادرة التي بقيت كان يحافظ على الارتباط بالشرق . ففي تلك المدارس كانت المواد الرئيسية هي اللغة العربية ، والخط العربي ، والقرآن والحديث والفقه والعقائد والأدب العربي . وفي هذا الاتجاه تابع المثقفون الذين استمروا من العهد العثماني في تقاليد الكتابة بالأبجدية العربية ، كما انضم اليهم فيما بعد عدد من الشعراء الذين كانوا في غالبيتهم من اساتذة وخريجي المدارس الدينية القليلة التي استمرت في العهد اليوغسلافي . وبالاضافة الى هؤلاء ، برز ايضا بعض الشعراء من مشايخ ودراويش الطرق الصوفية ، الذين نشئوا داخل التكايا الغنية بالمخطوطات والكتب الشرقية . وفي اطار النشاط الثقافي الذي استمر به هؤلاء كان الشعر سائدا في هذه المرحلة التي استمرت حتى بداية الأربعينيات . وفي هذه المرحلة اقتصرت كتابة الشعر في اللغة الألبانية على الأبجدية العربية ، وبرز في هذا الاتجاه شعراء كثيرون كالشيخ حلمي مالكيSheh Hilmi Maliqi وشعيب زورناجي Zurnaxhiu Shiap وفائق مالكو . Faik Maloku وغيرهم . [٢]

(1) Rexhepagiq , Zhvillimi ... , p. 39 .

(٢) حول هؤلاء الشعراء انظر الفصل الاخير من الكتاب .

في مطلع الأربعينيات عايشت الأبجدية العربية في يوغسلافيا تراجعاً كبيراً نظراً للتغيرات التي طرأت على المنطقة فقد حطمت القوات الألمانية يوغسلافيا سنة ١٩٤١ وجزأتها على أساس قومي ، مما ادى الى ضمّ الألبانيين في كوسوفا ومكدونيا اليوغسلافية الى البانيا ، التي تحولت الآن الى « البانيا الكبرى » ، وذلك لكسب ود الشعب الألباني . وما يهمنا هنا ان هؤلاء الألبانيين عادوا بعد انقطاع طويل الى التواصل مع الثقافة الألبانية ، التي كانت قد تطورت كثيراً خلال الفترة الماضية على أساس الأبجدية اللاتينية . وفي هذا الاتجاه ، قامت حكومة « البانيا الكبرى » بفتح المدارس المختلفة فوراً في هذه المناطق ، التي كانت محرومة من اللغة الألبانية في فترة يوغسلافيا القديمة . وكان من الطبعي ان يجري التعليم في هذه المدارس على أساس الأبجدية اللاتينية ، نظراً لأن الدولة الألبانية كانت قد تبنّت رسمياً هذه الأبجدية منذ البداية كما مرّ بنا في السابق . ومع انتشار التعليم في الأبجدية اللاتينية ، بالاضافة الى تدفق الأدبيات الألبانية من تيرانا ، نشأ أول جيل يكتب بالألبانية في الأبجدية اللاتينية في هذه المناطق . وقد برز من هذا الجيل طليعة الشعراء ، الذين أرسوا الأساس للشعر والأدب في اللغة الألبانية بالأبجدية اللاتينية مثل اسعد مكولي Esad Mekuli ومارك كراسنيشي Mark Krasniqi وغيرهم .(١)

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية تشكلت الخارطة الحالية للبلقان التي اعادت شمل هؤلاء الألبانيين بيوغسلافيا الحديثة . وقد تميزت يوغسلافيا الحديثة من تلك القديمة باعترافها بالحقوق القومية الثقافية

---

(١) حول هذا الانعطاف الكبير لدينا اعترافات الشاعر اسعد مكولي ، الذي عايش كلّ هذه المرحلة والتغيّرات التي حدثت خلالها

Esad Mekuli, Kujtime 11, Fjala nr. 22, prishtinë 1981.

للألبانيين ، ولذلك استمر التعليم في اللغة الألبانية دون انقطاع في تلك المدارس التي كانت قد فُتحت في فترة « البانيا الكبرى » . ونظراً لأن تلك المدارس كانت قد أرست التعليم بالأبجدية اللاتينية فقد استمرّ هذا التقليد في يوغسلافيا الحالية ، مما ادى الى تراجع فوري للأبجدية العربية . ومما ساهم في هذا التراجع اقفال المدارس الدينية في بداية العهد اليوغسلافي الحالي ، الذي ابقى على مدرسة واحدة فقط لدى الألبانيين . [1] وعلى الرغم من هذا استمرت الكتابة الألبانية بالأبجدية العربية لعدة سنوات اخرى ، حتى الخمسينيات وبداية الستينيات ، الى أن تلاشى الجيل الاخير من الشعراء الذين كانوا قد تمرسوا على الكتابة بالأبجدية العربية منذ الفترة الماضية . ومن هذا الجيل بقي شاعر واحد يعيش أيامه الأخيرة ، الشيخ فيصل Sheh Vesel ، الذي ستؤدي وفاته الى اغلاق الصفحة الاخيرة في تراث الكتابة الألبانية بالأبجدية العربية لدى الألبانيين في يوغسلافيا .

وفي النهاية ، بقي علينا أن نشير الى أن الكتابة الألبانية بالأبجدية العربية استمرت ايضاً خلال هذه الفترة خارج البلقان ، وبالتحديد في تركيا وسوريا ، حيث يعيش اكثر من مليوني ألباني ، أي ما يوازي عدد السكان في ألبانيا تقريباً . [2] وقد يبدو من الطبيعي ان تستمر تقاليد الكتابة بالأبجدية العربية لدى هؤلاء الألبانيين ، نظراً

---

(١) هذه المدرسة ، مدرسة « علاء الدين » ، تأخر فتحها حتى تشرين الثاني ١٩٥١ . حول هذه المدرسة ونشاطها انظر :

I. Lanza , Pasqyrë e shkurtër e veprimtaisë së medresës në Prishtinë , Edukata islame nr. 15 - 16 , Prishtinë 1976 , pp. 73 - 107 .

(٢) حسب اعترافات رئيس الجمهورية التركية السابق جواد سوناي ، وذلك في حديث رسمي خلال سنة ١٩٦٩ ، كان عدد الألبانيين يتجاوز المليونين في تركيا وحدها . انظر :

Mark Krasniqi , Gjurme e gjurmime , Prishtinë 1979 , P . 49

لتواجدهم في الشرق . وقد صدر عن هؤلاء أخيراً كتاب في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية سنة ١٩٧٠ ، الذي يعتبر آخر كتاب يُنشر في هذه الأبجدية . ويحمل هذا الكتاب عنوان « منظومة المولـود في فضل الموجود بلسان الأرنؤد » للشاعر زين الله اوزيشار ، الـذي يعتبر أيضاً آخر عرض شعري في اللغة الألبانية لسيرة الرسول محمد (ص) . وتفيد قراءة المقدمة أن الشاعر قد انتهى من عملـه هذا في دمشق الشام سنة ١٩٧٠ .[1]



(١) زين الله اوزيشار ، منظومة المولود في فضل الموجود بلسان الأرنؤد ، ص ٥ من المقدمة .

الفصل الثالث

الأدب الألباني الجديد

مع أن الأدب الألباني بالأبجدية العربية يتمتع بأهمية تاريخية كبيرة ، فقد تعرض هذا الأدب الى تجاهل وازدراء حتى منتصف هذا القرن . وقد برز هذا الموقف على السطح منذ بداية الاستقلال الألباني ، ومع تبني الأبجدية اللاتينية بشكل حاسم في الدولة الجديدة منذ سنة ١٩٢٠ ، الذي عزّز اتجاه التغرّب في الدولة الألبانية . وما يثير هنا ان هذا التغرب كان لا يعني فقط الانفكاك عن الشرق ، وانما حتى التحرّر من تراث الشرق الذي تراكم لعدة قرون لدى الألبانيين . فمع بداية استقرار الدولة الألبانية ، وتشكّل المؤسسات والمنابر الثقافية فيها ، ظهر هذا التغرب بوضوح في مجال الأبحاث والتنقيبات ، التي هدفت الى بعث التاريخ والأدب الألباني منذ اقدم العصور وفي هذا الاتجاه قام العلماء والباحثون بتركيز كل اهتمامهم على البحث عن النصوص الألبانية التي كُتبت فقط بالأبجدية اللاتينية أو اليونانية ، بينما لم يكن هناك أي اهتمام بالتراث المكتوب في الأبجدية العربية .[1] وقد استمرّ هذا الاهتمام والبحث سنوات طويلة ، بذل فيها العلماء جهوداً هائلة للكشف عن أيّ نص ، وحتى عن أية جملة ، في الأبجدية اللاتينية أو اليونانية بينما تجاهلوا تماماً النصوص والمؤلفات الكثيرة التي كتبت في الأبجدية العربية . ومما يؤسف له أن الباحثين المتغرّبين في ذلك الوقت كانوا يعاملون بازدراء هذه النصوص لسببين لا ثالث لهما : لكون هذه النصوص مكتوبة بالأبجدية العربية ، ولأن هذه النصوص تحتوي على المفردات العربية

(1) Osman Mydrrizi , Tekstet e Vjetra Shqip me alfabtin arab , Konferenca e studimeve albanolojike , Tirane 1965 , P .288 .

وغيرها .[1]

وفي الواقع كان لهذا الأحادي ، الذي يتناقض مع روح العلم ، نتائج سيئة في عدة اتجاهات . فقد أدى عدم الاهتمام منذ البداية بالتراث الألباني في الأبجدية العربية الى تلف وضياع واحراق الكثير من المخطوطات مما أدى الى تلاشي ثروة لا تقدر . ويعود هذا الى أن القسم الأكبر من هذا التراث كان مخطوطاً ، بينما لم يُنشر منه إلاّ قسم ضئيل للغاية . ويكفي للتدليل على هذا أن نشير الى أن هذا التراث كان يحترم في السابق . وحتى من المتغربين ، نظراً للابداعات التي اشتهر بها شاعران فقط ، ابراهيم نظيمي Ibrahim Nezimi ومحمد تشامي Muhamet Gami . وقد جاءت شهرة هذين الشاعرين بسبب قيام بعض المهتمين بنشر اعمالهما الشعرية منذ القرن التاسع عشر . فقد قام العالم الألماني في الألبانيات هان Hahn بدراسة نتاج الشاعر نظيمي وترجمة بعض قصائده الى الألمانية ، في كتابه المعروف « دراسات ألبانية » الذي صدر سنة ١٨٥٤ .[2] والى جانب هذا قام احد المهتمين بنشر القصة « أروى » للشاعر تشامي سنة ١٨٨٨ ، بعد أن حوّلها من الأبجدية العربية الى الأبجدية اللاتينية . وربما كان من حقنا هنا أن نتخيّل مدى ما فقد من هذا التراث ، نتيجة لعدم الاهتمام به وعدم نشر ما يستحق من المخطوطات الأدبية على الأقل ، قبل ان تتعرض للتلف والضياع .

وفي هذا الوضع ، كان من الطبيعي أن يؤدي تجاهل هذا التراث و (اللامبالاة به) الى جهل كبير بقيمة هذا التراث . وما يثير هنا حقاً ان يعمد المتغرّبون ، الذي كانوا يزدرون هذا التراث ويجهلون

(1) Ibid . P .288

(2) J .G .Hahn , Albanesiche Studien , II , Pesth 1854

بطبيعة الحال قيمته ، الى الكتابة عن هذا التراث وتقييمه في الكتب والدراسات التي تتناول تاريخ الأدب الألباني . وفي الواقع لقد أساء هؤلاء المتغرّبون الى هذا التراث مرتين على الأقل : حين تجاهلوا هذا التراث ـ وقد يكون هذا من حقهم ، وحين كتبوا عن هذا التراث من موقع الازدراء به ، وهذا بالطبع ليس من حقهم . وتبدو نتيجة هذا الموقف بوضوح في أول وأكبر عمل لتاريخ الأدب الألباني ، منذ أقدم عصوره ، الذي صدر في جزأين في تيرانا تحت عنوان « الكتّاب الألبانيون » ، وذلك سنة ١٩٤١ .(1)

ففي هذا الكتاب ، الذي يصل عدد صفحاته الى ٣٦٠ صفحة ، يفاجأ المرء بالمدى الذي وصل اليه مسخ وتشويه الأدب الألباني ، من قبل الباحثين الذي كانوا يتمتعون بنفوذ كبير في ألبانيا في ذلك الحين . فقد اشتمل هذا الكتاب ، الذي يتعرّض للأدب الألباني خلال فترة واسعة ١٤٦٢ ـ ١٨٧٨ ، على واحد واربعين كاتباً وأديباً من مختلف المناطق ومن كل هؤلاء لا نجد سوى أديبين مسلمين من الجنوب ، مع أن المسلمين كانوا يشكلون غالبية الشعب الألباني في تلك الفترة .

وفي الفصل الخاص الذي يتناول « أدب المسلمين » يكتفي المؤلف بذكر اسماء ٣ ـ ٤ شعراء فقط ، من الذين كانت لهم شهرة كبيرة منذ القرن التاسع عشر . وعلى الرغم من أن المؤلف يعترف بالتقصير الكبير ، لكونه لم تجر الى ذلك الحين عملية تنقيب مُنظمة عن هذا النتاج ، إلا أنه يسمح لنفسه بمحاكمة صارمة لأدب المسلمين في ألبانيا تقوم على أن هذا الأدب « بعيد عن أي إلهام وعن أي شعور وطني » ! .(2) ومع نفي القيمة الفنية لهذا الأدب يصدر المؤلف

(1) Shkrimtarët Shqiptarë , Pjesa I (1462 - 1878) , Tiranë 1941 .

(2) Ibid . , P .94

حكمه العام بالاعتراف بالقيمة التاريخية فقط لأدب المسلمين في ألبانيا .[1]

ويبدو أن هذا المسخ والتشويه للأدب الألباني بالأبجدية العربية ، الذي كان نتيجة لعدم الاهتمام بالبحث والتنقيب عن المصادر المخطوطة ونشرها ، قد دفع الطرف الآخر الى البدء بالعمل لبعث هذا التراث . ومع ان هذه العملية جاءت متأخرة إلا انها تمكنت أخيراً من تغيير الموقف من هذا التراث ومن إعادة كتابة تاريخ الأدب الألباني على ضوء المكتشفات الجديدة .

وفي الواقع ، ان هذه العملية بدأت بشكل متواضع في الثلاثينيات ، مع أن الظروف كانت مؤهلة قبل هذا التاريخ لانجاز هذا العمل . ونقصد هنا بالظروف وجود العلماء ، الذين كانوا على معرفة ممتازة بالتراث العربي وبالتراث الألباني بالأبجدية العربية ، إضافة الى وجود بعض المجلات الدينية الثقافية ، التي كانت منبراً ملائماً سواء لنشر الأبحاث حول هذا التراث أو لاعادة نشر شيء من هذا التراث بالأبجدية اللاتينية ، التي كانت تطبع بها تلك المجلات الاسلامية . وفي هذا الاتجاه ، قامت المجلة الدينية الثقافية « الصوت السامي » Zani i Naltë بنشر نداء موجّه الى الألبانيين المسلمين للقيام بحملة لجمع الوثائق التي تبينّ « اسهام الكتاب المسلمين القدماء في التطور الأدبي للغة الألبانية » .[2] ويبدو ان هذا النداء لقي استجابة طيبة من المثقفين نظراً لأن هذه المجلة نشرت خلال عامي ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ ديواناً نادراً للشاعر نظيمي ، الذي

---

(1) Ibid .

(2) H . (Hafiz Ali Korga ?) , Shkrimtarët muslimanë , Kultura Islame , Tiranë Pril - maj 1943 ,P . 90

اعتبر في حينه اكتشافاً عظيماً .(١) وفيما بعد ، قامت مجلة دينية ثقافية اخرى ، الثقافة الاسلامية Kultura Islame ، بتبنّي هذا الموضوع في بداية الأربعينيات وقد نشرت هذه المجلة خلال هذه الفترة بعض الدراسات حول الأدب الألباني بالأبجدية العربية ، كما نشرت بعض القصائد الشعرية من هذا الأدب .(٢)

ومع أن هذه البداية كانت متواضعة ، إلا أنها شجعت كثيراً على المضي في هذا الاتجاه . ومع نهاية الحرب العالمية الثانية ، وقيام النظام الحالي في ألبانيا ، جرت أكبر عملية للتنقيب عن المخطوطات الألبانية المكتوبة بالأبجدية العربية ، وذلك بفضل وإشراف العالم عثمان مدرّسي Osman Myderrizi . وقد هدفت هذه العملية الواسعة التي بدأت سنة ١٩٥٠ الى مسح كل ألبانيا ، لمعرفة ما فيها من مخطوطات ألبانية مكتوبة بالأبجدية العربية ، وذلك تمهيداً لفهرستها والبحث فيها . وخلال ثلاث سنوات ١٩٥٠ - ١٩٥٣ ، أدت هذه العملية الى اكتشاف « أدب واسع ومجهول يتضمّن القصص الشعرية والملاحم والدواوين والقصائد المختلفة ، » مما أدى الى إعادة كتابة تاريخ الأدب الألباني . واستناداً الى هذه الاكتشافات الهامة صدر أخيراً في تيرانا « تاريخ الأدب الألباني » سنة ١٩٥٩ ، الذي أعاد الاعتبار للأدب الألباني بالأبجدية العربية .(٣)

وقد شهدت الخمسينيات ايضاً بداية الاهتمام بالأدب الألباني في

---

(1) Shetos , Nezim Ibrahim Frakulla nga Berati . Kultura Islame , nr . 5 - 6 - 7 , Tiranë 1942 , P . 165

(2) H . Ali , I njeri Hasan Zyko Kamberi 200 vjet përpara , Kultura Islame , nr . 7 - 8 , Tiranë 1944 , Pp .201 - 204

(٣) حول هذه العملية ونتائجها انظر :

Mydrrizi , Tekstet ... , P .289

الأبجدية العربية في يوغسلافيا . ويعود الفضل في المبادرة الى هذه العملية للأستاذ مارك كراسنيشي Mark Krasniqi ، الذي خدم هذا الأدب مع عدم معرفته للغة العربية وللأبجدية العربية .(١) وخلال الخمسينات وبداية الستينات قام المستشرق الألباني حسن كلشي Hasan Kaleshi بالبحث في هذا الأدب والتعريف به في المجال اليوغسلافي .(٢) وبعد فترة من الانقطاع قام باحث آخر ، محمد بيراكو Muhamet Pirraku ، بجهد كبير في البحث عن المخطوطات الشعرية في الأبجدية العربية ، التي نشر حولها بعض الدراسات في اللغة الألبانية .(٣) ومع هذا ، بقي هناك في يوغسلافيا الكثير من العمل لانجاز البحث عن مصادر الأدب الألباني بالأبجدية العربية .

ان هذا الأدب الألباني بالأبجدية العربية برز كأدب جديد ، سواء في الشكل أو المضمون ، في تاريخ الأدب الألباني ، نظراً لأنه كان نتاج الحياة الجديدة التي ترسّخت لدى الألبانيين ، منذ القرن الخامس عشر . ونرى من الضروري هنا ان نتعرّف على هذه الحياة الجديدة ، قبل أن ننتقل للتعرف على هذا الأدب الجديد .

---

(1) Mark Krasniqi , Sheh Hilmi Maliqi , Jeta e re , nr . 3 , Prishtinë 1953 , pp . 260 - 266 ;

Shaip Zurnaxhiu , Jeta e re . nr . 2 , Prishtinë 1954 , pp . 96 - 100 .

(2) Hasan Kaleši , Prilog Poznavanju arbanske Književnosti iz veremena Preporoda , Godišnjak I . Balkanološkog Instituta , Sarajevo 1956 , pp . 352 - 386 ;

Albanska aljamiado Književnost , POF XVI - XVII , Sarajevo 1966 - 67 , Pp . 49 - 76 .

(3) Muhamet Pirraku , Gjurmä të krijimtarisë letrare qipe me alfabet arab në Kosovë I (Dituria . ne . 1 - 2 , prishtinë 1978 , Pp . 79 - 125) ; II (Gjurmime albanologjike - Seria e Shekencave filologjike , nr . IX , Prishtinë 1979) ; III (Gjurmime albanologjike - Seria e Shkencave filologjike . nr . X , Prishtinë 1980 . Pp . 203 - 224) ;

كان أجداد الألبانيين ، كما قرأنا في الفصل الأول ، قد خسروا استقلالهم السياسي منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، مما اعقب هذا خضوعهم للامبراطورية العثمانية . وبعد انقسام الامبراطورية الرومانية ، استمرّ خضوع المناطق الألبانية للامبراطوريات اللاحقة ، التي سيطرت على البلقان ، كالامبراطورية البيزنطية والبلغارية والصربيّة . ومع تقدّم العثمانيين الى البلقان ، في القرن الرابع عشر ، كانت معظم المناطق الألبانية خاضعة للدول المجاورة . وفي هذه الفترة كان الوجود الألباني يقتصر على وجود بعض الأمراء الأقطاعيين الذين كانوا يحاولون الاستمرار عبر تناقضات الدول المجاورة . ونتيجة لهذه الأوضاع التي عاقت بروز دولة قومية للألبانيين كانت المناطق الألبانية تعايش تخلفاً في الحياة الاقتصادية والثقافية القومية . فقد أدى عدم قيام الدولة القومية والكنيسة القومية ، كما لدى الشعوب المجاورة ، الى غياب المؤسسات التي تهتم بالتعليم والثقافة ، مما أدى بدوره الى تأخر بروز أدب ما في اللغة الألبانية ، التي بقيت تعاني من عدم التدوين حتى ذلك الحين . وحتى الآن ليس لدينا ما يثبت وجود ادب الباني ما حتى القرن الرابع عشر ، أي حتى قدوم العثمانيين الى المناطق الألبانية .(1)

تقدّم العثمانيون نحو المناطق الألبانية في منتصف القرن الرابع عشر ، ويبدو أنهم استطاعوا أن يكسبوا بعض الألبانيين خلال تلك الفترة . وفي أواخر هذا القرن ، تقدم العثمانيون في البقان بعد أن انتصروا في معركة كوسوفاKosova الحاسمة سنة ١٣٨٩ ، التي هزموا فيها جيوش التحالف البلقاني المسيحي . وما يثير هنا أن الألبانيين

(1) Dhimitër S . Shuteriqi , Shkrimet Shqipe në vitet 1332 - 1850 , Prishtinë 1978 .

كانوا يحاربـون على جبهتـين ، إذ إن قسماً منهـم كان يحـارب مع العثمانيين ، بينما كان القسم الآخر يحارب ضد العثمانيين مع جيوش التحالف .[1] وقد اهتم العثمانيون كثيراً بكسب الألبانيين ، نظراً لما كان يتمتع به هؤلاء من شهرة كبيرة كمحاربين أشداء . إلا أن الأمور تأزمت وتحولت في اتجاه آخر خلال القرن الخامس عشر . ففي منتصف هذا القرن ، سنة ١٤٤٣ ، ارتدّ أحد الأمراء الأقطاعيين الألبانيين عن الأسلام ، الذي عُرف في التاريخ باسمه الاسلامي اسكندر بك Skënderbeu ، وأعلن الثورة على الوجود العثماني للاستقلال بالمناطق الألبانية . إلا أن هذا كان مرتبطاً بتحريض وتأييد بعض الدول المسيحية المجاورة ، التي كانت تخشى من تقدم « الخطر الاسلامي » . فبعد تأييد البندقية له ، وضع اسكندر بك مصيره في يد الفونس الرابع ، ملك نابولي ، الذي كان يحلم بقيادة حملة صليبية جديدة تقضي على العثمانيين في البلقان وتؤدي الى خلق امبراطورية متوسطية تحت زعامته .[2] وخلال ربع قرن تقريباً ١٤٤٣ ـ ١٤٦٨ ، صرفت الامبراطورية العثمانية كل طاقتها العسكرية للقضاء على اسكندر بك ، الى الحد الذي اضطر فيه السلاطين الى قيادة الحملات العسكرية بأنفسهم . فبعد فشل السلطان مراد الثاني خلال سنوات ١٤٤٥ ـ ١٤٥٠ ، قام السلطان محمد الفاتح بقيادة جيوش جرارة خلال سنوات ١٤٦٣ ـ ١٤٦٧ ، الى أن تمكن اخيراً من القضاء على القوة العسكرية لاسكندر بك ، مع أن عاصمته كرويا بقيت تقاوم حتى ١٤٧٨ .[3]

كان لهذه الحركة العسكرية ـ السياسية التي قادها اسكندر بك ،

(1) Skender Rizaj , Kosova Shekujve XV , XVI dhe XVII , Prishtinë 1982 , P . 17 .

(2) Fan S . Noli , Gjergj Kastrioti Skënderbeu , Prishtinë 1968 , Pp . 109 p 120

(3) Kristo Frasheri , The History Of Albania , Tirana 1964 , Pp . 85 - 87 .

نتائج خطيرة وبعيدة المدى فيما يتعلق بالاسلام ، لا في البلقان وحسب وانما في اوربا بشكل عام . فالمؤرخون يتفقون على أن هذه الحركة تمكنت من شلّ الطاقة العسكرية للامبراطورية العثمانية لفترة طويلة ، مما عاق هذه الامبراطورية من متابعة فتوحاتها في اتجاه اوربا الغربية . وقد اعترف بهذا البابا كاليكست الثالث (١٤٥٥ - ١٤٥٨) الذي أشاد باسكندر بك في ذلك الحين لأنه « أقام سداً منيعاً أوقف وراءه الفيضان التركي ومنعه من أن يجتاح اوربا المسيحية ».[1] وقد كان هذا واضحاً في ذهن السلطان محمد الثاني ، الذي كان يحلم بفتح روما بعد القسطنطينية ، ليحول البحر الأبيض الى بحيرة اسلامية . إلا ان عاصمة اسكندر بك ، مدينة كرويا Kruja التي تقع في منتصف الطريق بين القسطنطينية وروما ، كانت هي العقبة في وجه مشروعه . وحين سقطت هذه العاصمة أخيراً ، سنة ١٤٧٨ ، انفتح الطريق في اتجاه روما وأعقب هذا فوراً الانزال العثماني في الشاطىء الايطالي ، في أوترانتوOtranto سنة ١٤٨٠ . إلا أن وفاة السلطان في السنة اللاحقة (١٤٨١) أدى الى انقاذ روما ، لأن خليفته السلطان بايزيد الثاني لم يكن مهتماً بالفتوحات في هذا الاتجاه .[2]

بعد هذه التطورات شهدت المناطق الألبانية استقراراً واضحاً ، مما أتاح الانتشار للاسلام في صفوف الألبانيين . وقد بدأ هذا الانتشار بوضوح منذ منتصف القرن الخامس عشر ، حيث تشير الوثائق الى بعض الحكام الألبانيين الذين اعتنقوا الاسلام خلال تلك الفترة . وبعد قرن فقط ، كان نصف الألبانيين من أهل المدن قد اعتنقوا الاسلام ، بينما أصبح الاسلام سائداً في القرى الألبانية في القرن

(1) Noli , Gjergi ... , P . 153 .

(2) Ibid . , P . 26 .

السابع عشر . وفي الواقع ، لقد شهد القرن السابع عشر ذروة انتشار الاسلام في صفوف الألبانيين ، إذْ أصبحت غالبية الألبانيين منذ هذا القرن في صف الاسلام . ويثير هذا التحوّل الجماعي للألبانيين نحو الاسلام اهتمام الباحثين نظراً لأنه يشكل ظاهرة في ذاتها . ويعود هذا إلى أن الألبانيين هم الأمة الوحيدة في البلقان ، التي اعتنقت الاسلام بغالبيتها .(١)

ومع استقرار الادارة العثمانية وانتشار الاسلام في المناطق الألبانية حدث تحوّل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية أدى الى نهضة ثقافية كبيرة . فقد ازدهرت المدن بشكل سريع ، وخاصة تلك المدن التي كانت تتمتّع بأهمية ما في السابق ، مع قدوم الحرف الكثيرة من الشرق ، مما انتهى الى ازدهار الانتاج الحرفي والتجارة بشكل واضح . وبالاضافة الى هذا ، ازدهرت الحياة الاجتماعية والثقافية في هذه المدن مع انتشار الاسلام ، الذي حوّل هذه المدن الى مراكز شرقية خلال فترة قصيرة . فبعد قرن واحد فقط على استقرار الإدارة العثمانية وانتشار الاسلام تغيّر طابع المدن في هذه المناطق مع بروز المنشآت العمرانية الجديدة ، التي تحولت الى قاعدة للحياة الاجتماعية والثقافية الجديدة .

ففي هذه المناطق ، كان من الطبيعي أن تلجأ الادارة العثمانية الى إنشاء الحصون لحماية المدن ، وقد أدى هذا الى بناء الجامع بالقرب من الحصن ، لتأدية الشعائر الدينية . ونظراً لأن الطهارة تحتلّ مكانة مميزة في الدين الاسلامي ، فقد ارتبط بناء الجامع بشق القنوات للمياه النظيفة وبناء السُبل العامة في الشوارع ، كما أدى الاهتمام بالطهارة الى تشييد الحمامات في المدن .(٢) وبالاضافة الى هذا ، فقد ارتبط قيام

(1) Kaleši , Alanska ... , P . 49 .

(2) Kosovo nekad i danas - Kosova dikur e sot , Beograd 1973 , P . 137 .

الجوامع في هذه المدن بتأسيس المدراس الابتدائية والثانوية نظراً لأنّ كل جامع تقريباً كانت تُلحق به مدرسة ابتدائية . وقد أدى هذا كلّه الى تغيير جذري في مجتمع هذه المدن وذلك بتشكّل القوى الاقتصادية الجديدة (أصحاب الحرف الجديدة ، العاملون في المنشآت الجديدة ، والتجار الخ) والشرائح الاجتماعية الجديدة (الشيوخ ، الأئمة ، الخطباء ، المؤذّنون ، الأساتذة ، المعلّمون ، الطلاب الخ) .

وحين نصل الى القرن السابع عشر ، الذي وصل فيه انتشار الاسلام الى ذروته ، نجد أن تطوّر المدن الاقتصادي والاجتماعي والثقافي قد قطع شوطاً كبيراً حتى انتهى الى تشرّق هذه المدن . وقد تأصل هذا التشرّق في القرن السابع عشر الى ذلك الحد الذي اصبحت فيه هذه المدن امتداداً للشرق ، في تقاليده الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية . فقد تراجع في هذا القرن الاقتصاد الطبيعي وحلّ مكانه الاقتصاد النقدي نظراً للتطور الكبير الذي لحق بالحرف الجديدة ، مما أدى الى ازدهار التجارة الداخلية . وقد قامت التجارة الداخلية بدور كبير في انفتاح بعض المدن الألبانية على بعضها الآخر ، وفي انفتاح القرية على المدينة ، مما انتهى الى خلق تواصل واسع بين الالبانيين (1) . وما يهمّنا هنا ان تطور الحرف وازدهارها قام على نظام الأصناف الذي ارتبط بالطرق الصوفية التي انتشرت في المناطق الألبانية ، حيث ان كل حرفة وكل صنف كان يرتبط باحدى الطرق الصوفية . وكان هذا الارتباط يشتمل على الالتزام بشعائر الطرق الصوفية في تنظيم الحياة الحرفية . واستناداً الى هذا ، فقد اكتسبت هذه الحرف دوراً اقتصادياً ـ اجتماعياً وثقافياً في المدن الألبانية .

(1) Grup autorësh , Historia e Letërsisë shqipe I - II , Prishtinë 1975 , P . 186 .

وهذا التشرّق المثير للمدن الألبانية ، الذي تمّ خلال قرنين فقط ، قد يتضّح اكثر مع هذه الأمثلة لبعض المدن في القرن السابع عشر ، حيث يشير فيها حجم وانتشار المنشآت الاقتصادية ـ الاجتماعية والثقافية الجديدة :

مدينة بريزرن Prizren اصبحت في القرن السابع عشر من أكبر المدن في البلقان . [1] ففي ذلك الوقت كانت المدينة تلفت النظر لعدة أمور :

ـ طفرة كبيرة في الحياة الاقتصادية مع تطور الحرف الجديدة ، وخاصة صناعة السيوف والبنادق ، التي كانت تقتصر على المسلمين فقط .

ـ ازدهار كبير للتجارة ، التي قامت بدورها على الانتاج الحرفي ، حتى أن القوافل المحملة بالأسلحة كانت تخرج من بريزرن لتصل الى مصر . [2]

ـ انتشار الجوامع والمدارس العليا والمكتبات العامة مما أدى الى ازدهار ثقافي لا يوصف ، حتى أن بريزرن اشتهرت في العصر العثماني باسم « مهد الشعراء » ، حيث برز فيها شعراء كانوا يتمتّعون بشهرة كبيرة على المستوى الامبراطورية العثمانية . [3]

مدينة سكوبيه Skopje كانت في ذلك القرن من أكبر المدن في البلقان ايضاً . ففي ذلك الوقت نجد في تلك المدينة ما يلي :

---

(1) Kosovo nekad ... , P . 922 .

(2) Dr . Hasan Kaleshi , Shenime nga e Kaluemja e Prizrenit gjatë periodës turke , Përparimi nr . 7 - 8 , Prishtinë 1961 , Pp . 505 - 506 .

(3) Kaleshi , Roli i Shqiptarëve ... , Pp . 156 - 164 .

- ٢١٥٠ (دكان) .

- ٤٥ جامعا و ٧٥ مسجدا .

- ٢٠ تكية .

- ٧٠ مدرسة ابتدائية .

- ٥ مدارس عليا .

- ٩ مدارس خاصة لقراءة وتجويد القرآن .

- ٧ فنادق مجانية لا يدفع فيها العابرون شيئاً .

- اكثر من الف حمّام عبر البيوت الخاصة بالاضافة الى عدة حمّامات عامة .[١]

مدينة مناستير Manastir كانت تتمتّع بأهمية اقتصادية كبيرة في ذلك الوقت . ففي القرن السابع عشر كانت هذه المدينة تحتوي على :

- ٧٠ جامعا .

- ٩٠٠ (دكان) .

- ٤٠ مقهى .

- عدد كبير غير محدود ، من المدارس الابتدائية والعليا .[٢]

مدينة إلباسان Elbasan تقدم نموذجاً فريداً . فقد أسّسها العثمانيون في القرن السادس عشر ، وخلال قرن واحد تحولت هذه المدينة الى عاصمة للثقافة الشرقية .[٣]

---

(1) Evlia Čelebi , Putopis , Sarajevo 1979 , pp . 280 - 286 .

(2) Ibid . , pp . 306 - 307 .

(3) A .V . Desnickaja , Gjuha shqipe dhe dialektet e saj , prishtinë 1971 , 164 .

وفي القرن السابع عشر نجد في هذه المدينة :

- ٤٦ جامعاً و ٢٠ مسجداً .

- ١١ تكية .

- مدارس ابتدائية كثيرة وعدة مدارس عالية .[١]

مدينة تيراناTirana ، عاصمة ألبانيا الحالية ، تأسّست في بداية القرن السابع عشر ، وبعد نصف قرن فقط ، حين زارها الرحالة أوليا شلبي سنة ١٦٦٤ ، كانت هذه المدينة تغصّ (بدكاكين) الحرف والتجارة والجوامع والمدارس .[٢]

وكان من أهم جوانب هذا التشرّق انتشار التعليم في المناطق الألبانية الذي ادى الى نهضة ثقافية كبيرة . وفي الواقع ان انتشار التعليم كان مرتبطاً بانتشار الاسلام في هذه المناطق . ففي إطار كلّ جامع تقريباً كان يقام الكتّاب ، الذي كان يقوم مقام المدرسة الابتدائية في عصرنا . وفي البداية انتشرت هذه الكتاتيب في المدن الرئيسية اولاً ، ثم اتّسعت شبكتها لتشمل المدن الاخرى والقرى ، في حالة وجود جامع او مسجد فيها . وحتى في القرى الصغيرة ، التي كانت في حاجة الى جامع أو مسجد ، كان يأتي المعلمون من حين الى آخر لتعليم الأطفال .[٣] ومع مرور الزمن ازداد عدد هذه الكتاتيب في المناطق الألبانية الى أن وصل عددها الى عدة مئات في القرن السابع عشر . وفي هذه الكتاتيب كان التعليم يتركز حول القرآن الكريم ،

(1) Kaleši , Prilog ... , p . 354 .

(2) Desnickaja , Gjuha ..., p . 164 .

(3) Dr . Jashar Rexhepagiq , Zhvillimi i arësimit dhe i sistemit Shkollor të Kombësisë shqiptare në teritorin e Jugosllavosë së sotme deri në vitin 1918 , Prishtinë 1970 , p .33

قراءة وتجويداً ، واللغة العربية قراءة وكتابة بالاضافة الى قواعدها .[1] وتجدر الاشارة هنا الى أن هذه المواد كان يجري تعلّمها عبر اللغة التركية حتى القرن السادس عشر ، حين اخذت اللغة العربية تحلّ محلّ التركية كلغة تدريس .[2]

والى جانب هذه الكتاتيب ؛ أو المدارس الابتدائية أنشئت في المناطق الألبانية المدارس العلياMedrese وقد بدأ تأسيس هذه المدارس منذ القرن الخامس عشر على الأقل ، إذ لدينا من الوثائق ما يشير الى أن أول مدرسة من هذا النوع أسّست في مدينة سكوبيه سنة ١٤٤٠ . وقد حظيت هذه المدرسة بسمعة كبيرة ، إذ إنها كانت من اشهر المدن المدن في البلقان .[3] ومع انتشار التعليم ازداد عدد هذه المدارس العالية في المناطق العالية ، الى ان تجاوز عددها المئتين في القرن التاسع عشر . وفي هذه المدارس كان الطلاب يتعمّقون في اللغة العربية لوجود المواد المتخصصة كـ « علم اللغة » و « علم العروض » و « علم البلاغة » ، بالاضافة الى المواد الأصولية كـ « العقائد » و « الفقه » و « التفسير » الخ . والى جانب هذا كان الطلاب يدرسون ايضاً الأدب العربي . ولدينا ما يشير الى ان هذه المواد كانت تدرس ـ في الغالب ـ باللغة العربية ايضاً .[4] وكما يبدو من هذا ، كانت هذه المدارس تقدّم ارضية ثقافية واسعة للطلاب ، مع أن العديد من المتخرجين كانوا يذهبون الى مراكز الثقافة العربية الاسلامية في ذلك الوقت (دمشق والقاهرة) للتعمّق في هذه

(1) Ibid .

(2) Ibid .

(3) Dr . Hasan Kaleši , Najstariji vakufski dokumeneti u Jugoslaviji na arapskom jeziku , priština 1972 , p . 90 .

(4) Rexhepagiq , Zhvillimi ... , p . 39 .

الثقافة .[١]

ومن ناحية اخرى ، كان التقليد يقضي بأن تُقام مكتبة في كل مدرسة ، حيث كانت تجمع الكتب المخطوطة وينسخ ما هو نادر منها .[٢] وقد كانت لهذه المكتبات قيمة كبيرة ، نظراً لاحتوائها على اهم المصادر العربية ، التي كانت تتصل بالدين والأدب . وبعض هذه المكتبات كان يتمتع بسمعة كبيرة في البلقان ، كمكتبة عيسى بك Isa bej في مدينة سكوبيه ، التي كانت تعتبر من أكبر المكتبات في القرن الخامس عشر .[٣]

والى جانب هذه المدارس ، كان لتكايا الطرق الصوفية دور كبير في تأصيل الثقافة العربية الاسلامية في المناطق الألبانية . وتجدر الاشارة هنا الى ان معظم الطرق الصوفية عرفت امتداداً لها الى المناطق الألبانية ، حيث اصبح لها تقاليد مع مرور الزمن . وفي الواقع كانت هذه الطرق الصوفية تربط بشكل دائم العرب بالألبانيين . ففي البداية لدينا ما يشير الى قدوم بعض الصوفيين من البلاد العربية لنشر طرقهم الصوفية في المناطق الألبانية . وفيما بعد ، كان الألبانيون يذهبون عادة الى البلاد العربية (مصر والشام والعراق) لكي يحصلوا على إجازات باللغة العربية من مشايخ الطرق الصوفية هناك .[٤] وما يهمنها هنا ان تكايا الطرق الصوفية في المناطق الألبانية كانت تتمتّع بنشاط ثقافي كبير . ففي كل تكية كانت هناك

(1) Kosovo nekad ..., P . 475 .

(2) Ibid ., p . 474 .

(3) Rexhepagiq , Zhvillimi ..., p . 41 .

(٤) للتوسع حول تقاليد الطرق الصوفية وتأثيرها انظر :
محمد موفاكو ، من الأدب الألباني مع مقدمة في الصلات الأدبية العربية ـ الألبانية ، مجلة « التراث العربي » عدد ٣ ، دمشق تشرين الأول ١٩٨٠ ، ص ٤٨ - ٨٧.

مكتبة غنية بالمخطوطات العربية والتركية والفارسية ، حيث كان دراويش الطريقة يتعلمون هذه اللغات وينسخون المخطوطات من هذه اللغات . وقد نبغ في هذه التكايا الكثير من الشعراء الذين كتبوا باللغة العربية ايضاً . وبشكل عام ، كانت هذه التكايا مصدراً أساسياً للأدب الألباني ايضاً ، حيث كانت تُبدع فيها القصائد والملاحم الشعرية الطويلة كما سنرى لاحقاً .

ومع انتشار التعليم ، الذي أدى الى تأصيل الثقافة العربية الاسلامية في المناطق الألبانية وازدهارها في القرن السابع عشر ، انبثقت نهضة أدبية واسعة في المدن الألبانية ، التي كانت قد تحولت الى مراكز امتصاص واشعاع لهذه الثقافة الجديدة . وقد ارتبطت هذه النهضة الأدبية بانتشار اللغة العربية في المدن الألبانية ، التي أتاحت للمثقفين ان يطّلعوا بشكل مباشر على روائع الشعر العربي . ومع هذا الانفتاح ازداد عدد الناس الذين يعرفون اللغة العربية في المناطق الألبانية ، والذين تحوّلوا للكتابة في هذه اللغة . ونتيجة لهذا برز أدب جديد ومثير ، ألا وهو الأدب الألباني باللغة العربية .[1] وفي الواقع ان هذا الأدب يعني الكثير ، لأنه يدلّ على مدى سيطرة الألبانيين في ذلك الوقت على اللغة العربية وعلى الأوزان الخليلية التي يعتمد عليها الشعر العربي . وقد استمر هذا الأدب في الانتشار إلا أن انتشاره كان محدوداً في إطار المثقفين فقط ، الذين كانوا يستطيعون قراءة هذا الأدب باللغة العربية . وقد كان من الطبيعي في ذلك الحين ان يتجه الشعراء الألبانيون الى الكتابة في لغتهم القومية ، (اللغة الألبانية) ونتيجة لهذا برز حينذاك أدب جديد ، يُعرف في التاريخ الألباني باسم « الأدب الألباني بالأبجدية العربية » .[2]

(1) Grup autorësh , Historia e letërsisë ..., p . 189 .

(2) Ibid .

لقد صاحب هذا الأدب الذي قام أساساً على الشعر ، بروز تقاليد شعرية في المناطق الألبانية ، حيث تغلغل الشعر في دم الناس وأصبحت له مكانة طاغية في المجتمع الألباني ، مما يُذكّر بمكانة الشعر في المجتمع العربي وخاصة في العصر الأموي ، حين كانت المدن تغصّ بالشعراء . وهذا المشهد بدأ يظهر في المدن الألبانية منذ القرن السابع عشر . فمدينة إلباسان كانت تغصّ بالشعراء في القرن السابع عشر ، الى درجة ان الرحالة التركي المعروف أوليا شلبي أطلق عليها اسم « مدينة الشعراء » .[1] وفي الجنوب كانت مدينة بيرات Berat ، أهم مركز لهذا الأدب الجديد ، تتمتّع بشهرة كبيرة لتعلّق اهلها بالشعر . وقد خلّف لنا الرحالة شلبي وصفاً مثيراً لهذه المدينة خلال زيارته لها في بداية النصف الثاني للقرن السابع عجر . فقد أشاد هذا الرحالة بالمكانة التي كان يتمتّع بها الشعراء في هذه المدينة ، وتحدث عن الاجتماعات التي كانت تقام في المقاهي الستة في هذه المدينة ، حيث كانت تدور المناقشات العلمية والأدبية .[2] وفي هذا القرن انطلق الشعر خارج المدن وانتشر حتى في القرى .[3] .

والى جانب هذا ، أصبح الشعر في هذا القرن يتمتّع بامتداد اجتماعي مؤثر يذكّر بالدور الذي كان للشعر العربي في المجتمع . ففي ذلك الحين كان الانسان يكتسب شهرة كبيرة في المحيط الألباني بفضل قصيدة تمدحه ، بينما كان يفقد كل شيء بقصيده تهجوه . ولذلك اخذ الناس في المجتمع الألباني يخشون الشعراء ، نظراً لأن قصيدة الهجاء كانت تكفي للاطاحة بمكانة أية شخصية في نظر

(1) Hasan Kaleshi , Roli i shqiptarëve në letërsitë orientale , Seminari i Kulturës Shqiptare për të Huaj , 2 - 1976 , Prishtinë 1976 , p .155 .

(2) Ibid .

(3) Grup autorësh , Historia e letërsisë ..., p . 192 .

الآخرين[1] ، وفي هذه الفترة كان التنافس بين الشعراء يلهب الحماس أيضاً في المجتمع الألباني ، الذي كان ينقسم على نفسه في تأييده لهذا الشاعر أو ذلك .

وقد ترسخت هذه التقاليد الشعرية داخل البيوت الألبانية أيضاً ، مما يؤكد المدى الاجتماعي لهذا الشعر الجديد . ففي ذلك الوقت أصبحت السهرات داخل البيوت الألبانية ، التي تبدأ عادة بعد العشاء ، تدور حول الشعر الذي اصبح مصدر المتعة والتسلية . وكانت هذه السهرات تبدأ بتحديد بحرٍ شعري ، نظراً لأن الشعر الجديد كان يعتمد على البحور العربية ، ثم يدور الدور على المشاركين في السهرة لإلقاء أفضل القصائد التي تلتزم ببحرٍ واحد . وفي هذه السهرات كان الشخص الذي يتوصّل لأفضل القصائد يكتسب مكانة متميّزة ، سواء في نظر أصدقائه أو في نظر المجتمع[2] .

ويبدو هذا الجانب الاجتماعي للشعر في مجال آخر ، في بروز وانتشار النتاج الشعري الذي يدور حول سيرة النبي محمد (ص) . وهذا النتاج الشعري كان يقوم على نظم القصص الشعرية ، على الاوزان العربية ، لكي تُقرأ في ذكرى مولد الرسول . ومع هذه المناسبة تعزّز الطابع الاجتماعي للشعر ، نظراً لأن هذه القصص الشعرية كانت تُنشد في اجتماعات حافلة ، ثم أصبحت مع الزمن تجمع الناس في مناسبات مختلفة . فقد اصبحت هذه القصائد تُنشد خلال شهر رمضان ، وخلال الاجتماعات الأخرى (الاحتفال ببناء بيت ، بظهور أحد الأولاد الخ)[3] . ونظراً للاهمية الاجتماعية لهذه

---

(1) H. Ali, I ndjeri Hasan ..., p. 201.

(2) H. Ali, I ndjeri Hasan ...., p. 201.

(3) Hasan Kaleši, Mevludi kod Arbansa, Zbornik Filozofiskog Fakulteta, knjiga IV-2, Beograd 1959, p. 350.

القصص الشعرية ، فقد تنافس الشعراء الألبانيون لابداع هذه القصص الشعرية لتعزيز مكانتهم الاجتماعية . وقد ادى هذا التنافس الى ابداع الكثير من هذه القصص الشعرية ، التي سنتعّرض لها في الفصول اللاحقة .

في هذه الظروف الجديدة برز وانتشر الأدب الألباني الجديد ، الذي تشبّع بالمؤثرات العربية ، سواء في الشكل أو في المضمون . وفي الواقع ، ان هذا الأدب الجديد يتمتّع بأهمية كبيرة في تاريخ الأدب الألباني ، ويكفي ان نذكر هنا أن هذا الأدب الجديد الذي كُتب بالابجدية العربية قد أغنى الأدب الألباني لأول مرة بالشعر الغنائي والقصصي والملحمي الخ . وربما لا تبدو بوضوح قيمة واهمية هذا الأدب الا اذا قارناه بما سبقه في المناطق الألبانية .

حول بداية الأدب الألباني ، كنا قد أشرنا الى اننا لا نملك شيئا من اللغة الألبانية المدوّنة حتى القرن الخامس عشر ، أي في القرن الذي استقرّت به الادارة العثمانية في البلقان ، سوى بعض الكلمات والجمل المتفرّقة(١) . وقد اثار انتشار الاسلام ، الذي بدأ يتسع في المناطق الألبانية منذ القرن الخامس عشر ، اهتمام بعض رجال الدين من الألبانيين الكاثوليك لنشر بعض الكراسات الدينية ، التي أرادوا منها تنوير اتباعهم لكي لا يشملهم التحوّل الجماهيري نحو الاسلام(٢) . وفي هذا الاتجاه لدينا أول كتاب في اللغة الألبانية للقس جون بوزوكو GJON Bozuku الذي يعود تاريخ نشره الى سنة ١٥٥٥ تقريباً . وقد احتوى هذا الكتاب على بعض الأدعية ومقاطع من الانجيل ، التي نشرت في اللغة الألبانية بالأبجدية اللاتينية -

(1) Shuteriqi, Shkrimet ...,p. 33-37.

(2) Kaleši, Prilog ..., p. 352.

الفوطية ، التي كانت تستعمل في ايطاليا الشمالية[1] . وفي نهاية هذا القرن ترجم قس آخر ، ليك ماترنغا Leke Matrenga ، كراساً صغيراً يتضمن التعاليم الأساسية للمسيحية ونشره في روما سنة ١٩٥٢ ، ليستفيد منه الألبانيون في ايطاليا الجنوبية نظراً لأن المترجم كان يعمل في صقلية . وأهمية هذا الكتاب تكمن في أن صاحبه وضع في مقدمته ترجمة لمقطع شعري ديني من ثمانية أبيات ، وهي تعتبر أول أبيات شعرية مكتوبة في اللغة الألبانية[2] .

وبعد هذا برز القس بيتر بودي Pjetër Budi (١٥٦٦ - ١٦٢٣) ، الذي ترجم ونشر بعض الكتب الدينية ، التي تضمنت حوالي ٢٣ قصيدة مترجمة تتناول الموضوعات المسيحية . وتُستثنى من هذه قصيدتان كتبهما بودي ، يمدح في الأولى البابا غرغوري الخامس عشر ، ويناجي بالثانية مريم العذراء . ونظراً لهذا ، وبغضّ النظر عن قيمة شعره ، يُعتبر بودي أول من نظم الشعر في اللغة الألبانية[3] . وفي هذا القرن عاش ، رجل دين آخر ، بيتر بوغداني Pjetër Bogdani (ت ١٦٨٩) الذي نشر في بادوفا سنة ١٦٨٥ كتاباً بعنوان « جماعة الانبياء » في اللغتين اللاتينية والألبانية . وفي هذا الكتاب تحدث المؤلف عن قصة خلق العالم كما وردت في التوراة وعن الأنبياء ، وتناول في فصل آخر حياة السيد المسيح ، وترك الفصل الأخيرللحديث عن عراقة عائلته . ويتمتع هذا الكتاب بأهمية خاصة ، نظراً لأنه أول كتاب أُلف مباشرة في اللغة الألبانية ، بالاضافة الى انه احتوى في مقدمته على ثلاث قصائد في اللغة الألبانية . وقد كتب الأولى والثانية صديقان للمؤلف تقديراً

(1) Grup autorësh, Historia e Letërsisë..., P. 152
(2) Mr . Fadil Sulemani . E , mbsuame e Krështerë e Lekë Matrëngës , Prishtinë 1979 , p .42 .
(3) Grup autorësh , Historia e letërsisë ..., p . 170 .

له ولمكانته ، بينما كتب المؤلف القصيدة الثالثة لمدح أحد رجال الدين[1] . وبعد هذا النتاج انتهى هذا النشاط الكاثوليكي الى التلاشي ، الى ان عاد بقيم أفضل في القرن التاسع عشر .

ويتضّح هنا ان هذا « الأدب » الذي يُمجد الآن كثيراً ، كان بطابع ديني ـ تعليمي بحت لتنوير الألبانيين المسيحيين ليتمسكوا بدينهم . وبالاضافة الى هذا ، كان التأثير اللاتيني ـ الايطالي طاغياً على هذا « الادب » سواء في اللغة أو في الاسلوب ، نظراً لأن اصحابه نشئوا في المدارس الدينية الايطالية وأخذوا بالثقافة اللاتينية الايطالية ، ولذلك كتبوا اعمالهم بالابجدية اللاتينية ـ الايطالية . . . وبشكل عام كان هذا « الأدب » بطابع محليّ ، في الشمال فقط ، بينما كان مجهولاً في الجنوب . وفي الواقع كان هذا « الأدب » مجهولاً لدى الألبانيين المسلمين ، سواء في الشمال أو في الجنوب ، نظراً لأن هذا « الأدب » لم يكن موجّهاً اليهم في الأصل[2] .

في هذه الظروف ، التي انتهى اليها « الأدب الكاثوليكي » في الشمال ، انبثق الأدب الألباني بالابجدية العربية بشكل ناضج منذ لحظاته الأولى . ففي نهاية القرن السابع عشر ، حين وصل « الأدب الكاثوليكي » الى ذروته بالأشعار التي اشرنا اليها قبل ان يتلاشى ، برز الشعر الغنائي والايروتيكي لأول مرة في اللغة الألبانية . وقبل ان ننتقل الى هذا الشعر الجديد ، نعترف هنا بصعوبة تمديد الزمن الذي ولد فيه هذا الشعر ، نظراً لأن الازدراء الذي تعرض له الأدب الألباني المكتوب في الابجدية العربية أدى الى تلف وضياع الكثير من المخطوطات ، كما أن البحث في المخطوطات الباقية لم ينته حتى الآن .

---

(1) Ibid ., p . 180 .
(2) Kaleši , Prilog ... , P . 353 .

ومن أقدم ما عثر عليه حتى الآن من نصوص أدبية مكتوبة في الابجدية العربية لدينا قصيدة طويلة لشاعر لا نعرف الآن الا اسمه موتشي زاده Muci Zade وتتألف هذه القصيدة ، التي تعود الى سنة ١٧٢٥ ، من سبعة عشر مقطعاً وكل مقطع من أربعة أبيات . وفي المقطع الرابع عشر لدينا اشارة مهمة من الشاعر ، حيث يذكر انه قد كتب هذه القصيدة في شيخوخته[1] ، مما يوحي بامكانية وجود قصائد اخرى للشاعر تعود الى فترة اقدم . ومع هذه القصيدة الاولى التي نعرفها من هذا الشعر يبدو بوضوح الفارق بين « الأدب الكاثوليكي » والأدب الجديد . ففي هذه القصيدة نتعرّف على شاعر متعلّق (بالقهوة) الى حدّ الهوس ، ، وهو يصف في هذه القصيدة تعلّقه بالقهوة ومعاناته في حالة انقطاع (القهوة) عنه ، ولذلك يختم كل مقطع بعبارة : : « ياإلهي ، لا تدعني دون قهوة ! »[2] .

والى هذه الفترة تعود أهم الابداعات الشعرية لهذا الأدب الجديد ، الذي ارتبطت انطلاقته الحقيقية باسم الشاعر ابراهيم نظيمي Ibrahim Nezimi (توفي ١٧٦٠) . وقد خلّف لنا هذا الشاعر ديواناً شعرياً يتألف من ٦٤ قصيدة ، وهي تعود على ما يبدو الى العقد الثالث من القرن الثامن عشر[3] . ولهذا الديوان أهمية كبيرة ، نظراً لأنه أول ديوان شعري في اللغة الألبانية ، بالاضافة الى ان صاحبه أول شاعر غنائي في الأدب الألباني . وقد اشار الشاعر نظيمي الى هذا في احدى قصائده ، حيث يفتخر بأنه رفع من شأن اللغة الألبانية المُهملة بواسطة اشعاره ، وبأنه كتب أول ديوان شعري في هذه اللغة[4] . وفي قصائد هذا الديوان ، والقصائد الأخرى للشاعر ،

(1) Shuteriqi , Shkrimet ..., pp . 105 - 106 .
(2) Grup autorësh , Historia e letrisisë ..., p . 192 .
(3) Shuteriqi , Shkrimet ..., p . 108 .
(4) Grup autorësh , Historia e letërsisë ..., p . 198 .

تبدو بوضوح النقلة الكبيرة التي حققها ابراهيم نظيمي للشعر الألباني . فمع ابداعات هذا الشاعر توسعت دائرة الشعر الألباني لاول مرة مع وصف الطبيعة والتغنّي بالطبيعة والحياة والدعوة الى المتعة ، الى جانب الهموم الذاتية للانسان . ويضاف الى هذا أن الشاعر أدخل السخرية أيضاً ولاول مرة في الشعر الألباني . وهذه النقلة الكبيرة لم تقتصر على الموضوعات الشعرية وانما تناولت الاسلوب ايضاً . ويبدو هذا في استعمال الشاعر للحوار الشعري الطويل في قصيدتين له ، الأولى بعنوان « اللسان يتحدّث للقلب » والثانية « القلب الحزين يردّ على اللسان » ، ويرى أحد الباحثين أن هذا الحوار الشعري يشكل بداية الدراما في الأدب الألباني[1] .

ولدينا في هذه الفترة شاعر آخر ، سليمان نائبي Sulejman Naibi (توفي ١٧٧١) ، الذي عاصر الشاعر ابراهيم نظيمي وعاش معه في مدينة بيرات Berat ، التي كانت اهم مركز للأدب الألباني في الابجدية العربية . وقد خلّف هذا الشاعر ديواناً يحتوي على الكثير من الاشعار الغنائية ، التي تحول بعضها الى اغنيات لا تزال تُنشد الى اليوم في البانيا[2] . ومع أن هذا الشاعر يشترك في الكثير من الموضوعات الغنائية مع معاصره ابراهيم نظيمي ، الا انه يتميّز بنقلة اخرى على جانب كبير من الاهمية ، إذ إنه أول من أشاع في هذا الشعر التغنّي بالحب وبجمال المرأة[3] . والى جانب هذين الشاعرين لدينا في مدينة بيرت عشرات الشعراء في هذه الفترة ، ومن ابرز هؤلاء اسماعيل فلابيشي Ismail Velabishi (توفي ١٦٧٤) ، الذي كان حاكم المدينة في ذلك الوقت . وعلى الرغم من ان معظم قصائد

(1) Kaleši . Prilog ..., P . 359 .

(2) Grup autoresh , Historia e letersise ..., p . 205 .

(3) Ibid .

هذا الشاعر قد فقدت للأسف ، الا ان اسمه بقى معروفاً نظراً لأنه اغنى الشعر الألباني بموضوع جديد ، الا وهو الحنين الى الوطن ، وذلك في احدى القصائد التي كتبها في المنفى[1] .

وفي النصف الثاني للقرن السابع عشر طغى على هذه الفترة الشاعر حسن زيكو كامبيري Hasan Zyko Kamberi ، الذي يُعتبر من اعظم الشعراء الذين كتبوا في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية . وبعد فترة طويلة من التجاهل أعيد الاعتبار حديثاً الى هذا الشاعر في « تاريخ الأدب الألباني » نظراً لأصالة ابداعاته الشعرية التي كانت تعبر عن موهبة كبيرة وعن وعي متقدم بالنسبة الى تلك الفترة . ففي اشعاره يبرز لأول مرة في الشعر الواقع الألباني في الريف ، كما تبدو لأول مرة الهموم الاجتماعية للفقراء في عصره[2] . والى جانب هذا يبدو اسهام الشاعر في جانب آخر ، إذ إنه أول من ابدع الشعر القصصي الديني في الأدب الألباني ، وذلك في قصته الشعرية عن « تاريخ ابراهيم مع هاجر وسارة » وفي هذا الاتجاه ، اقترن اسم الشاعر بعمل اهم الا وهو أول عرض شعري لسيرة النبي محمد (ص) ، أو ما يعرف هنا باسم « المولد » وبعد هذا العمل انتشرت في الأدب الألباني الأبجدية العربية بقية الاعمال الشعرية حول سيرة النبي ، والتي تحولت الى تقليد شائع .

وفي القرن التاسع عشر استمر هذا الأدب الجديد في صعوده الابداعي ، وقدم أهم وأكبر الأعمال الشعرية في اللغة الألبانية بالابجدية العربية ، التي تحتل مكانة خاصة في تاريخ الأدب الألباني بشكل عام .

(3) Ibid ., p . 206 ; Shuteriqi , Shkrimet ...., p . 120 .

(2) Grup autorësh , Historia e letërsisë ..., p . 208 - 214 .

ففي النصف الأول لهذا القرن برز الشاعر محمد تشامي Çami Muhamet الذي ارسى الشعر القصصي الغنائي في الأدب الألباني ، ومن أهم اعمإله في هذا المجال قصته الشعرية الطويلة « يوسف وزليخة » التي تتألف من ٢٤٠٠ بيت ، التي ابدعت لأول مرة في الأدب الألباني الدرامي الطويل النفس مع التحليل النفسي ومع وصف عالم الشخصيات من الداخل . وفي ذلك الوقت ، (في النصف الاول من القرن التاسع عشر) ، سجّل الأدب الألباني نقلة كبيرة وجديدة ، وذلك بملحمة الشاعر داليب فراشري Frashëri Dalip عن احداث كربلاء ، والتي يبلغ عدد ابياتها ٦٥ ألف بيت . وقد دخلت هذه الملحمة تاريخ الأدب الألباني على اعتبارها أول ملحمة شعرية في اللغة الألبانية ، كما انها لا تزال الى الآن اطول ملحمة شعرية في اللغة الألبانية . وحول هذا الموضوع لدينا ملحمة أخرى تعود الى النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، وهي من تأليف الشاعر شاهين فراشري Shahin Frashëri وتحتوي على اثني عشر الف بيت من الشعر . وهذه الملحمة كانت ولا تزال تعتبر الملحمة الثانية من حيث اتساعها وتاريخها في الأدب الألباني بشكل عام[1] .

ومع هذه الملاحم الشعرية دخل الأدب الالباني في الابجدية العربية عصر النهضة القومية الألبانية ، التي برز تحت تأثيرها أدب آخر مكتوب بالابجدية اللاتينية غالبا . ومع هذا الانعطاف ، الذي جاء تحت تأثير الانجازات الابداعية الأوربية ، كان من الطبيعي ان يتقدم أدب النهضة القومية على الأدب المكتوب بالابجدية العربية ، سواء بنضجه الفني أو بتنوع مواضيعه وارتباطها بالنهوض القومي للألبانيين . إلا ان هذا لا يعني بطبيعة الحال عدم وجود تواصل بين

---

(١) حول هذه الملاحم لدينا تفاصيل اكثر في الفصل الخامس .

الأدبين . فقد كان الأدب الألباني في الابجدية العربية هو القاعدة التي تطور عليها أدب النهضة القومية ، نظراً لأنه قدم لهذا الأدب اللغة الشعرية والتراث الغنائي والنماذج الابداعية الجديدة (القصة الشعرية والملحمة) التي نجد استمراراً لها في أدب النهضة القومية ، كما في ملحمة « كربلاء » للشاعر نعيم فراشري Naim Frashëri [1] .

ومع ان انبثاق ادب النهضة القومية وانتشاره في مرحلة صعود الحركة القومية الألبانية أدى الى تراجع واضح للأدب الألباني المكتوب في الابجدية العربية ، الذي اخذ يقتصر على المواضيع الدينية ، الا ان هذا الادب بقى قائما واستمر في الصمود حتى بداية النصف الثاني للقرن العشرين .

مع هذا التطور الطويل للأدب الألباني في الابجدية العربية ، الذي انتهى الى تراكم كبير ، قد يواجهنا السؤال التالي : ما هو موقع هذا الأدب في اطار الأدب الألباني وما هى أهميته بشكل عام ؟

الجواب على هذا نجده في الأمور التالية :

* كان « الأدب الكاثوليكي » محدوداً في انتشاره داخل الدائرة الكاثوليكية الصغيرة في الشمال ، بينما انتشر الأدب الألباني بالأبجدية العربية في كل المناطق الألبانية ، من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب . [2]

* يعود الفضل الى هذا الأدب في إشاعة الشعر الغنائي لأول مرة عند الألبانيين مع المواضيع الجديدة التي كانت غير معروفة (التغني بالطبيعة وبالجمال والتعبير عن الحب وعن الهموم الفردية والجماعية) . [3]

(1) Mydrrizi , ekstet ..., p . 290 .

(2) Kaleši , Prilog ... , P .353 .

(3) Kaleši , Albaska ..., P .72 .

* كان لأعلام هذا الأدب الدور الريادي في خلق الانواع الابداعية الجديدة كالقصة الشعرية والملحمة الشعرية . (١)

* شعراء هذا الأدب في القرنين السابع عشر والثامن عشر خرجوا من النطاق المحلي والمجهول نظراً لأنهم ابدعوا شعراً غنائياً بطابع عالمي ، كما ترى الباحثة السوفيتية ا . ديسنيسكايا A . Desnickaja ، التي تعيد هذا الى التقاليد الشعرية العربية والفارسية . (٢)

* حمل هذا الأدب شيئاً جديداً الى النثر الألباني ، ألا وهو السجع ، الذي يعتبر من المؤثرات العربية في الأدب الألباني . (٣)

* مع هذا الأدب اصبحت الأوزان الشعرية العربية تستعمل ايضاً في الشعر الألباني . (٤)

* ترك هذا الأدب تراثاً شعرياً متواصلا يقوم على استلهام سيرة النبي محمد (ص) ، ولهذا التراث دوره في التواصل الديني - الاجتماعي عند الألبانيين . (٥)

* لهذا الأدب دور كبير في ترسيخ التقاليد الشعرية عند الألبانيين ، وفي نشر الشعر في المجتمع الألباني . فمع هذا الأدب الجديد لم يعد الشعر حكراً على المحترفين بل أصبح شائعاً لدى الجماهير . (٦) ومن المعروف ان الكثير من اشعار هذا الأدب انتقلت

---

(1) Mydrrizi , Tekstet ..., P .290 .

(2) Desnickaja , Gjuha shqipe ..., P .164 .

(3) Kaleši , Prilog ..., Pp . 362 - 379 .

(٤) كان الشعراء الألبانيون يعمدون الى ذكر البحر الشعري في مقدمة قصائدهم انظر :

Shuteriqi , Shkrimet ..., p . 219 .

(5) Kaleši , Mevludi ..., PP. 350 - 351 .

(6) H .Ali , I ndjeri ..., p . 204 .

الى الشعب وأصبحت مع الزمن جزءاً من الأدب الشعبي . [1]

*أضاف هذا الأدب ثروة جديدة عن طريق القواميس الشعرية ، التي لها قيمة كبيرة لرصد تطور اللغة الألبانية . ويكفي ان نذكر هنا ان آخر هذه القواميس الشعرية كان يحتوي على ١٨ الف كلمة . [2]

*يتضمن هذا الأدب الكثير من المؤثرات العربية ، سواء في الشكل أو في المضمون ، ولذلك فهو يشكّل مادة غنية جداً للأدب المقارن وللصلات الأدبية العربية ـ الألبانية .

*يعتبر هذا الأدب من اهم وأوسع المحاولات التي بذلت للكتابة في الأبجدية العربية خارج العالم العربي . [3]



(1) Prof . Dhimitër S . Shuteriqi , HistorI e letërsisë shqipe , Prishtinë , botimi i Katërt , 1977 , p . 33 .

(2) Kaleši , Albanska ...., p . 67 .

(3) Ibid ., p .72 .

الفصل الرابع

أدب القرن الثامن عشر

انبثق الأدب الألباني في الأبجدية العربية على نحو مثير في القرن الثامن عشر ، نظراً لأنه انتشر خلال فترة قصيرة في المناطق الألبانية من اقصى الجنوب الى اقصى الشمال . وقد كان لهذا الانتشار اهمية كبيرة في الواقع لأن هذا الأدب تحوّل الى أداة للتواصل القومي ، نظراً لأنه وحّد غالبية الألبانيين على امتداد مناطقهم في إطار ثقافي واحد . فمع هذا الأدب أصبحت قصيدة الشعر تتجول بحرّية عبر المناطق الألبانية بعد ان انهارت الحدود الثقافية السابقة التي كانت تفصل بين الشمال والجنوب . ومع هذا الأدب اصبحت القصائد تنتقل من فم الى فم ومن جيل الى جيل ، حتى أن قصائد بعض الشعراء من القرن الثامن عشر قد حُفظت الى اليوم بفضل الذاكرة الشعبية ، نظراً لأن اصولها قد فُقدت خلال الفترة السابقة . ونظراً لعدم الاهتمام والازدراء الذي تعرضت له المخطوطات الألبانية المكتوبة في الأبجدية العربية ، فقد تعرّض الأدب الألباني لخسارة كبيرة بابتلاع النسيان لعدد كبير من الشعراء القدماء ، وخاصة من القرن الثامن عشر . ففي المصادر المختلفة لدينا إشارات كثيرة حول عشرات الشعراء الذين كان لهم حضورهم في الساحة الشعرية في ذلك الوقت . ومن هؤلاء الشعراء في القرن الثامن عشر ، الذين كان عددهم كبيراً ، لم يعد لدينا اليوم إلا قصائد بعض الشعراء ، بينما بقي للبعض اسماؤهم فقط ، على حين ان القسم الأكبر من شعراء ذلك القرن لم يعد له أي أثر . وعلى سبيل المثال ، تذكر المصادر ان مدينة بيرات Berat ، أحد أهم مراكز الأدب الألباني في الأبجدية العربية ، كانت تغصّ بالشعراء في

النصف الأول للقرن الثامن عشر ،(1) بينما اليوم لا نعرف شيئاً عن معظم هؤلاء الشعراء ، بل إن الزمن لم يرحم إلا اسماء البعض . ومن هذا القرن بقي لنا بعض الشعراء ، الذين وصلت الينا بعض اعمالهم نتيجة للشهرة الطاغية التي كانوا يتمتّعون بها في عصرهم .

ومن أقدم هؤلاء الشعـراء ابـراهيم نظيمـي Ibrahim Nezimi ، الذي يعتبر من أهم اعلام الأدب الألباني في الأبجـدية العـربية . وحول حياة هذا الشاعر لدينا تضارب في الآراء حول الفتـرة التـي عاش فيها ، وبالتحديد حول تاريخ ولادته ، إذ إن البعض يرجـع ولادته الى سنوات ١٦٦٠ ـ ١٦٧٠(2) ، بينما يؤخّر بعض الباحثـين ولادته الى سنوات ١٦٨٠ ـ ١٦٨٥ .(3) وقـد ولـد نظيمـي في قرية فاركولا Farkula لأب من الأعيان إلا انه نشأ واشتهر في مدينة بيرات Berat ، التي كانت اهم مركز للثقافة الشرقية في المناطق الألبانية في القرن السابع عشر والثامن عشر . وكان الرحالة التـركي المعـروف أولياء شلبي قد زار هذه المدينة ، في الفترة التي ولـد فيهـا الشاعـر نظيمي ، وترك لنا وصفاً مثيراً لما شاهده في مدينة بيرات . فقد كانت هذه المدينة ، حين زارها الرحالة سنة ١٦٧٠ ، تحتوي على الجوامع الجميلة والتكايا الكثيرة والمدارس العالية ، التي اشرنا في السابق الى دورها في نشر اللغة العربية وثقافتها . والى جانب هذا تحدّث الرحالة بتقدير عن الشعراء ، الذين كانت تغصّ بهم المدينة ، والذين كانـوا يجتمعـون في المقاهـي ليتناقشـوا في الأدب والمعـارف المختلفـة .(4)

(1) Grup autorësh , Historia e letërsisë shqipe , ribotim i Prishtinës 1975 ,P .196 .

(2) Shetos , Nezim Ibrahim Frakula nga Berati , Kultura Islam nr . 5 - 6 - 7 , Tiranë 1942 , p .160 .

(3) Grup autoresh , Historia ..., P . 195 .

(4) Hasan Kaleši, Albanska aljamiado Književnost , Prilozi za orijentalu filologiju XVT - XVII , Sarajevo 1966 - 1967 , p .56 .

وبالاضافة الى هذا كانت شهرة هذه المدينة كبيرة نظراً لأنها كانت مركزة القضاء للمناطق الألبانية . ففي ذلك الحين كانت هذه المدينة مقراً لـ « فخر القضاة » و « قدوة القضاة » و « داعي القضاة » الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير . وقد أسّس هؤلاء مدرستين عاليتين تخرّج منهما مثقفو ذلك العصر لألبانيا الشمالية والجنوبية .[1]

وفي هذه المدينة نشأ الشاعر نظيمي ، حيث تخرّج من إحدى المدارس العليا فيها . ونظراً لاهتماماته الواسعة تابع نظيمي طريقه الى استنبول ، المركز الثقافي للامبراطورية العثمانية ، حيث استفاد من المحيط الثقافي آنذاك في تعميق معرفته باللغات الشرقية (التركية والعربية والفارسية) . وهناك ما يشير الى أن نظيمي قام بجولة في بعض البلدان العربية والاسلامية قبل ان يستقرّ . وفي استنبول تفتّحت مواهب نظيمي الشعرية حيث بدأ في كتابة الشعر في عدة لغات ، في التركية والعربية والفارسية .[2] ومن هذه المرحلة نعرف له ديواناً في اللغة التركية ، إلا أن شعره العربي لم يصل الينا للأسف .

وبعد هذه المحاولات عاد نظيمي الى مدينة بيرات ، حوالي سنة ١٧٣١ ، حيث بدأ في كتابة الشعر في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية . وقد كانت مدينة بيرات تغصّ بالشعراء في ذلك الوقت ، مما كان يجعل المنافسة حامية بين شعراء المدينة . وفي هذا المناخ الشعري القادم من الشرق معارك مع كلّ الشعراء الى أن فرض نفسه كأفضل شاعر . وفي النهاية دخل في مواجهة شعرية حادة مع مفتي المدينة ، الملا علي Mulla Ali . وكانت هذه المواجهة الشعرية قد تطورت الى ان أثارت المدينة كلّها ، نظراً لأنها أدّت الى انقسام سكان المدينة الى

(1) Shetos , Nezim Ibrahim ..., PP. 159 - 160 .

(2) Grup autorësh , Historia ..., p .195 .

حزبين متعارضين ، حزب يؤ يد الشاعر نظيمي وحزب يناصر المفتي علي . وما يثير هنا أن هذه المواجهة الشعرية اتسعت كثيراً الى أن وصل صداها الى استنبول ، مما ادى الى تدخل شيخ الاسلام في هذه القضية . فقد اضطر شيخ الاسلام حينئذٍ الى تهدئة الوضع بقرار يفصل فيه المفتي علي عن منصبه لأن « تصرفاته وتدخله أديا الى إثارة الفوضى في المدينة » .(١)

ومع نهاية هذه المواجهة لصالح نظيمي خلت الساحة الشعرية في المناطق الألبانية من أي منافس له وعمّت شهرته مختلف الأرجاء ، الى حد أن الشعب كان يحفظ قصائده غيباً . ويبدو أن شعبية نظيمي ضايقت بعض الأوساط فأُبعد لفترة من الزمن خارج وطنه ، وحين عاد الى مسقط رأسه دخل في خلاف مع الوالي مما أدى الى اعتقاله وإرساله الى استنبول ، حيث سُجن هناك الى أن توفي سنة ١٧٦٠ . وكان من الطبيعي أن تثير هذه النهاية الفاجعة حزن الكثيرين من عشاق شعره ، وفي جملة هؤلاء بعض الشعراء الذين رثوه في قصائد مؤثرة . ومن هذا اشتهرت حينذاك قصيدة مؤثرة وجريئة لصديقه الشاعر فيضي Fejzi ، حيث يقول في مقطع منها :

انتهى به المصير دون أي ذنب الى السجن .

في أرض غريبة .

حيث مات شهيداً تحت التعذيب .

وانتقل الى الخلود في الفردوس .(٢)

وقد خلّف لنا الشاعر نظيمي ، بعد هذه الحياة الصاخبة التي

(1) Shetos , Nezim Ibrahim .... p . 160

(2) Ibid . ; Grup autorësh , Historia ... p .197 .

عاشها مئات القصائد الشعرية في عدة لغات ، مع أن أهم ابداعاته كانت في اللغة الألبانية . ففي هذه اللغة كتب نظيمي أشعاره التي بقيت حية لفترة طويلة في وجدان الألبانيين ، الذين كانوا يحفظونها غيباً . وقد أدى الأهمال الـذي لحق بالأدب الألباني في الأبجدية العربية فيما بعد الى ضياع الكثير من قصائده ، حتى اننا لا نملك اليوم من تراثه الشعري الكبير إلا مئة وعشر قصائد فقط ،[1] التي تم التوصل اليها خلال العملية الواسعة التي جرت في الخمسينات في ألبانيا لجمع التراث الألباني المكتوب في الأبجدية العربية . ومع هذا ، فان القصائد الباقية تكفي للتعرف على تجربة نظيمي الشعرية وعلى دوره الكبير في تطور الشعر الألباني . ففي هذه القصائد يبدو تعلّق نظيمي بالحب والطبيعة والحياة ، الذي يمثّل مرحلته الأولى ، حين كان مقبلا على الحياة بكلّ طاقته . ومن هذه المرحلة بقيت لنا عدة قصائد يتغنّى فيها بحب الحياة وما فيها من متعة لا تقبل التأجيل ، وهذا يمتزج بشكل خاص في أشعاره عن الربيع والطبيعة الجميلة :

انبثقت ازهار الربيع .
واصبحت الدنيا جميلة .
غاب البؤس عن الحياة .
وأصبح للفقراء فرح .
دع عنك الهموم .
فالوقت الآن للعشق والشراب .

(1) Dhimitër S. Shuteriqi , Shkrimet Shqipe në vitet 1332 - 1850 , ribotim i Prishtinës 1978 , Pp . 108 - 116 .

دع الأبيات تنطلق الآن .

لتفحم بقية الشعراء ![1]

والى هذه المرحلة ، التي خاض فيها نظيمي معاركه الشعرية ضد منافسيه ، تعود بعض القصائد التي تعبّر عن جو المنافسة الشعرية التي كانت سائدة آنذاك في المناطق الألبانية . وفي احدى هذه القصائد يسخر نظيمي من منافسيه الذين يتجاهلون أن « الشعر موهبة حقيقية » ، بينما يفتخر في قصيدة اخرى بأنه أول من روّض اللغة الألبانية للشعر وبأن بقية الشعراء يتخذون منه مثالاً لكتابة أشعارهم .[2]

وبعد هذا المجد الشعري الذي عايشه نظيمي بدأت احواله في التقلّب واخذت هموم الغربة تسيطر عليه بعد نفيه خارج وطنه . ومع أنه عاد بعد فترة الى مدينته ، إلا أن الشعور بالغربة اخذ يتّسع لاحساسه بعدم التواصل مع محيطه الاجتماعي ، مما أدى به الى التعبير عن عزلته العميقة من هذا المحيط . ونجد هذا مثلا في قصيدة له بعنوان « احتجاج ضد حالة العصر » ، حيث يعبّر فيها عن قلقه النابع من انعدام التواصل بينه وبين محيطه الاجتماعي ، الذي اخذت الهوة تتسع بينه وبينه حتى أن « الصداقة أصبحت مشكلة مع أناس هذا العصر » . ويبدو ان نظيمي الذي انتهى اخيراً الى السجن لرفضه النفاق السائد ، قد عانى كثيراً من تخلّي الناس عنه ، بما فيهم الأصدقاء ، الى أن وجد نفسه وحيداً في السجن دون أي تأييد له من الخارج . وحول هذا نجد له قصيدة بعنوان « أصحاب النفاق » ،

---

(1) Dhimitër S. Shuteriqi , Antologjia e letërsisë Shqipe , ribotim i Prishtinës 1973, p. 47 .

(2) Ibid ., p . 45 .

حيث يعبّر فيها عن خيبته من تخلي الاصدقاء عنه بعد محنته :

بعض الأصدقاء والأصحاب .
ممّن يثرثرون عن الوفاء .
يتخلّون عنك ويتناسونك .
حين يرونك في السجن .

كانوا يعرفون طيلة حياتهم .
كم اعاني من المصاعب في الليل والنهار ؛
أصبحت غارقاً في المتاعب .
فيا لبؤسي ، في أي بحرٍ سقطت ! .[1]

وقد كان للتراث الشعري الذي خلّفه نظيمي قيمة كبيرة في تاريخ الشعر الألباني . فمع ابداعات نظيمي دخلت الهموم الحياتية لأول مرة في الشعر الألباني، بعد أن كانت المحاولات الشعرية السابقة تدور في إطار ديني مسيحي بحت. وإلى الشاعر نظيمي يعود الفضل في توسيع دائرة الشعر الألباني ليشمل التغني بالطبيعة ، كما انه أول من أدخل السخرية الى هذا الشعر .[2] والى جانب هذا كان نظيمي اول من استعمل الحوار الشعري الطويل في الشعر الألباني . وحول هذا يرى الباحث د . حسن كلشي Dr . Hasan Kaleshi أن تاريخ الدراما

(1) YLL Zajmi , Antologi e letërsisë së vjetër Shqipe , botimi i dytë , prishtinë 1972 , Pp . 118 — 119 .

(2) Grup autorësh , Historia ..., p .204 .

الألبانية يجب ان ينطلق من هذه المحاولة التي قام بها الشاعر نظيمي .[1] ولا بدّ هنا ان نضيف الى هذا كلّه أن نظيمي هو صاحب أول ديوان شعري في اللغة الألبانية ، مما يكفي في حد ذاته لتقدير الدور الذي كان لهذا الشاعر في إرساء التقاليد الشعرية الألبانية .

وفي الواقع كان نظيمي يتمتع بتقدير كبير في القرن التاسع عشر لا في المناطق الألبانية فحسب ، وانما في الخارج أيضاً . ففي منتصف القرن التاسع عشر اهتم الباحث الألماني هانHahn بأشعار نظيمي وترجم منها ستّ قصائد الى اللغة الألمانية ، التي نشرها مع ملاحظات عن الشاعر في كتابه « دراسات ألبانية » الذي صدر سنة ١٨٥٤ .[2] وفي هذا الكتاب يصف هان الشاعر نظيمي بأنه « احدث شاعر مسلم » لدى الألبانيين ، الذين كانوا يحفظون قصائده غيباً في ذلك الوقت . وبعد عدة سنوات اطلع الباحث الايطالي كامارداCamarda على كتاب هان ، وتوقف عند أشعار نظيمي التي أعجبته كثيراً فقام بترجمتها الى اللغة الايطالية ونشرها في كتابه المعروف الذي صدر سنة ١٨٦٦ .[3] ومع ان كامرادا أشاد كثيراً بالشاعر نظيمي إلا أنه انتقده لاستعماله المفردات الشرقية (العربيةوالتركية والفارسية) في أشعاره مما دفعه الى القول : « لولم تكن اشعاره مثقلة الى هذا الحدّ بالكلمات العربية والتركية والفارسية لكان من الممكن ان يكون آنا كرونت[4] ألبانيا » .[5]

---

(1) Hasan Kaleši , Prilog Poznavanju albanske Književnosti iz vremena preporoda , Godišnjak Balkanološkog Instituta , Sarajevo 1956 , p . 359 .

(2) J .G .Hahn , Albanesische Studien , II , Pesth 1854 , Pp . 142 - 146 .

(3) D . Camarda , Appendice al Saggio di grammatologia comparata sulla lingua albanese , pratto 1866 .

(٤) آنا كرونتAnacreon (٥٦٠ ـ ٤٧٨) شاعر غنائي يوناني معروف .

(5) Kaleši , Albanska ..., P . 58 .

وعلى الرغم من هذا التقدير الذي كان يتمتع به نظيمي في القرن التاسع عشر من طرف الباحثين الغربيّين ، فقد تعرّض الى اهمال كبير من طرف المتغرّبين الألبانيين بعد الاستقلال الألباني نتيجة لازدراء الأدب الألباني في الأبجدية العربية ، حتى انه ذُكر بشكل عابر في الكتاب الضخم « الكُتّاب الألبانيون » الذي صدر في تيرانا سنة ١٩٤١ ، بينما أُفردت الصفحات الكثيرة لشعراء لا يرتقون الى مكانته . وقد أُعيد اكتشاف الشاعر نظيمي في منتصف هذا القرن ، بعد أن تمّ في البانيا جمع الكتابات الألبانية في الأبجدية العربية خلال الخمسينيات ، مما ادى الى اعادة كتابة تاريخ الأدب الألباني ، حيث احتلّ فيه الشاعر نظيمي المكانة التي يستحقّها .(١)

وقد كان من المعاصرين لنظيمي شاعر آخر هو ، سليمان نائبي Sulejman Naibi ، الذي عاش معه في نفس المدينة وتوفي معه في نفس السنة ١٧٦٠ . ويبدو أن هذا الشاعر كان يتمتّع بشعبية كبيرة لدى الألبانيين ، حتى ان بعض قصائده ما زالت تُنشد الى اليوم في المدن الألبانية ، كما في بيراتBerat والباسانElbasan الخ .(٢) والى جانب هذه القصائد المعروفة للشاعر ، والتي تحولت الى أغنيات مقترنة باسمه ، لدينا ما يشير الى الكثير من أشعاره الأخرى التي اصبحت جزءاً من الشعر الغنائي الشعبي .(٣) وفي الواقع ان هذا الاهتمام الواسع بأشعار نائبي نابع من طبيعة هذه الابداعات الشعرية ، التي

(1) Grup autorësh , Historia ..., p . 204 .

(2) Ibid . p . 205 .

(3) Zajmi , Antologji ..., p . 151 .

عبّرت لأول مرة في الشعر الألباني عن حالاتة الحب والعشق والتغني بجمال المرأة . [1] ومع أن هذا يفترض اهتمام الباحثين في إطار تاريخ الشعر الألباني بهذه الاشعار وصاحبها ، إلا أن الأمور جرت في اتجاه معاكس بسبب « العقدة » من الكتابة في الأبجدية العربية . وكان الشاعر نائبي قد خلّف لنا ديواناً ، وهو على كل حال الديوان الثاني في تاريخ الشعر الألباني ، بالاضافة الى الكثير من قصائده المبعثرة . ومع أن هذا ومع أن هذا الديوان كانت له اكثر من نسخة ، وبقيت آخر نسخة منه في حالة سليمة الى سنة ١٩٤٢ ، [2] إلا أن احداً من الباحثين لم يهتم بنشر هذا الديوان النادر ، إلى أن فقدت هذه النسخة ايضاً ولم نعد نعرف من أعمال هذا الشاعر إلا بعض القصائد .

وفي قصائد هذا الشاعر نجد لأول مرة في الشعر الألباني العشق العربي ، الذي يُلهب قلب العاشق الى أن يسيطر عليه كلياً في ليله ونهاره . ومن هذا لدينا قصيدة « محمودة الجميلة » التي لا تزال تُنشد الى اليوم في بعض المدن الألبانية ، حيث يعبّر فيها عن شدة حبه لمحمودة وعن مدى معاناته من هذا الحب :

شاهدت في نومي .
ما زاد في عذابي .
شاهدت محمودة الجميلة .
التي تزيد رؤيتها من معاناتي !
وهذه المعاناة .

(1) Grup autorësh , Historia ..., p . 205 .

(2) Shuteriqi , Shkrimet Shqipe ..., p . 128 .

تجعل الانسان يتمزّق وهو حي ! .[1]

وحول هذه الحبيبة لدينا قصيدة اخرى بعنوان « كالقنديل المُطفىء » ، يصف الشاعر فيها تلك اللحظات التي شاهد فيها محمودة في احد البساتين ، حيث يتماوج جمال الحبيبة مع جمال الطبيعة :

خصلات شعرك تبدو كالزنبق .

واصبح البستان يستمدّ جماله منك .

ولهذا فالبلبل على حق .

حين يُصاب بالدهشة لرؤيتك .

وحين يتخلى عن الوردة الحمراء .

ليغنّي لك .[2]

ومن شعراء القرن الثامن عشر لدينا الحاج عمر كاشاري Kashari Haxhi Ymer ، الذي فُقدت اكثر أشعاره نتيجة لعدم الاهتمام به في السابق ، مع أن شخصيته تتمتّع بقيمة كبيرة . وكلّ ما نعرفه الآن عن هذا الشاعر انه ولد في بداية القرن الثامن عشر في مدينة تيرانا ، عاصمة البانيا اليوم ، التي كانت قد أصبحت مدينة شرقية في ذلك الوقت مع أنها نشأت في بداية القرن السابع عشر .[3] وبالاضافة الى هذا نعرف ان الحاج كاشاري كان شيخاً للطريقة القادرية ، مما يدلّ على تواجد هذه الطريقة منذ ذلك الوقت في ألبانيا الحالية .[4] وفيما

(1) Zajmi ; Antologji ..., p . 151 .

(2)Zajmi , Antologji ..., p . 152 .

(3) A .V . Desnickaja , gjuha shqipe dhe dialektete saj , Prishtinë 1972 , p . 164 .

(٤) للتوسع حول الطريقة القادرية لدى الألبانيين انظر :
محمد موفاكو ، الطريقة القادرية في يوغسلافيا ، مجلة « العربي » عدد ٢٨٥ ، الكويت آب ١٩٨٢ .

يتعلّق بشعره لدينا ما يشير الى أنه كان يكتب الشعر في اللغتين الألبانية والتركية . ومن قصائده القليلة التي نعرفها اليوم لدينا قصيدة « الألف » التي تهمّنا هنا بشكل خاص ، نظراً لأنها اول قصيدة نعرفها من هذا النوع من الشعر الألباني . وهذه القصيدة تعتمد على حروف الأبجدية العربية ، ولذلك فهي تتألف من ثمانية وعشرين بيتاً ، يبدأ كل بيت بأحد حروف الأبجدية العربية من الألف الى الياء بالتسلسل . وهذا النوع من القصائد سيتحوّل الى تقليد فيما بعد في الشعر الألباني ، حيث لدينا الآن الكثير من القصائد التي تعتمد على هذه التكنية ولهذه القصيدة اهمية اخرى ، لغوية ـ تاريخية ، نظراً لأنها اول نص أدبي كُتب بلهجة منطقة تيرانا .[1]

وتبدو معرفة الحاج كاشاري للغة العربية في حقل آخر ، إذ إنه خلّف لنا قاموساً للّغتين العربية والتركية . ومن هذا القاموس تحتفظ الآن المكتبة القومية في تيرانا بنسخة مخطوطة تعود الى سنة ١٨٠٤ .[2]

وفي النصف الثاني للقرن الثامن عشر برز عدة شعراء ، ومن اهم هؤلاء الشاعر حسن زيكو كامبيري Hasan Zyko Kamberi ، الذي يعتبره البعض افضل شعراء الأدب الألباني في الأبجدية العربية .[3] وقد ولد هذا الشاعر في قرية بالقرب من مدينة كولونيا Kolonja في الجنوب ، إلا اننا لا نعرف شيئاً عن حياته اللاحقة ، عن دراسته ومصادر ثقافته الواسعة . وفيما يتعلق بفترة حياته المتأخرة لدينا ما يشير الى مشاركة الشاعر في الحرب التركية ـ النمساوية ١٧٨٩ ، وذلك من خلال قصيدة يصف فيها اهوال هذه الحرب التي شارك فيها .

---

(1) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ..., p . 144 .

(2) Ibid .

(3) Grup autorësh , Historia ..., p . 207 .

وبالاضافة الى هذا لدينا ما يؤكد تصوّف الشاعر في اواخر حياته وانضمامه للطريقة البكتاشية ، التي شهدت انتشاراً واسعاً في الجنوب منذ اواخر القرن الثامن عشر . ويبدو ان الشاعر قد توفي في نهاية القرن الثامن عشر أو في بداية القرن التاسع عشر . وبعد وفاته اقام له اهالي القرية ضريحاً كبيراً تحوّل الى تكية معروفة عند الألبانيين في الجنوب ، نظراً لأنه اصبح ولياً في نظر الناس .(١) وقد بقيت هذه التكية تحظى باحترام كبير الى أن دمّرها اليونانيون خلال احتلالهم للجنوب سنة ١٩١٤ ، إلا أن الأهالي اعادوا بناءها بعد ذلك .(٢)

ويبدو من قصائد الشاعر انه قضى معظم حياته في قريته ، حيث آثر العمل في القرية على الاسترزاق بشعره . ومع هذا ، وربما لأجل هذا ، كان كامبيري يتمتّع بشهرة كبيرة في المناطق الألبانية . ففي ذلك الحين ، كما يقول الباحث (الحافظ علي) كانت أية قصيدة للشاعر كامبيري تنتشر في كل المناطق الألبانية خلال شهر واحد من خروجها من فم الشاعر . ويضيف هذا الباحث ان الشاعر كامبيري كان مثل الشيرازي لا يهتم بكتابة قصائده ، بل كان الناس يتحلّقون حوله كـ « تحلّق الذباب حول العسل » ليكتبوا ويحفظوا كل ما يفوه به .(٣) إلا أن هذا الاهتمام الشعبي الكبير بأشعار كامبيري قد أساء بشكل ما الى الشاعر ، لأن الكثير من قصائده أصبحت مع الزمن جزءاً من التراث الشعبي(٤) ، مما أصبح من العسير تمييز هذه القصائد من الأدب الشعبي . ومع هذا فقد بقي للشاعر ديوان لقصائد تحمل

(1) H . Ali . I ndjeri Hasan Zyko Kamberi 200 vjet përpara , Kultura Islame nr . 7 - 8 , Tiranë 1944 . p . 203 .

(2) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ..., p 271 .

(3) H . Ali , Hasan zyko ... , p 201 .

(4) Kalešì, Albanska..., P. 60

اسمه حتى هذا القرن ، وقد اهتم الباحث الحافظ علي بهذا الديوان وارسله للطبع الى مدينة مناستير Manastir ، إلا أنه فقد هناك للأسف .[1] وعلى الرغم من هذه الخسارة بقي لنا الكثير من الأشعار ، التي تكفي لتقدير مكانة الشاعر كامبيري . وفي الواقع ان هذه الاشعار يمكن ان تقسم الى نوعين :

- الأشعار الغنائية والاجتماعية ـ الواقعية .
- الأشعار الدينية .

وهذا التقسيم ينسجم ايضاً مع التسلسل الزمني لابداعاته، إذ إن اشعاره الغنائية والاجتماعية ـ الواقعية، التي يصل عددها الى خمسين قصيدة، تعود الى الفترة التي سبقت شيخوخته وقبل ان يتحول الى التصوف والدَرْوشة . ومن هذه الأشعار لدينا عدة قصائد عن الحب والمرأة وحالات العشق «الذي يجعل الانسان يحترق كالشمعة»، وهي على ما يبدو تعود الى فترة مبكرة من حياته . وتتمتع بقية اشعاره الاجتماعية ـ الواقعية بقيمة اكبر في إطار الشعر الألباني، لأنها تعبّر عن وعي اجتماعي متقدم بالنسبة لذلك العصر وعن اتجاه واقعي مبكر في الشعر مما يضع الشاعر كامبيري في قمة الادب الألباني القديم .[2] ويعود هذا الى أن الشاعر كامبيري قضى معظم حياته في القرية ، حيث فضّل العمل في القرية والبقاء مع الفلاحين على الاسترزاق بشعره في المدن . وقد شارك مع هؤلاء الناس البسطاء في الحرب التركية ـ النمساوية سنة ١٦٨٩ ، حيث قاسى الكثير مما دفعه الى كتابة قصيدته الطويلة « الحرب الامبراطورية » . وفي هذه القصيدة يصف لنا اهوال الحرب والمعاناة للناس البسطاء الذين ليست لهم

(1) H. Ali, Hasan Zyko..., P. 202.

(2) Grup autorësh, Historia..., P. 208.

خبرة بالحرب ، كما يتعرض الى (لامبالاة) الضباط بمصير الجنود والناس البسطاء الذين يتساقطون كالذباب ليقدموا لضباطهم رتبة أو وساماً . ومن هذا المصير الجماعي لأمثاله من الناس البسطاء ينتقل الشاعر الى مصيره الفردي البائس الذي يدفعه الى النقمة على هذه الحرب ، التي مزّقت فيه كل شيء حتى ان جُثّته لم تسلم من هذه الحرب ، كما يقول في احد الأبيات .(١)

ويسيطر على بعض قصائده الاخرى الجانب الاجتماعي ، حيث يتناول فيها العلاقات والتقاليد التي كانت سائدة في الريف الألباني ، مما يمنح هذه القصائد قيمة خاصة . وفي الواقع ان الشاعر كامبيري لا يكتفي في هذه القصائد بالتعرّض للعادات والتقاليد الاجتماعية في الريف ، وانما يرفض ما هو متخلّف كما في قصيدته « ليلة الزفاف » التي ينتقد فيها عدم تمتّع الفتيات بأية حرية تضمن لهن الحق في تقرير مصيرهن ، في اختيار الزوج المناسب لهن . وفي هذه القصيدة يشرّح الشاعر نفسية الفتاة الألبانية التي يسيطر عليها القلق في انتظار رؤية زوجها الذي فُرض عليها دون ان تعرف عنه أي شيء . وهذا القلق لا يقتصر فقط على العروس الصغيرة وانما يسيطر ايضاً على بقية الفتيات المشاركات في العرس ، لأن هذا المشهد يدفعهن للتفكير في اللحظات التي ستقرّر مصيرهن المجهول . وفي احد المقاطع تبدو هذه الفتيات كقطيع من الخراف في ليلة العيد ، لا تعرف الى من ستُباع والى أين ستُدفع :

الصمت كان يسيطر عليهنّ .

ولم تعد الفتيات يتطلّعن في وجه أي انسان .

---

(1) Zajmi , Antologji ..., p . 160 .

بل كانت الواحدة تتطلّع بتساؤل في وجه الأخرى :

« من سيقبض على قدرنا ،

وأين سينتهي مصيرنا ؟ »[1]

وفي هذه القصيدة يرثي الشاعر أيضاً حالة العريس ، الذي يعتبره الضحية الاخرى لتقاليد الزواج في المجتمع الألباني ، التي تصرّ دون مبرّر على الانفاق الزائف في العرس ، مما يدفع هذا الشاب الذي يحلم بالزواج الى الغربة عن قريته ووطنه حيث يقضي شبابه في العمل الشاق لتأمين نفقات العرس .

ومن أعمال هذه الفترة لدينا قصيدة طويلة للشاعر كامبيري بعنوان « الدينار » ، وهي تعبّر عن مدى الخيبة التي اخذت تسيطر عليه نتيجة لتفسّخ العلاقات الاجتماعية والانسانية تحت تأثير اغراء الدينار . ولا بد لنا هنا أن نأخذ في عين الاعتبار ان الشاعر كامبيري كان يعيش في تلك الفترة التي شهدت الانحطاط الاقتصادي والسياسي للامبراطورية العثمانية ، والفوضى الاقطاعية ، التي أدّت بطبيعة الحال الى تفسخ العلاقات الاجتماعية مما كان يدفع الجميع الى البحث عن أي مصدر للثروة .[2] ويبدو هذا بشكل واضح في قصيدة الشاعر كامبيري، التي ينتقد فيها بسخرية لاذعة تهافت الناس على جمع المال دون أي اعتبار للمثل والمبادىء . وما يثير هنا أن الشاعر لا يعفي أحداً من نقده وسخريته بل يتناول كل الشخصيات ـ الرموز السياسية والاجتماعية في عصره ومحيطه (السلطان ، الوزير ، شيخ الاسلام ، رجال الافتاء ، الباشوات ، البكوات ، القضاة الخ) :

(1) Ibid ., pp . 161 - 162 .

(2) Kalešі , Albanska ..., p . 60 .

وحتى شيخ الاسلام
الذي يصدر الفتاوى
ويعرف ما في بطون الكتب
يعرف ما للدينار من قيمة

والقاضي لدى رؤ ية الدينار
يلوي الشريعة كما يريد

ويبيعك كل ما تحت يده
لأجل الدينار

الدينار في هذا العالم
أصبح يحرق الجميع ، الشيوخ والأطفال

الدينار أصبح يحيي ويميت
يحلّ ويربط ما تريد ![1]

والى جانب هذه الأشعار الاجتماعية ـ الواقعية لدينا الاعمال الاخرى للشاعر كامبيري ، التي تسيطر عليها الدوافع الدينية ، والتي تعود الى فترة متاخرة من حياته . والواقع ان هذه الأعمال ليست

(1) Zajmi , Antologji ..., pp . 155 - 156 .

ذات طبيعة واحدة بل يمكن ان تكون نتاج لحظات مختلفة كما يبدو من التقسيم التالي لهذه الأعمال :

١ ـ المولد النبوي .

٢ ـ الشعر القصصي الديني .

٣ ـ الشعر الشيعي .

فمن هذا التقسيم يبدو لنا أن الشاعر كامبيري بعد تفرغه للدين في أواخر حياته مرّ في لحظتين مختلفتين ، بحيث انه كتب « المولد » في اللحظة الأولى بينما كتب أشعاره الشيعية في اللحظة الثانية بعد ان اصبح من أتباع الطريقة البكتاشية . ومن المعروف ان الاهتمام بالمولد النبوي والاحتفال به ، وما يصاحب هذا من إنشاد لقصيدة المولد ، يقتصر هنا على الأوساط السنّية ، بينما نجد الأوساط البكتاشية ـ الشيعية تهتم أساساً بـ « المأتم » الذي تُنشد فيه الأشعار التي تدور حول كربلاء والأئمة .

ومن هذه الأعمال يتمتع « المولد » بقيمة كبيرة نظراً لأنه كتب اول عمل شعري من هذا النوع في اللغة الألبانية . ومن المعروف ان تقاليد المولد النبوي بدأت في وقت متأخر في العالم الاسلامي ، في مصر أولا في زمن الفاطميين وفي العراق فيما بعد . وقد كان الملك مظفر الدين كوكبوري صاحب اربيل (ت ١٢٣٢) هو أول حاكم سني يحتفل بالمولد النبوي ؛ مما شجع المحدّث ابن دحية الأندلسي (ت ١٢٣٧) على تصنيف كتاب له بعنوان « التنوير بمولد السراج المنير »[1] وفيما بعد تطوّر الاهتمام بالمولد النبوي لدى الأتراك

(١) الشيخ طه الولي ، تاريخ الاحتفال بذكرى المولد النبوي في الاسلام ، مجلة « الفكر الاسلامي » عدد ١ ، بيروت كانون الثاني ١٩٨٢ ، ص ٢٠ ـ ٢٢ .

العثمانيين ، الذين اصبح لديهم تعبير « المولد » يختلف عن مصدره العربي . فلدى العرب يعني « المولد » الاحتفال بهذه المناسبة وما يصاحب هذا من فرح وبهجة وتوزيع للصدقات على الفقراء ، وان كان هذا لا يمنع تلاوة القصة النبوية على المشاركين في هذا الاحتفال . اما عند الأتراك فقد اصبح يعني أولا القصيدة الطويلة التي تتناول حياة ومعجزات النبي محمد (ص) ، والتي تُنشد في الاحتفال بالمولد النبوي وفي المناسبات الاخرى ايضاً . فلدى الأتراك يشتمل « المولد » ايضاً على معنى المأتم الذي يُقام للميت ، وذلك لأن العادة جرت على قراءة قصيدة المولد فيه .[١] وقد أصبح لـ « المولد » مكانة خاصة لدى الأتراك العثمانيين منذ بداية القرن الخامس عشر ، الذي اقترن بالعمل الشعري الذي نظمه الشاعر سليمان شلبي سنة ١٤٠٩ ، وهو اول وأشهر من نظم الموالد لدى الأتراك .[٢] وقد كان لهذا العمل الشعري شهرة كبيرة في العالم الاسلامي ، نظراً لأنه دفع الشعراء في البلدان المختلفة الى تقليده أو الى ترجمته .

ومما لا شك فيه ان اهتمام الألبانيين بالاحتفال بالمولد النبوي كان بتأثير الأتراك العثمانيين الذين نشروا الاسلام في هذه المناطق . وفي الواقع ليس لدينا حتى الآن ما يشير الى الوقت الذي بدأ فيه احتفال الألبانيين بالمولد النبوي وما كان يتضمّنه الاحتفال في هذه المناسبة ، مع أنه يبدو ان الألبانيين في الفترة الأولى كانوا يعتمدون على « مولد » سليمان شلبي لكونه الأكثر شهرة . وربّما كان هذا دافعاً للشاعر كامبيري ليكتب عمله الشعري في اللغة الألبانية ، لكي يُنشد خلال

---

(١) د . حسين مجيب المصري ، في الأدب العربي والتركي ـ دراسة في الأدب الاسلامي المقارن ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٤ . وحول المولد استفدنا كثيراً من :
Dr . Fehim Bajraktarević . O našim mevludima i O mevludu uopošte , Prilozi za Književnost , jezik , istoriji i folklor , knj . XVII , Sv . I , beograd 1937 .

الاحتفال بالمولد النبوي لدى الألبانيين .

وهذا « المولد » ، كأي مولد آخر من هذا النوع ، هو عبارة عن قصيدة طويلة تتألّف من واحد وخمسين مقطعاً وكل مقطع من اربعة أبيات ، تتحدّث عن مولد وحياة ومعجزات النبي محمد (ص) في إطار شعري جذّاب .. ومن هذا « المولد » لا يوجد لدينا اليوم إلا نسخة واحدة يحتفظ بها الآن مركز الوثائق في تيرانا ، وحتى هذه النسخة كانت غير معروفة الى فترة قريبة .[1] ويتميّز هذا « المولد » الذي كتبه الشاعر كامبيري ببعض الجوانب الأصلية وبواقعيته البسيطة في نفس الوقت .[2] ولهذا اهمية كبيرة في الواقع فيما لو اخذنا بعين الاعتبار ان المولد يكتب عادة للانشاد في الاحتفال بالمولد النبوي ، الذي تهتم به أساساً الجماهير البسيطة ، مما يفترض ان يكون في إطار شعري جذّاب وفي لغة قريبة من واقع الجماهير . ولهذا لا نستغرب اليوم حين نصادف بعض الأميين ، الذين يحفظون غيباً « مولد » النبي او مقاطع منه على الأقل . وفي الواقع ان « مولد » الشاعر كامبيري يتمتّع بقيمة كبيرة ، نظراً لأنه شجع بقية الشعراء الألبانيين على إرساء هذا التقليد الشعري في المناطق الألبانية ، حيث استمر الشعراء يتنافسون حول هذا الموضوع حتى القرن العشرين ، مما أدّى الى تشكيل تراث شعري خاص بسيرة النبي محمد (ص) في اللغة الألبانية . وقد يبدو هذا الاهتمام الكبير بهذا الموضوع طبيعياً نظراً للمكانة الاجتماعية التي يكتسبها الشاعر في حالة اعتماد هذه المنطقة او تلك على « مولده » خلال الاحتفال بالمولد النبوي . وحول هذا لدينا ما يشير الى أن « مولد » الشاعر كامبيري كان منتشراً لدى الألبانيين في الجنوب بما في ذلك المناطق التي تقع حالياً في شمال

(1) Shuteriqi , Shkrimet Shqipe ..., p . 271 .

(2) Grup autorësh , Historia ..., p . 208 .

اليونان .[1] وتجدر الاشارة هنا الى أن الاحتفال بالمولد النبوي ، وبالتحديد « قراءة المولد » في المناطق الألبانية ، لا يقتصر على ذكرى مولد النبي في كل سنة ، بل تحول الى تقليد اجتماعي يتم في أوقات مختلفة (رجب وشعبان ورمضان) وفي مناسبات مختلفة (طهور الأولاد ، وذكرى الأربعين للأموات الخ) .[2]

والى جانب هذا « المولد » ترك لنا الشاعر كامبيري بعض القصائد الأخرى التي تتعلق بالدين . ومن هذا لدينا عدة قصائد طويلة دينية ـ تاريخية ، كقصيدته الطويلة عن « تاريخ ابراهيم مع هاجر وسارة » .وكان الكاتب الألباني ف دوداني V . Dodani أول من تنبّه الى اهمية هذه القصيدة ، حين اكتشفها حوالي سنة ١٨٢٢ في احدى التكايا . وقد قام هذا الكاتب حينذاك بنسخ هذه القصيد الطويلة ، التي أعجب بها كثيراً الى حدّ أنه اعتبرها قمة في الابداع .[3]

ومن الأعمال الشعرية الاخرى بقيت لدينا الأشعار الشيعية لهذا الشاعر ، التي تعود الى فترة شيخوخته بعد ان اهتم بالتصوف وأصبح من دراويش الطريقة البكتاشية التي كانت شيعية في جوهرها . ومن اقدم هذه الاعمال التي نعرفها لدينا قصيدة طويلة يتجاوز عدد أبياتها المئة وهي بعنوان « معاوية » .[4] ويشير هذا العنوان ، مع مضمون القصيدة ، إلى التأثيرات الشيعية التي خلّفتها الطريقة البكتاشية في المناطق الألبانية ، حيث تحوّل معاوية الى رمز للشر الذي نبعت منه بقية الشرور . وبالاضافة الى هذا لدينا عدة قصائد اخرى تطغى

(1) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ..., p . 273 .

(2) Hasan Kaleši , mevludi kod Arbansa , Zbornik Filozofskog Fakulteta , knj . IV - 2 , Beograd 1959 . P . 350 .

(3) Shuteriqi , Shkrimet Shqipe ..., p . 272 .

(4) Shuteriqi , Shkrimet Shqipe ..., pp . 160 - 272 .

عليها الروح الشيعية ، كما في بعض الأشعار التي تناول فيها واقعة (كربلاء) وما حدث فيها . وفي الواقع يعتبر الشاعر كامبيري اول من استثمر كربلاء في الشعر الألباني ، التي ستتحول الى موضوع رئيسي في هذا الشعر خلال القرن التاسع عشر .

ومن النصف الثاني للقرن الثامن عشر لدينا شاعر آخر يدعى الشيخ سليمان تيماني Sheh Sulejman Temani . وتشير المعلومات القليلة التي بقيت حول هذا الشاعر الى أنه من مدينة بيرات Berat ، التي تحدثنا عنها في السابق ، حيث كان شيخ الطريقة الخلوتية في هذه المدينة . وبعد وفاته تحول ضريحه في ضاحية هذه المدينة الى مزار معروف يشدّ اليه الناس ، الذين كانوا يجلّونه كثيراً .[1] . ويبدو ان معظم أشعار هذا الشيخ الخلوتي قد انتهت الى الضياع حتى اننا لا نعرف له الآن الا بعض القصائد فقط . ومن هذه نشرت له مجلة « الثقافة الاسلامية » قصيدة دينية له في الأربعينيات ، تتألف من تسعة وعشرين بيتاً تعتمد على الوزن الشعري العربي .[2] وقد نشرت له هذه المجلة قصيدة اخرى يمدح فيها الامام علي بن أبي طالب ويشيد بشجاعته في القتال :

حين يمتطي علي الدُّلْدل
تهلع قلوب الكفّار من الرعب
أنت صاحب « ذو الفقار »
الذي يحتقر كل منكر

(1) H . (Ali) , Shkrimtarët muslimanë , Kultura Islame nr . 3 , Tiranë 1942 , p . 91 .

(2) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ...., p . 142 .

ويقطع رأس كل كافر[1]

وفي هذه الأبيات نجد « الدُلْدل » ، التي تحولت الى اسطورة في المناطق الألبانية بتأثير دراويش الطريقة البكتاشية . ومن المعروف ان « الدُلْدل » كانت بغلة النبي البيضاء ، التي بقيت حية للامام علي حسب المعتقدات الشيعية ، التي طوّرتها الى اسطورة « الحصان الطائر » فيما بعد .[2]

وتجدر الاشارة هنا الى أن كل هؤلاء الشعراء كانوا من الجنوب ، وخاصة من مدينة بيرات التي كانت اهم مركز للأدب الألباني في الأبجدية العربية ، بينما نجد ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر - بروز بعض الشعراء في الشمال . ومن هؤلاء الشعراء المعروفين لدينا حسين دوبراتشي Hysein DobraÇi ، الذي عاش في مدينة شكودرا Shkodra واشتهر بشعره في النصف الثاني للقرن الثامن عشر . وفيما يتعلق بشعره نجد ان الحب كان يطغى على بقية اهتماماته ، حتى أنه كان يشكّل الموضوع الرئيسي في أشعاره .[3] ويبدو ان الشاعر دوبراتشي كان يتمتّع بشهره كبيرة حتى اواخر القرن التاسع عشر ، مما لفت اليه اهتمام بعض الباحثين الغربيّين . فقد اهتم به اولا الباحث الفرنسي هكوارد Hecquard الذي تحدث عنه بتقدير في كتابه « تاريخ ووصف البانيا الشمالية » الذي صدر في باريس سنة ١٨٥٧ .[4] وفيما بعد كتب عنه الباحث الأيطالي جوباني Jubany في كتابه المعروف ،

(1) H . (Ali) , Shkrimtarët ..., p . 91 .

(2) Dr . Hasan Kaleshi , Ndikimet orientale në tregimet popullore shqiptare , Buletin i Muzeut të Kosovës XI , Prishtinë 1972 , p . 22 .

(3) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ..., p . 136 .

(4) H . Hecquard , Historie et description de la Haute Albanie ou Guearie , paris 1857 .

حيث يعتبره « شاعراً معروفاً في ألبانيا » . (١) وحول هذا الشاعر لدينا ما يشير الى ان الكثير من أشعاره قد تحول الى اغان شعبية واصبحت مع الزمن جزءاً من الأدب الشعبي الألباني في الشمال . (٢)

ويبدو ان مدينة « شكودرا » عاصمة الشمال ، قد تحولت الى مركز منافس لعاصمة الجنوب بيرات منذ منتصف القرن الثامن عشر . وكانت مدينة شكودرا قد ازدهرت اقتصادياً وسياسياً وثقافياً وتحولت الى مركز لباشوية البانية شبه مستقلة في ذلك الوقت تحت حكم عائلة بوشاتلي Bushatlli ، التي فتحت بلاطها للشعراء . ومن شعراء هذه المدينة في النصف الثاني للقرن الثامن عشر ، بالاضافة الى حسين دوبراتشي ، لدينا عدة اسماء معروفة كالشاعر حسين شكودرا Hysen Shkodra وصالي باتا Sali Pata وغيرهم . وقد اشتهر بشكل خاص الشاعر صالي باتا بقصائده الساخرة ، حتى ان سكّان مدينة شكودرا ما زالوا يحفظون اشعاره الى الآن . (٣)



(1) G . Jubany , Raccolta di canti popolari e rapsodie albanesi , Trieste 1871 , p . 114 .

(2) Shuteriqi , Shkrimet Shqipe ..., p . 142 .

(3) Ibid .

الفصل الخامس

أدب القرن التاسع عشر

بعد تطور الأدب الألباني في الأبجدية العربية وانتشاره الواسع في القرن الثامن عشر ، وصل هذا الأدب الى قمته خلال القرن التاسع عشر الذي شهد ابرز واضخم الأعمال الادبية الألبانية . وخلال هذا القرن استمرّ هذا الأدب في الصعود حتى العقد الثامن ، حيث قدّم اهم الابداعات خلال هذه الفترة ثم بدأ بعد ذلك في الهبوط نتيجة للتطورات التي حدثت في الساحة الألبانية . فحتى العقد الثامن من القرن التاسع عشر كانت الأبجدية العربية هي ابجدية الألبانيين المسلمين ، وبالتالي كانت ابجدية الغالبية لدى الألبانيين . وقد تميّزت الفترة اللاحقة بانقسام المسلمين حول موضوع الأبجدية ، الذي كان يشغل الحركة القومية الألبانية الصاعدة . ونتيجة لهذا الانقسام بقي الطرف السني على ولائه للأبجدية العربية ، بينما تخلّى الطرف البكتاشي الشيعي عن هذه الأبجدية لصالح الحروف اللاتينية . وفي هذا الاتجاه قامت التكايا البكتاشية بدور كبير في نشر الأدبيات بالأبجدية اللاتينية .[1]

وعلى الرغم من هذا يعتبر القرن التاسع عشر أخصب فترة للأدب الألباني في الأبجدية العربية ، نظراً لأن الإبداعات الأدبية التي كتبت في هذه الأبجدية دخلت في تاريخ الأدب الألباني لما اضافته من تجديد وتأصيل الى هذا الأدب . ومع هذا فقد تعرّض اصحاب هذه الابداعات نتيجة لعدم الاهتمام بالأدب الألباني في الأبجدية العربية

(١) حول موقف هذه الطريقة من الأبجدية انظر :

Stavro Skendi , The Albanian National Awaking , New Jersey 1967 , p . 143 .

والازدراء به ـ الى نوع من التجاهل بعد فترة الاستقلال وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية مما ادى الى عدم نشر معظم اعمالهم .

ومن شعراء النصف الأول للقرن التاسع عشر لدينا طاهر نصيبي Tahir Nesibi (توفي ١٨٣٥) ، وهو من الآباء المعروفين للطريقة البكتاشية في الجنوب . وقد زار هذا الشاعر في شبابه العراق ، حسب تقاليد الطريقة البكتاشية في ذلك الوقت ، حيث اقام هناك فترة من الزمن .[1] ولدى عودته انشأ تكية في قرية فراشر Frashër ، التي قامت بدور كبير في الحياة الثقافية والقومية ، كما سنرى في هذا الفصل . وقد تحدّث عن هذا الشاعر مؤلف « قاموس الاعلام » شمس الدين سامي الذي نشأ في نفس القرية حيث ذكر لنا انه كتب اشعاراً كثيرة في اللغة الألبانية بالاضافة الى ما كتبه في اللغتين التركية والفارسية . ويضيف المؤلف عن هذا الشاعر انه لدى عودته من العراق توقف في مدينة ليسكوفيك Leskovik حيث احاط به العلماء لاختبار ثقافته الدينية ، فما كان منه إلا أن ردّ بقصيدة طويلة على تلك الأسئلة .[2] ومن هذه الأشعار التي كانت معروفة في ذلك الوقت ، لم يبق شيء الآن ولا نعرف ماذا حلّ بها .[3]

ويرتبط النصف الأول للقرن التاسع عشر باسم الشاعر محمد تشامي Muhamet Çami ، الذي قدّم اهم الابداعات للأدب الألباني خلال هذا القرن . وحول حياة هذا الشاعر لا نعرف في الواقع إلا القليل . فقد ولد سنة ١٧٨٤ في مدينة كونيسبول Konispol في أقصى الجنوب ، حيث انهى دراسته في احدى المدارس المحلية . وقد تكفّله

(1) Baba Rexhepi , Misticizma islam dhe Bektashizma , New York 1970 , p . 280 .
(2) Ibid .

(3) Dhimitër S.Shuteriqi , Shkrimet Shqipe në vitet 1332 - 1850 , ribotim i prishtinës 1978 , p . 207 .

عمه فيما بعد وأرسله لمتابعة دراسته في القاهرة ، حيث دخل الأزهر ، وبقي هناك إحدى عشرة سنة . وقد كانت إقامته الطويلة في القاهرة

في الفترة التي شهدت بروز محمد علي باشا في الساحة المصرية . وقد عاد بعد تخرجه من الأزهر الى مدينة كونيسبول ، حيث اصبح شيخاً وبقي على هذه الحالة حتى وفاته سنة ١٨٤٤ .(١) ولا شك في أن هذه الاقامة الطويلة في القاهرة ، التي صاحبت دراسته في الأزهـر ، قد ساعدت كثيراً محمد تشامي على التعمق في اللغة العربية والاطـلاع على الأدب العربي ، كما يبدو في اعماله اللاحقة . وبالاضافـة الى هذا ، كان لاقامته الطويلة في مصر تأثير لاحق يبـدو بوضـوح في موضوعات اعماله المختلفة .

وفيما يتعلق بأعمال محمد تشامي تجـدر الاشـارة هنـا الى ان هذا الشاعر ، وعلى الرغم من المكانة الكبيرة التي يتمتّع بها ، كان ضحية للازدراء الذي تعرّض له الأدب الألبانـي في الأبجـدية العـربية الى درجة ان معظم اعماله بقيت غير معروفة الى ما بعد الحرب العـالمية الثانية ، وغير منشورة الى اليوم . ويبدو الآن ، بعد ان تمّ اكتشاف معظم اعماله ، ان الشاعر محمد تشامي كان غزير الانتاج .(٢) وهذا الانتاج الشعري الكبير يتوزّع في الواقع على ثلاثة محاور رئيسة :

١ ـ الترجمات الشعرية .

٢ ـ القصائد الشعرية .

٣ ـ القصص الشعرية .

---

(1) prof . Dhimitër S.Shuteriqi , Histori e letërsisë shqipe , ribotim i prishtinës 1977 , p . 41 .

(2) Grup autorësh , Historia e letërsisë shqipe , ribotim i prishtinës 1975 , p . 215 .

فمن ترجماته الشعرية نعرف له الآن عدة قصائد طويلة ، ولعلّ من اهمها ترجمته لقصيدة « البردة » للشاعر المصري شرف الدين البوصيري (١٢١٣ - ١٢٩٥) ، التي حظيت بشهرة كبيرة في العالم الاسلامي . ويبدو لنا ان ترجمته لهذه القصيدة جاءت نتيجة لاقامة الشاعر الطويلة في مصر ، حيث اتاحت له هذه الاقامة ان يتّقن اللغة العربية وان يطلع على الأدب العربي هناك . وقد اكتشفت نسخة من هذه الترجمة في وقت متأخر في مخطوطة تتألف من اربعين صفحة تعود الى سنة ١٨٨٤ . ومن الترجمات الاخرى للشاعر محمد تشامي لدينا قصيدة طويلة تتألف مما يزيد عن اربعمائة بيت وتحمل عنواناً عربياً « تارك الصلوات » .[1] ويتضح من هذا العنوان ان موضوع القصيدة يتناول اولئك الذين يتقاعسون او يتناسون القيام بتأدية هذه الفريضة وما ينتظر هؤلاء من عقاب في يوم الحساب . وفي الواقع لا يوجد لدينا في النسخة المخطوطة لهذه القصيدة ، التي كتبت بقلم احد اقرباء الشاعر ما يشير الى الشاعر او الى المصدر الذي ترجمت منه هذه القصيدة .

وبالاضافة الى الترجمات الشعرية خلّف لنا محمد تشامي الكثير من الأشعار التي تعبّر عن اهتماماته المختلفة . وهذه الاشعار يمكن ان تقسم بدورها الى نوعين ، حيث يسيطر على القسم الأول الدوافع الدينية بينما تتناول الأشعار الاخرى موضوعات ذاتية وتاريخية مختلفة .

ومن الأشعار الأولى لدينا قصيدة طويلة تتألف من عدّة مئات من الأبيات ، التي يتعرّض فيها لشرب الخمر في صفوف المسلمين . ويبدو من هذه القصيدة ان هذه العادة كانت شائعة في محيط الشاعر في

(1) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ... , p . 194 .

ذلك الوقت ، مما دفعه الى الاحتجاج ضد هذا التساهل في الدين . وفي الواقع ان هذا التساهل كان شائعاً في الجنوب الألباني ، حيث كان يعيش الشاعر ، نتيجة لانتشار الطريقة البكتاشية في هذه المنطقة التي كانت تسمح بشرب الخمر لأتباعها . وعلى كل حال تتمتّع هذه القصيدة بقيمة فنية كبيرة تبرز بشكل خاص في وصف عالم المخمورين في الحانات .[1] والى جانب هذه نعرف الآن قصيدة اخرى للشاعر وجدت في مخطوط يتألف من ست عشرة صفحة ، وهي تدور حول وفاة النبي محمد (ص) . وهذه الدوافع الدينية تسيطر على مجموعة شعرية كاملة لمحمد تشامي ، وهي تتألف من سبع وثلاثين قصيدة ويصل عدد ابياتها الى ثلاثة آلاف وسبعمائة بيت .[2]

ومن الأشعار الاخرى لدينا قصيدة معروفة للشاعر محمد تشامي بعنوان « المغتربون » . ومن الواضح ان هذه القصيدة عصارة لتجربة الشاعر الذي عايش الغربة خارج الوطن خلال إقامته الطويلة في مصر في بداية القرن التاسع عشر ، أي في الوقت الذي بدأ فيه تدفّق المهاجرين الألبانيين الى مصر . وفي هذه القصيدة يصف لنا الشاعر تشامي حياة الغربة وتمزّق المغتربين بين التكيّف مع الوسط الجديد والشوق الى الوطن القديم . وقد انتشرت هذه القصيدة التي تتألف من مئة بيت ، في اوساط الألبانيين لأن التغرّب كان شائعاً لديهم في القرن التاسع عشر ، الذي شهد هجرة واسعة للألبانيين في اتجاه الشرق والغرب . وتحت تأثير هذه الظروف بقيت هذه القصيدة حيّة الى هذه الأيام بفضل الذاكرة الشعبية التي حفظتها من

(1) Grup autorësh , Historia ..., p . 216 .

(2) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ..., p . 191 .

النسيان .[1]

ما بك يا قلب لا تكفّ عن الأنين
ولا تهدأ في أي مكان
لا في الليل ولا في النهار

دع رحمتك يا الله
تشمل المغتربين في كل مكان
لهم من الهموم
ما لا يُطاق
وحين يموتون لا يعرفون الراحة
حتى في قبورهم[2]

والى جانب هذا لدينا قصيدة طويلة للشاعر تشامي تتألف من ستّمائة بيت ، وهي تدور حول معارك وبطولات الجيش المصري بقيادة ابراهيم باشا في اليونان . ويبدو لنا ان إقامة الشاعر محمد تشامي في مصر في بداية القرن التاسع عشر ، حيث شهد وعايش فترة حكم محمد علي باشا وابنه ابراهيم ، هي التي اثّرت فيه ودفعته الى كتابة هذه القصيدة الطويلة .

وتتميّز القصص الشعرية التي ابدعها الشاعر محمد تشامي بقيمة

(1) Ibid ., p . 236 .

(2) Grup autorësh , Historia ..., pp . 215 - 216 .

اكبر وهي التي جعلت منه في الواقع اسماً معروفاً في تاريخ الأدب الألباني . ومن هذه الأعمال لدينا قصته الشعرية « أروى » التي تتألف من ثمانمائة وستة وخمسين بيتاً والتي كتبها حوالي سنة ١٨٢٠ . وموضوع هذه القصة كان معروفاً لدى العرب من خلال « ألف ليلة وليلة » ، حيث وردت هذه القصة في الليلة الثانية والستين بعد المائة الرابعة .[1] ومع ان الباحث المعروف حسن كلشي H . Kaleshi قد أشار في إحدى دراساته الى اطلاع الشاعر محمد تشامي على « الف ليلة وليلة » خلال إقامته الطويلة في مصر ،[2] إلا أن مصدر هذه القصة بقي مجهولاً في تاريخ الأدب الألباني[3] الى سنة ١٩٧٩ ، حين كشفنا في دراسة لنا عن المصدر العربي لهذه القصة الشائعة في الأدب الألباني .[4]

وموضوع هذه القصة كما ورد في « ألف ليلة وليلة » يدور حول امرأة كُتب عليها ان تعاني كثيراً في سبيل حب زوجها . فقد تركها زوجها القاضي امانة لدى اخيه الى أن يعود من عمل له ، إلا ان هذا يحاول أن يغريها بحبّه في غياب اخيه . ولكن ، حين يواجه رفضها العنيف يستدعي الأخ شهود زور ليشهدوا عليها بالزنا ، مما يعرّضها لعقوبة الرجم . وقبل ان تلفظ انفاسها الأخيرة ينقذها عابر سبيل ويأخذها الى بيته . إلا إن المشاكل تبقى تلاحقها من بيت الى بيت ومن مكان الى آخر ، دون ان تستسلم للظروف الى ان تلتقي اخيراً

(١) ألف ليلة وليلة ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٧٢٨ - ٧٣٠ .

(2) Dr. Hasan Kaleshi, Ndikmiet oriental në tregimet popullore shqiptare , Buletini i Muzeut të Kosovës XI , Prishtinë 1971 - 1972 , p . 26 .

(3) Kaleši , Albanska ..., p . 60 .

(4) Muhamed Mufaku , Erveheja në përrallat popullore , Rilindja (Prishtinë) 6 . 1 . 1979 .

بزوجها الذي عانت في سبيله كل هذه المصاعب . وتجدر الاشارة هنا أن هذه القصة لا نجدها في « ألف ليلة وليلة » فقط ، وانما في الأدب العربي الحديث ايضاً . فقد تحولت هذه القصة الى موضوع لرواية « أورى بنت الحظوب » ، التي صدرت في القاهرة سنة ١٩٤٨ للأديبة السورية وداد سكاكيني .(١)

وفي القصة الشعرية « أروى » لمحمد تشامي نجد ان البداية تتطابق مع « ألف ليلة وليلة » :

اروى كانت امرأة
لا مثيل لها في تلك الأيام
واضطر زوجها على عادته
أن يسافر الى بلاد الغربة
فأرسل وراء اخيه
ليترك زوجته امانة في بيته

اخذ الزوج طريقه
وسارت اموره على ما يرام
كان مرتاحاً كعادته
لأنه ترك اروى في مكان امين

أما اخوه في المدينة
فقد عاد ليرعى الأمانة
دخل الى البيت
وتوجه الى أروى

(١) وداد سكاكيني ، أرْوى بنت الحظوب ، القاهرة ـ دار الفكر العربي ١٩٤٨ .

قال لها دون تمهيد :

« أروى يا حياتي !
لقد أصبحت بائساً من التفكير بك
في الليل والنهار ! »[1]

وبعد هذا تتطور الأحداث في خط يتشابه مع رواية « أروى بنت الحظوب » ، مع بعض التعديلات التي تتلاءم مع المحيط الألباني . ففي رواية الأديبة سكاكيني مثلاً تُباع أروى الى صاحب قافلة في الصحراء ، بينما غيرّ الشاعر تشامي هذا المشهد وجعل عملية البيع تتمّ لصاحب مركب قرب شاطىء البحر . وهذا التشابه الكبير بين القصة الشعرية لتشامي ورواية سكاكيني مثير فعلا ، مع أن الأديبة سكاكيني قد نفت اعتمادها على أي مصدر لروايتها .[2]

وقد انتشرت هذه القصة الشعرية في المناطق الألبانية خلال القرن التاسع عشر الى حد انها طغت على أي عمل آخر في الأدب الألباني . وكان النص الأصلي للقصة قد نُسخ اكثر من مرة ، إلى ان وقعت نسخة من هذه القصة في يد الكاتب الألباني المعروف ياني فريتو Vreto Jani (١٨٢٢ ـ ١٩٠٠) فأعاد كتابتها بالحروف اللاتينية وطبعها للمرة الأولى سنة ١٨٨٨ في بوخارست . وفي الواقع كانت النسخة الأصلية افضل ، لأن الناشر عمد الى تصفية القصة من الكلمات العربية والتركية مما أساء الى هذه القصة في بعض النواحي .[3] ومع هذا كان لنشر هذه القصة دوره في تعلّق الألبانيين بها ، حتى ان الباحث المعروف عثمان مدرّسي Osman Myderrizi يعترف بأن كتاب

---

(1) Dhimitër S,Shuteriqi , Antologjia e letërsisë shqipe , ribotim i prishtinës 1973 , p . 58 .

(٢) من حديث للأديبة سكاكيني في بيتها بدمشق ، تموز ١٩٨١ .

(3) Grup autorësh , Historia ..., p . 219 .

« أروى » كان مرغوباً ومطلوبـاً اكثر من أي كتـاب آخـر في عصر النهضة القومية الألبانية .[1] وتجدر الاشارة هنا الى أن اسم « أروى » قد اصبح شائعاً لدى الألبانيات بفضل هذه القصة الشعرية ، حيث نجد الكثير من الفتيات والنساء يحملن هذا الاسم في المدن الألبانية وخاصة في الجنوب .[2]

وفي الواقع ان هذه القصة الشعرية لم تنتشر فقط في اوساط القراء والمثقفين ، وانما في الاوساط الشعبية ايضاً حتى انها اصبحـت جزءاً من الأدب الشعبي الألباني . وقد عثرنا خلال ابحاثنا على عرضـين لهذه القصة فيما تمت طباعته الى الآن من الأدب الشعبي الألبانـي . وتحمل القصة الأولى عنوان « عهد عقد الزواج » ، وقد نشرت اولا في كتاب د . كورتي « حكايات البانية » ثم في مجموعة « الفولكلور الألباني ـ النثر الشعبي » التـي صدرت في تيرانـا سنـة ١٩٦٦ .[3] والقصة الثانية التي وجدناها هي « زوجة الحاج » ، التي تُروى الى الآن لدى الألبانيين في يوغسلافيا .[4] وفي هذه العـروض الشـعبية لقصة « أروى » لا نجد سوى بعض التعديلات البسيطة . نظراً لأن كل قصة تشير الى الوسط الذي تُروى فيه . ففي القصة الأولى « عهد عقد الزواج » نجد ان الزوج يضطر الى فراق زوجته بسبب الهجرة للبحث عن العمل ، الشيء الذي كان شائعاً بين الألبانيين في الجنوب خلال القرن التاسع عشر . اما في القصة الثـانية « زوجـة الحـاج » فنجد ان الزوج يضطر لفراق زوجته بسبب ذهابه الى الكعبة لاداء

---

(1) Osman Myderrizi , Tekstet e vjetra shqip me alfabet arab , Konferenca e studimeve albanologjike , Tiranë 1965 , p . 290 .

(2) Ibid .

(3) Folklori shqiptar - proza popullore II , Tiranë 1966 , p . 407 .

(4) Halil Kajtazi . proza popullore e Drenicës II , prishtinë 1972 , p . 33 .

فريضة الحج . [1]

وقد حظيت « أروى » بشهرة اكبر في هذا القرن ، حين تحولت هذه القصة الشعرية الى مسرحية قام بكتابتها احمد تشيريزي Qerezi Ahmet . وقد عرضت هذه المسرحية لأول مرة سنة ١٩٦٧ في « المسرح الشعبي الاقليمي » في مدينة بريشتيناPrishtina ، عاصمة اقليم كوسوفا في يوغسلافيا . وقد اعتبرت هذه المسرحية حينذاك مفاجأة الموسم ، حيث حصلت على خمس جوائز في « ملتقى المسارح المحترفة » في جمهورية صربيا ، كما انها فازت بالجائزة الأولى في مهرجان المسرحيات اليوغسلافية في نفس السنة ١٩٦٧ [2] . ويكفي ان نضيف هنا أن هذه المسرحية ما زالت تعرض بنجاح الى اليوم ، بل ان احد النقاد يعتبرها انجح مسرحية عرضت الى الآن خلال الأربعين سنة الأخيرة . [3]

وفي الواقع ان اهمية « أروى » التي كتبها محمد تشامي تنبع من كونها أول عمل شعري قصصيPoema في الأدب الألباني ، [4] بل أن بعض الباحثين يعتبرها اول قصةNovella لا في الشعر وحسب وانما في الأدب الألباني بشكل عام . [5] ويذهب الباحث عثمان مدّرسي ، الذي له الفضل الكبير في التعريف بهذه القصة ، الى ابعد من هذا حين يقرّر ان الأدب الألباني الحديث لم يبدع الى الآن شخصية تفوق

---

(١) للتوسع حول هذا الموضوع انظر :

محمد موفاكو ، أروى العربية وأروى الألبانية ، مجلة « المعرفة » عدد ٢١٨ ، دمشق نيسان ١٩٨٠ ص ١٨٦ ـ ٢٠١ .

(2) Vehap Shita , Kur ndizen dritat , Prishtinë 1977 , p . 27 .
(3) Beqir Musliu , Teatri dhe publiku , Fjala , prishtinë 15 . XI . 1980 , p .14 .
(4) Grup autorësh. Historia ..., p . 224 .
(5) Kalešì, Prilog poznavanju ..., p . 361 .

« أروى » في شعبيتها لدى الألبانيين . [1]

ويبدو لنا ان هذه الشهرة الواسعة التي حظيت بها « أروى » قد أساءت بشكل ما الى الشاعر محمد تشامي ، نظراً لأن اسمه ارتبط بها فقط على حساب بقية اعماله التي تتمتّع بقيمة افضل منها . ومن هذه الاعمال لدينا قصة شعرية اخرى بعنوان « يوسف وزليخة » التي تتميز بطولها ، إذ إنها تتألف من ألفين وأربعمائة وثلاثين بيتاً . ومن المعروف ان هذه القصة كانت موضوعاً لأعمال كثيرة في الأدب العربي والفارسي والتركي ، كما انها استمرت في الأدب الألباني بعد محمد تشامي . ومن المحتمل ان تكون هذه القصة الشعرية قد نشأت لدى محمد تشامي لدى إقامته الطويلة في مصر ، نظراً لأن الشاعر يؤكد على المحيط المصري الذي تدور فيه احداث هذه القصة . وتتمتّع هذه القصة بقيمة فنية اكبر ، إذا قورنت بـ « أروى » التي كان الشاعر قد كتبها في وقت سابق ، حيث يبدو ان موهبة محمد تشامي قد تطورت بشكل واضح خلال هذه الفترة الفاصلة بين كتابة هذين العملين . ففي قصة « يوسف وزليخة » تبدو مهارة الشاعر في التحليل النفسي وخاصة في تصوير عالم شخصياته من الداخل ، مما يمنح هذه القصة قيمة اكبر . [2] وقد كان لهذه القصة الشعرية شعبية واسعة لدى الألبانيين ، وخاصة في الجنوب ، حيث انتقلت من جيل الى جيل حتى انها ما زالت تُسمع وتُنشر الى اليوم . [3]

وفي نفس الفترة التي برز واشتهر بها محمد تشامي برز شاعر آخر من مدينة تيرانا هو (أدهم مولاي Ethem Mollaj) ، الذي كان ينتمي

(1) Mydrrizi , Tekstet e vjetra ..., p . 290 .

(2) Grup autorësh , Historia ...., p .220 .

(3) Shuteriqi, Shkrimet shqipe ...., p . 236 .

الى احدى العائلات المعروفة في ثروتها ونفوذها في ألبانيا الوسطى . وقد ولد هذا الشاعر سنة ١٧٨٣ في مدينة تيرانا ، حيث يحتمل ان يكون قد انهى دراسته في احدى مدارسها . ويبدو انه كان يتمتع بثروة كبيرة ، إذ انه بنى جامعاً في مدينة تيرانا يُعرف باسمه الى اليوم وقد دُفن فيه سنة ١٨٤٨ . وفيما يتعلق بشعره لدينا ما يشير الى انه كان يكتب الشعر في اللغتين الألبانية والتركية ، حتى ان بعض الباحثين يذكر له أربعة دواوين في اللغة التركية . أما في اللغة الألبانية فقد خلف لنا مجموعة من القصائد التي يسيطر عليها النفس الديني ، بالاضافة الى ديوان شعر[1] ، إلا أن هذه على ما يبدو قد فُقدت للأسف او على الأقل لم يُعثر عليها حتى الآن .

ومن النصف الأول للقرن التاسع عشر لدينا شاعر آخر ، طاهر جاكوفا Tahir Gjakova ، وهو من أقصى الشمال من منطقة كوسوفا التي تقع اليوم في جنوب يوغسلافيا . ويبدو ان الأدب الألباني في الأبجدية العربية قد برز في جنوب يوغسلافيا الحالية خلال القرن الثامن عشر .[2] وحول هذا الشاعر تفيد المعطيات القليلة التي بقيت لنا انه كان يتمتع بثقافة عربية اسلامية واسعة . ومن المعروف عن هذا الشاعر أنه قد تابع دراسته في استنبول ثم عاد بعد ذلك الى مدينة جاكوفا Gjakova ، حيث أصبح مدّرساً معروفاً في المدرسة العليا في هذه المدينة . ومع أن بعض المصادر تشير الى أنه ألف عدة كتب ، ومن بينها كتاب عن عادة الثار لدى الألبانيين ، إلا أننا لا نعرف له اليوم سوى كتابه « وهبية » الذي طبع في استنبول لأول مرة بسنة

(1) Shuteriqi, Shkrimet shqipe ... p . 262 .

(2) Muhamet pirraku, Gjurmë të veprimtarisë letrare shqipe me alfabet arab në Kosovë, — Dituria 1 - 2, prishtinë 1978, p . 80 .

١٨٣٥ .[1] وربما لهذا يتمتع الكتاب بأهمية كبيرة ، لأنه أول كتاب يُطبع في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية . ويبدو أن هذا الكتاب لقي رواجاً فيما بعد ، إذ إنه نُشر للمرة الثانية في صوفيا سنة ١٩٠٧ ، ولكن في الأبجدية اللاتينية هذه المرة .[2] وقد أعاد الباحث د . ادريس آيتي نشرة للمرة الثانية سنة ١٩٦٠ مع دراسة وافية لأهمية الكتاب التاريخية واللغوية .[3] .

وهذا الكتاب يجمع في الواقع بين الشعر والنثر ، ويحتوي من الشعر على عدة مئات من الأبيات . وما يثير هنا أن الشاعر وضع في الصفحة الأولى ، وتحت العنوان مباشرة ، الوزن الشعري الذي اعتمد عليه في كتابة الأبيات : فاعلاتن ـ فاعلاتن ـ فاعلن ، أي بحر الرمل الذي حافظ عليه حتى آخر الأبيات . وفي الواقع ان المؤثرات العربية لا تبدو في الشعر فقط ، وإنما في النثر أيضاً . فقد استعمل الشاعر في كتابه السجع ، الذي يُعتبر هنا من المؤثرات التي جاءت مباشرة من الأدب العربي .[4] وفي الكتاب نجد موضوعات متنوعة تعبر عن آراء الشاعر في الحياة والمعاملة والمعرفة الخ . وفي هذه الموضوعات لدينا الكثير من المؤثرات العربية ، من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، مما يؤكد الثقافة العربية الاسلامية التي كان يتمتّع بها هذا الشاعر .[5]

ومن هذه الفترة لدينا ايضاً الشاعر داليب فراشري Frashëri

(1) Kaleši , Prilog poznavanju ...., p . 361 .
(2) Emni Vehbije shkruarë me shkronja turqisht prej Tahir efendis Djakoves Kthyerë me Shkronja shqip prej I.H.Gj ., Sofje 1907 .
(3) Dr . Idriz Ajeti , Pamje historik e ligjermit shqip të Gjaakovës në fillim të shekullit XIX , prishtinë 1960 .
(4) Kaleši , prilog poznavanju ...., p . 362 .
(5) Muhamed Mufaku , Lidhjet letrare shqiptare - arabe , Universiteti i Kosovës, Prishtinë 1981, pp : 133 - 135 .

Dalip ، الذي اشتهر بملحمته الضخمة « الحديقة » التي تعتبر اول وأطول ملحمة في تاريخ الأدب الألباني .وعن هذا الشاعر لا نملك الا بعض الاشارات حول حياته . ولهذا لا نعرف عنه سوى ان الشاعر ولد في قرية فراشرFrashër ، التي كانت تضمّ تكية معروفة للطريقة البكتاشية ، حيث قضى فيها معظم حياته بعد أن اصبح من أتباع هذه الطريقة .(١) وفيما عدا هذا لا نعرف سوى السنة التي انتهى فيها من كتابة هذه الملحمة الضخمة ، حيث ذكر في نهايتها يوم الجمعة المصادف للواحد والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٢٥٨ هـ ، أي في سنة ١٨٤٢ م .(٢)

وتتألف هذه الملحمة من ستة وخمسين ألف بيت من الشعر حول فاجعة كربلاء ، وهي عبارة عن محاولة ألبانية لتجاوز ما قام به الشاعر فضولي البغدادي في كتابه « حديقة السعداء » . ومن المعروف ان كتاب الشاعر فضولي يجمع بين الشعر والنثر ، بينما قام الشاعر داليب فراشري بالاعتماد على الشعر فقط ليبدع هذه الملحمة الضخمة عن احداث كربلاء وما لحق بها . وقد قسّم الشاعر فراشري عمله الملحمي الى عشرة فصول بالاضافة الى المقدمة والخاتمة التي صاغها في الشعر ايضاً . وفي مقدمة الملحمة يستعرض الشاعر تاريخ البكتاشية في المناطق الألبانية ، حيث يتحدث عن اهم الشخصيات التي ساهمت في نشر هذه الطريقة ، ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده وما صاحب هذا من تطورات الى معركة كربلاء ، حيث يصور بالتفصيل احداث هذه المعركة ويرثي من سقط فيها من الشهداء وعلى رأسهم الامام الحسين .

---

(1) Grup autorësh , Historia ..., p . 224 .

(2) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ...., p . 226 .

صفحة من مخطوطة ملحمة « الحديقة » للشاعر داليب فراشوي ، ويلاحظ في البيت الثاني الوزن الشعري العربي الذي استخدمه الشاعر .

وتعبّر هذه الملحمة في الواقع عن التغيرات التي حدثت في المجتمع الألباني نتيجة لانتشار الطريقة البكتاشية فيه . ومن المعروف ان هذه الطريقة تجمع بين التصوف والتشيّع ، مع أن التشيع يكاد يكون الأرضية الأساسية لهذه الطريقة . ومن المثير ان هذه الطريقة ، بما قدّمت من تنازلات ، قد انتشرت لدى الألبانيين كما لم تنتشر لدى أي شعب في العالم الاسلامي . وقد أدى انتشار هذه الطريقة في المناطق الألبانية الى تشكيل تقاليد شيعيّة في العلاقات والعادات والاحتفالات لدى الألبانيين . ومن هذه التقاليد انتشرت عادة المأتم Matem ، الذي يُقام في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم في كل سنة لذكرى شهداء كربلاء . وخلال هذه الأيام العشرة يمتنع الألبانيون عن شرب الماء كمعايشة للعطش الذي عانى منه شهداء كربلاء ، ويذهبون الى التكايا لاستذكار أيام كربلاء وهم يردّدون في الطريق : يا إمام ! يا إمام ! . وفي التكايا تُقسم هذه الأيام العشرة لسرد الأحداث حتى الليلة العاشرة ، التي يتم الحديث فيها عما جرى في كربلاء فقط ، كما تُنشد قصائد الرثاء Merthije ، التي ترثي شهداء هذه المعركة .[1] وقد جرت في البداية محاولة لترجمة كتاب الشاعر فضولي « حديقة السعداء » الى الألبانية لكي يُقرأ في هذه المناسبة ،[2] الى أن قام الشاعر داليب فراشري بتأليف ملحمته الضخمة لتكون خاصة بالألبانيين . ومن الواضح هنا ان تقسيم هذه الملحمة الى عشرة فصول انما يتناسب مع تقليد المأتم الذي يمتّد على عشرة أيام .

(1) Xhevat Kallajxhi , Bektashizmi dhe teqja shqiptare n'Amerikë , New York , pp . 63 - 65 .

وللتوسع حول هذا انظر :

محمد موفاكو ، كربلاء في الأدب الألباني ، مجلة « المعرفة » عدد ٢١٣ ، دمشق - تشرين الثاني ١٩٧٩ ، ص ٨٨ - ١١١ .

(2) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ..., p . 226 .

وفي هذا الاتجاه لدينا ملحمة اخرى للأخ الأصغر للشاعر داليب فراشري ، شاهين فراشري Shahin Frashëri ، الذي انتهى من كتابتها سنة ١٨٦٨ . وحول هذا الشاعر ينقصنا الكثير من المعلومات التي تتعلّق بحياته واعماله الاخرى . وتتألف ملحمته التي تحمل عنوان « مختار نامة » نسبة الى المختار الذي كان من شهداء كربلاء ، من حوالي اثني عشر ألف بيت من الشعر وهي تعتبر الملحمة الثانية في الأدب الألباني بعد « الحديقة » . ويشير « تاريخ الأدب الألباني » الى أن اصل هذه الملحمة في اللغة الفارسية ، مع أن الشاعر شاهين قد اعتمد على نسخة تركية .(١) وفي الواقع تعتبر هذه الملحمة من أواخر الأعمال الشيعية التي كتبت في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية ، نظراً لأن الطرف البكتاشي قد تخلّى بعد هذه الفترة عن الأبجدية العربية .

وقد تركت هاتان الملحمتان تأثيراً كبيراً في الأدب الألباني ، سواء من ناحية تأصيل الملحمة في هذا الأدب أو فيما يتعلّق باستمرار حضور كربلاء في الأدب الألباني ، وحتى في أدب عصر النهضة القومية الألبانية . إلا ان حضور كربلاء في أدب عصر النهضة القومية يختلف أو يتميّز بنفس قومي واضح كما يبدو في ملحمة « كربلاء » لشاعر النهضة القومية الألبانية نعيم فراشري Naim Frashëri وكان الشاعر نعيم قد ولد ونشأ أيضاً في قرية فراشر ،حيث كان يتردّد في طفولته الى تكية هذه القرية التي كانت تُنشد فيها ملحمة « الحديقة » لداليب فراشري و«مختار نامة» لشاهين فراشري .(٢) وقد حاول الشاعر نعيم فراشري فيما بعد ان يوفّق بين حماسه القومي الطاغي وعواطفه

(1) Grup autorësh , Historia ..., p . 227 .

(2) Ibid ., p . 226

الشيعية ، مما دفعه الى التفكير في تأليف ملحمة قومية للألبانيين. ولأجل هذا عكف الشاعر نعيم خلال سنوات ١٨٩٢ ـ ١٨٩٥ على كتابة ملحمة « كربلاء » التي صدرت اخيراً سنة ١٨٩٨ في عشرة آلاف بيت من الشعر .[١] وفي هذه الملحمة يبدو بوضوح الدافع القومي ، وخاصة في نهايتها حيث يحرّض القارىء الألباني على ان يستلهم كربلاء لمصلحة وطنه وقوميّته :

يا الله ، لأجل كربلاء
لأجل الحسن والحسين
لأجل الأئمة الاثني عشر
الذين عانوا ما عانوه في الحياة
لا تدع ألبانيا تسقط أو تمُزّق
بل لتبقى خالدة
وليكن لها ما تريد
ليبق الألباني بطلاً كما كان
ليحبّ البانيا
ليموت في سبيل وطنه
كما مات المختار في سبيل الحسين .[٢]

---

(١) للتوسع حول هذه الملحمة انظر :

محمد موفاكو ، كربلاء . . . ، ص ٨٩ ـ ١١١ .

(2) Naim Frashëri , Qerbelaja , Vepra IV , Prishtinë 1978 , pp . 288 - 289 .

وفي النصف الثاني للقرن التاسع عشر لدينا شاعر يدعى الشيخ يونس Sheh Jenuzi ، الذي كان له حضوره في أقصى الشمال ، في منطقة كوسوفا . وقد ولد هذا الشاعر ، الذي اطلق عليه أبواه اسم حيدر ، في قرية بالقرب من مدينة توبليسا Toplica ، حيث انهى فيها المدرسة الابتدائية . ومع هجرة عائلته الى مدينة فوتشيرنا Vuçiterna تابع دراسته في هذه المدينة لدى أستاذ اللغة والأدب العربي الحافظ عارف . وفيما بعد ذهب الى استنبول ، حيث تخرج من كلية علوم الدين . وبعد عودته التقى في مدينة سكوبيه Skopje بالصوفي العربي محمد عرب هوجا Muhamet Arab Hoxha ، الذي كان قد اتى من مصر لنشر الطريقة الملامية في المناطق اليوغسلافية .(١) ونتيجة لهذا اللقاء استقر به المقام في هذه المدينة الى ان استحق الاجازة في الطريقة الملامية من محمد عرب هوجا ، الذي أطلق عليه اسم يونس وأصبح منذ الحين يعرف باسم الشيخ يونس .(٢) وقد اهتم الشيخ يونس بعد ذلك بنشر الطريقة الملامية بين الألبانيين ، الذين اهتموا به وبنوا له تكية في قرية سوها دول Suhadoll . وقد تحولت هذه التكية الى مركز

---

(١) الاسم الحقيقي لهذه الشخصية هو محمد نور العربي . جاء من مصر في بداية القرن التاسع عشر الى جنوب، يوغسلافيا الحالية لنشر الطريقة الملامية . وقد لقي اهتماماً كبيراً من قبل الألبانيين ، وتمكن من انشاء اربع تكايا للطريقة الملامية في كونشان KonÇan وستروميسا Strumica وبريزرن Prizeren وسكوبيه . وفي هذه المدينة قضى معظم حياته ، حيث عُرف باسم عرب هوجا ، الى أن توفي سنة ١٨٨٧ . كان مُتبحّراً في التصوف والعلوم الدينية ، وخلف حوالي اربعين مؤلفاً في اللغتين العربية والتركية . انظر : ٥

Kamil al - Buhi , Arapaski radovi Jugoslovenskih Pisaca , dok . desertacija , Beograd 1963 , P . 70 .

(2) Muhamet Pirrzku , Gjurmë të Veprimtarisë letrare shqipe me alfabet arab në Kosovë II , Gjurmime albanologjike - Seria e Shkencave filologjike IX , Prishtinë 1979 , p . 208 .

تعليمي ـ ثقافي في المنطقة المحيطة بها ، نظراً لأن الشيخ يونس كان يعطي الدروس اللغوية والدينية في هذه التكية ، التي كان يمارس فيها أيضاً نشاطه الأدبي الى حين وفاته سنة ١٩٠٩ .[1]

وفيما يتعلّق بأعماله الشعرية ، التي حُفظت ونُسخت من قبل أتباعه ، نجد انها تتوّزع بين القصائد الدينية والقصائد الطويلة التعليمية . ومن قصائده الدينية ، التي تُعرف هنا باسم « الالهيات » نعرف له الآن عشر قصائد يصل عدد ابياتها الى ستمائة بيت ، وهي تعبّر عن روحيته الصوفية الداعية الى المحبة والعدالة بين الناس . وبالاضافة الى هذا تبدو موهبته الشعرية في قصائده الطويلة التعليمية . ومن هذه لدينا قصيدة طويلة تتألف من مئتين وعشرين بيتاً بعنوان « الألف » ، التي أراد منها تسهيل تعليم الحروف العربية التي تستعمل في كتابة اللغة الألبانية . وتتألف هذه القصيدة من ثمانية وعشرين مقطعاً ، طبقاً لعدد الحروف العربية ، بحيث يشرح كل مقطع منها احد الحروف بواسطة الصور والأمثلة والمقارنات لكي يرسخ الحرف في ذهن القارىء . والى جانب هذه لدينا قصيدة أطول بعنوان « نقطة البيان » ، وهي تتألف من أربعمائة وعشرة أبيات . وقد اراد منها الشاعر ، كما كتب في مقدمتها ، ان توضّح « الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة » .[2]

ومن ناحية اخرى يتميز القرن التاسع عشر بوفرة الموالد ، أو القصائد الطويلة عن حياة ومعجزات النبي محمد (ص) ، التي كُتبت في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية . وقد مرّ بنا سابقاً ان أول

(1) Ibid ., pp . 208 - 209 .

(2) Ibid ., p. 215 .

« مولد » في اللغة الألبانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان من عمل الشاعر حسن زيكو كامبيري ، بينما نجد في هذا القرن اهتماماً أكبر بالمولد .

وعلى ما يبدو كان الشاعر عبدالله كونيسبولي Abdullah Konsipoli أول من اهتم بالمولد النبوي في هذا القرن . ويشير لقب هذا الشاعر الى انه من مدينة كونيسبول Konsipol التي أنجبت الشاعر المعروف محمد تشامي ، الذي كان معاصراً له . وبالاضافة الى هذا كان هناك ما يجمع ايضاً بين هذين الرجلين ، فقد كان كل منهما شيخاً وشاعراً معروفاً . والى جانب هذا لدينا ما يشير الى أن الشاعر كونيسبولي كان على غرار الشاعر تشامي ، يهتم أيضاً بترجمة الأشعار من اللغة العربية الى اللغة الألبانية .[1] ولدينا في مصدر آخر إشارة تفيد الى أنه قد ترجم أيضاً كتابين دينيين .[2] ومن أهم الأعمال التي تركها لنا هذا الشاعر يبقى المولد الذي انتهى منه حوالي سنة ١٨٣١ .[3] ويبدو أن هذا المولد كان محدود الانتشار في الجنوب ، ويعود هذا الى أن الجنوب كان يتمتّع بمولد أقدم وأشهر ، ألا وهو مولد الشاعر حسن زيكو كامبيري .

ومن هذه الفترة لدينا مولد آخر للشاعر اسماعيل فلوتشي Ismail Floqi الذي يدل لقبه على أنه من مدينة فلوتشي Floqi ، في ألبانيا الجنوبية . وحول هذا الشاعر تنقصنا - للأسف - الكثير من المعلومات ، حتى أننا لا نعرف عنه اليوم سوى ما يشير الى أنه من شعراء القرن التاسع عشر . ولولا المولد الذي كتبه لكان هذا الشاعر

---

(1) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ..., p . 200 .

(2) Grup autorësh, Historia ..., p . 194 .

(3) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ..., p . 200 .

مجهولاً تماماً . وحتى فيما يتعلّق بالمولد الذي تركه لنا لا نملك تفاصيل وافية عن مصير هذا المولد بعد سنة ١٩٤٢ . وكانت مجلة « الصوت السامي » ، الناطقة بلسان الهيئة الاسلامية الألبانية ، قد وجّهت نداءً عبر صفحات أحد اعدادها في سنة ١٩٣٧ لجمع التراث الألباني المكتوب في الأبجدية العربية . وهنا لدينا ما يشير الى أن الشيخ إسترف شاكري Istref Shaqiri ، إمام مدينة فلوتشي ، استجاب لهذا النداء وأرسل الى المجلة نسخة مخطوطة من مولد الشاعر اسماعيل فلوتشي .[1] وبعد هذا التاريخ لا نعرف ماذا حلّ بهذا المولد .

ومن الجنوب ايضاً ، وبالتحديد من مدينة كورتشا Kor:Ça ، لدينا مولد آخر للشاعر حاجي تشيتشكويا Haxhi ÇiÇkoja . وكل ما نعرفه عن هذا المولد وصاحبه لا يتعدى سطرا واحدا يفيد ان هذا المولد يعود الى القرن التاسع عشر .[2]

وفي النصف الثاني للقرن التاسع عشر انتقل الاهتمام بالمولد من الجنوب الى اقصى الشمال . ويُلاحظ هنا ان الاهتمام في الشمال اقتصر في هذا القرن على ترجمة المولد لسليمان شلبي ، إلا ان الترجمة هنا لا يمكن ان تُؤخذ بمعناها المعروف ، لأن الترجمات الألبانية لهذا المولد تجمع بين حذف بعض المقاطع وإضافة بعض المقاطع الجديدة مما يدفع بعض الباحثين لاعتبارها أعمالا ألبانية أصيلة وليست مجرد ترجمات .[3]

ومن هذه الأعمال لدينا مولد الحافظ علي رضا أولشيناكو Ulqinaku Hafiz Ali Riza الذي صدر في استنبول سنة ١٨٧٨ بعنوان عربي

(1) H . (Ali) , Shkrimtarët muslimanë , Kulture , Islame nr .3 , Tiranë 1942 , p . 90 .

(2) Shuteriqi , Shkrimet shqipe ..., p . 272 .

(3) Kaleši , Mevludi Kod ..., p . 352 .

« ترجمة المولود على لسان الأرنئود » . وحول هذا الشاعر والعالم لدينا نبذة وافية عن حياته كتبها بنفسه سنة ١٩٠٥ الى وزارة المعارف في استنبول . واستناداً الى هذه فقد ولد الشاعر سنة ١٨٥٥ في مدينة أولشين Ulqin ، التي تقع الآن في جنوب يوغسلافيا على ساحل البحر الأدرياتيكي . وفي هذه المدينة بدأ دراسته ، حيث تعلّم العربية والتركية في احدى المدارس العليا التي كانت في مدينة اولشين في ذلك الوقت . وحول هذا يذكر الشاعر في هذه النبذة ما يلي : « اتحدث واكتب في العربية والتركية والألبانية » .(١) وقد شغل هذا الشاعر في البداية منصب مفتي المدينة الى سنة ١٨٨٠ ، حين استولت قوات الجبل الأسود على هذه المدينة مما دفعه للالتجاء الى مدينة شكودرا ثم انتقل بعدها الى مدينة دورس Durrës في ألبانيا الشمالية ، ليشغل منصب مفتي المدينة الى وفاته سنة ١٩١٣ . وفي الواقع كان الحافظ علي من العلماء المعروفين في عصره ، بالاضافة الى شهرته كشاعر . وقد وصل ولعه بالشعر الى ان يؤلف قاموسين شعريين ، ألباني - تركي ، وتركي - ألباني ، يحتوي الأول على ثماني عشرة ألف كلمة بينما يحتوي الثاني على خمسة آلاف كلمة .(٢)

وفيما يتعلّق بالمولد لدينا إشارة في النبذة التي كتبها الحافظ علي تفيد انه اشتغل في هذا المولد وانتهى منه حين كان طالباً في مدينة أولشين .(٣) وقد نُشر هذا المولد في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية لأول مرة في استنبول سنة ١٨٧٨ . وقد لقي هذا المولد رواجاً كبيراً لدى الألبانيين في الشمال ، في الجبل الأسود في يوغسلافيا وفي شمال

(1) Osman Mydrrizi , Fjalori Shqip - turqisht i H 'Ali Ulqinaku , BUSHT - Seria e shkencave shoqërore nr . 3, Tiranë 1961 , p .123 .

(2) Ibid ., Kaleši, Albanska ..., p .67 .

(3) Myderrizi , Fjalori ..., p . 125 .

البانيا ، حتى ان هؤلاء لا ينشدون الى اليوم الا هذا المولد .[1] وقد بقي هذا المولد على ما هو عليه في الأبجدية العربية الى ان صدر في الأبجدية اللاتينية سنة ١٩٣٣ في تيرانا ، ثم أُعيد طبعه للمرة الثالثة سنة ١٩٧٥ في مدينة تيتوغراد عاصمة جمهورية الجبل الأسود في يوغسلافيا .[2] وتجدر الاشارة هنا الى أن هذا المولد الذي يتألف من سبعمائة وأربعة عشر بيتاً قد كتب على بحر واحد ، بحر الرمل ، الذي أشار اليه المؤلف في الصفحة الأولى .

وبعد مرور سنةواحدة فقط على صدور هذا المولد نُشر في استنبول مولد آخر في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية للشاعر طاهر بوبوڤا Tahir Popova من منطقة كوسوفا ، في جنوب يوغسلافيا الحالية . وقد صدر هذا المولد في استنبول سنة ١٨٧٩ تحت عنوان عربي « منظومة المولود في أفضل الموجود بلسان الأرنئود » . وقد ولد صاحب هذا المولد حوالي سنة ١٨٥٦ في قرية بوبوڤاPopova ، وانتقل بعد ذلك الى استنبول حيث تابع دراسته في علوم الدين لدى الشيخ المعروف (الداغستاني) ثم انتقل بعد ذلك الى مدرسة المعلمين العليا التي تخرّج منها بتفوق . وبعد عودته عمل مدرساً لفترة طويلة في مدينة نوڤي بازارNovi Pazar ، في جنوب يوغسلافيا ، ثم انتقل في الثلاثينيات الى مدينة تيرانا حيث توفي هناك سنة ١٩٤٩ .[3]

ومع ان هناك ما يشير الى أن طاهر بوبوڤا قد خلّف عدة مؤلفات ، إلا أننا لا نعرف له اليوم إلا هذا المولد الذي صدر له خلال إقامته في استنبول . وفي الواقع ان هناك فرقاً واضحاً بين هذا

(1) Kaleši , Mevludi Kod ..., p . 350 .

(2) Hafiz Ali Ulqinaku , Mevludi Sherif , botimi II , Titograd 1975 .

(3) Kaleši , Mevludi Kod ..., p . 352 .

المولد ومولد سليمان ، مما يسمح باعتباره عملاً أصيلا له الى حدّ ما .(1) وقد لقي هذا المولد رواجاً كبيراً لدى الألبانيين في اقليم كوسوڤا وجمهورية مكدونيا ، حتى ان هؤلاء لا يعترفون الى اليوم الا بهذا المولد . وتجدر الاشارة هنا الى أن هذا المولد قد طبع عدة مرات ، في الأبجدية العربية أولا ثم في الأبجدية اللاتينية ، وقد صدرت آخر طبعة منه سنة ١٩٦٠ في مدينة بريشتينا ، في جنوب يوغسلافيا .



(1) Ibid ., Dr .Jasher Rexhepagiq , Zhvillimi i arësimit dhe i sistemit Shkollor të Kombësisë shqiptare në teritorin e Jugosllavisë së sotme deri në vitin 1918, Prishtinë 1970, p . 137 .

الصفحة الاولى من مولد طاهر بوبوڤا « منظومة المولود في أفضل الموجود بلسان الأرنئود » .



بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل السادس

أدب القرن العشرين

في بداية هذا القرن دخل الأدب الألباني في الأبجدية العربية في مرحلة جديدة مع تأزّم الحوار حول الأبجدية العربية ، الذي تطور الى صراع سياسي خلال سنوات ١٩٠٨ ـ ١٩١٢ بين انصار الأبجدية العربية وبين المتحمّسين للأبجدية اللاتينية . وفي أواخر ١٩١٢ ، مع اعلان استقلال البانيا الذي أرادته الدول الأوروبية ان يكون استقلالاً عن الشرق كما رأينا سابقاً ، تبنّت الحكومة الجديدة الأبجدية اللاتينية في إطار سياسة العلْمنة والتغرُب . ومع هذا شهدت ألبانيا ارتداداً عن الأبجدية اللاتينية خلال الحرب العالمية الأولى ، مع انتصار الحركة الجماهيرية المسلّحة التي أرادت العودة للارتباط بالشرق . وقد انتهت هذه التطورات كما رأينا في السابق ، الى تبنّي الدولة الألبانية للأبجدية اللاتينية بشكل حاسم بعد استقلالها التام ، وبالتحديد منذ سنة ١٩٢٠ .[1] وفي هذه الظروف وصل الأدب الألباني في الأبجدية العربية الى نهايته في البانيا .

إلا أن هذا الأدب تابع تطوره في بلد آخر ، في يوغسلافيا ، والى حدٍ ما في تركيا وسوريا . وتعود هذه المفارقة ، كما مرّ معنا في السابق ، الى الظروف التي أحاطت بالألبانيين في الدولة الجديدة ، يوغسلافيا ، التي تشكّلت في أواخر ١٩١٨ . فقد ضمّت هذه الدولة الجديدة ، التي تمّ تخطيط حدودها في فرساي ، حوالي نصف الشعب الألباني في ذلك الوقت ، أي ما يوازي أو يفوق عدد الألبانيين في ألبانيا حينذاك . ونظراً لأن يوغسلافيا القديمة ١٩١٨ ـ ١٩٤١ لم

(1) Kaleši, Albanska ..., p . 71 .

تعترف حينذاك بالألبانيين كقومية لها حقوقها ، فقد حُرم الألبانيون من التعلّم في اللغة الألبانية ، التي كانت قد استقرت حينذاك على الأبجدية اللاتينية في ألبانيا . وفي هذه الظروف استمر الألبانيون في يوغسلافيا في التعامل مع تراثهم السابق ، الذي كان في الأبجدية العربية ، وتابعوا الكتابة في هذه الأبجدية .

ويُلاحظ هنا أن الأدب الألباني في الأبجدية العربية ، الذي بقي يُكتب في يوغسلافيا ، قد اصبح أكثر ارتباطاً بالدين نتيجة للظروف التي احاطت به . ففي يوغسلافيا القديمة كانت اللغة الألبانية ممنوعة في المدارس الرسمية ، بينما كانت المدارس الدينية القليلة والتكايا الصوفية تتيح للمهتمين أن يتعلموا اللغة الألبانية في الأبجدية العربية وان يطّلعوا على الأدب الألباني بالأبجدية العربية . وتبعاً لهذا نرى ان كافة الشعراء الذين كتبوا في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية كانوا إما من المدّرسين العاملين في المدارس الدينية أو الشيوخ المتخرّجين من هذه المدارس أو من دراويش ومشايخ الطرق الصوفية . ومع هذا يتمتّع هذا الأدب الألباني بالأبجدية العربية بقيمة كبيرة ، لأنه يرمز الى أقصى ما وصل إليه الألبانيون خلال ربع قرن من الحياة المريرة في يوغسلافيا القديمة (١٩١٨ - ١٩٤١) .

ومن الشعراء الألبانيين الذين استمروا في الكتابة بالأبجدية العربية في العهد اليوغسلافي لدينا الشيخ حسين الخلوتي Sheh Hyseni i Halvative من مدينة بريزرن Prizern ، التي كانت من أهم مراكز الثقافة الاسلامية في جنوب يوغسلافيا الحالية . وقد ولد الشيخ حسين في هذه المدينة سنة ١٨٧٣ ، وتخرج من احدى مدارسها العليا ثم أصبح إماماً لأحد الجوامع حتى بداية القرن العشرين ، حين تحول للتصوف عبر الطريقة الخلوتية . وقد نال الإجازة في هذه الطريقة واصبح شيخاً لإحدى تكاياها في هذه المدينة ، حيث عرف

منذ ذلك الحين باسم الشيخ حسين الخلوتي الى ان توفي سنة ١٩٢٦ .(١)

وقد اشتهر الشيخ حسين بأشعاره الصوفية ، التي كان لها اهمية كبيرة في ذلك الوقت . ففي ذلك العهد ، حين كانت اللغة والكتب الألبانية ممنوعة إضافة الى عدم وجود أية جريدة او مجلة في هذه اللغة ، كانت القصائد هي الوسيلة الوحيدة لنقل الأفكار بين الناس . وفي الواقع كانت القصائد تُنسخ وتُحفظ غيباً وتنقل من مكان الى آخر . وعلى الرغم من سياسة التجهيل التي كانت تتّبعها السلطة آنذاك ، والتي أدت الى ارتفاع نسبة الأمية الى اكثر من ٩٥٪ ، كانت هذه القصائد تنتشر حتى لدى الأميين الذين كانوا يحفظونها غيباً . وفي هذا الوضع كان الصوفيون يعمدون الى بثّ افكارهم في الأشعار ، التي كانت تضمن لهم انتشار افكارهم وسط الجماهير البسيطة والأمية . ويبدو هذا في أشعار الشيخ حسين ، التي يُبسّط فيها التصوف للأتباع والجماهير :

الباب الذي يؤدي الى الحق واضح
حيث تتكشّف الأسوار
ومن لا يدخل في الطريقة
تبقى روحه في الظلام
لا وجود لهذا الباب ،
باب الحق ، دون مرشد

(1) Pirraku , Gjurmë të veprimtarisë letrare II …, p . 219 .

وإذا أردت ان تجده

عليك ان تبحث عنه في الليل والنهار . [1]

ومن معاصري الشيخ حسين لدينا شاعر آخر ، الشيخ حلمي ماليتشي Sheh Hilmi Maliqi ، الذي يعتبر من أهم الشعراء الذين كتبوا في اللغة الألبانية في الأبجدية العربية خلال العهد اليوغسلافي . وقد ولد الشيخ حلمي سنة ١٨٦٥ في قرية بالقرب من مدينة بريزرن ، حيث أتمّ تعليمه في احدى مدارس هذه المدينة . وبعد تخرّجه من المدرسة العليا ذهب الى بلدة راهوفيتس Rahovec ، حيث اشتغل إماماً في أحد الجوامع . وفيما بعد تحوّل الى التصوف ، بعد أن تعرّف على الطريقة الملامية التي نشرها في هذه المناطق الصوفي المصري محمد عرب هوجا (محمد نور العربي) ، واخذ الاجازة في هذه الطريقة . وقد كان لشخصية الشيخ حلمي أثرها في انتشار هذه الطريقة لدى الألبانيين ، الذين بنوا له تكية في بلدة راهوفيتس ، حيث بقي فيها الى وفاته سنة ١٩٢٨ . [2]

وقد تحولت هذه التكية التي ما تزال الى اليوم ، الى مركز ثقافي في هذه المنطقة نتيجة للنشاط الواسع الذي قام به الشيخ حلمي خلال حياته . وفي الواقع كان الشيخ حلمي يتمتّع بثقافة واسعة تجمع بين الأدب والفلسفة والعلوم الطبيعية ، وبحماس كبير لنشر هذه المعارف في محيطه الذي كانت تسيطر عليه الأمية . ومع هذا الحماس حوّل

(1) Ibid ., p . 221 .

(2) Mark Krasniqi , Sheh Hilmi Maliqi , Jeta e re nr. 4 , Prishtinë 1953, pp. 260 - 262, Mark Krasniqi , Mbi disa Shkrime letrare të autorëve shqiptarë të Kosovës midis dy luftrave botërore, Gjurmime albanologjike - Seria e Shkencave filologjike, 3 - 1973, Prishtinë 1975, pp . 124 - 126 .

التكية الى مدرسة مجانية كان يعلّم فيها الدين واللغة والجغرافيا الخ لطلابه الذي فاق عددهم المئة . وفي إطار هذه الدروس كان يركز بشكل خاص على اللغة العربية ، ولدينا ما يشير الى أنه كان يقرأ مع طلابه الكتب العربية المختلفة ، التي قادته الى التعرف على الفلسفة القديمة .(١)

والى جانب هذا كان للشيخ حلمي نشاطه الإبداعي في مجال الشعر ، حتى انه يعتبر من افضل الشعراء الألبانيين في العهد اليوغسلافي القديم . وقد خلّف لنا الشيخ حلمي مجموعة من المخطوطات الشعرية ، التي بقيت الى الآن في حالة جيدة في تكيته . ومن اعماله الشعرية لدينا الديوان الذي يحتوي على تسع وسبعين قصيدة . وفي هذا الديوان يبدو بوضوح تأثّر الشيخ حلمي بالشعر العربي ، حيث أنه يعتمد في قصائده على الأوزان العربية كما يلتزم دائماً بالقافية ، بالاضافة الى طريقة ترتيبه للديوان . فقد رتب الشيخ حلمي قصائد هذا الديوان حسب القافية ، حيث نجد أولاً في هذا الديوان القصائد الألفية ، التي تلتزم قافية الألف ، ثم البائية والتائية والجيمية والرائية والكافية وهكذا الى القصائد الواوية التي ينتهي بها هذا الديوان . وما يثير في هذا الديوان ان الشيخ حلمي لا يمتاز هنا بالنفس الصوفي فقط ، بل نجد له بعض القصائد الذاتية ايضاً . ومن هذه لدينا قصيدة بعنوان « حالة الفراشة » ، عن اقتراب فراشة من لهب شمعة واحتراقها . إلا انه في هذه القصيدة لا يصف لنا هذا المشهد من الخارج بل من الداخل :

حالة الفراشة تُدهشني

وهي تطير دون خشية

---

(2) Raexhepagiq , Zhvillimi i arësimit ..., p . 139 .

في اتجاه لهب الشمعة

كانت فراشة مضيئة
أضافت نوراً الى نور .
كما لو كانت تريد الاتحاد مع الأصل

كانت الشمعة تبتسم وتستغرب
كيف تأتيها الفراشة بهذا الفرح
لكي تغطس في اللهب(١) .

وبالاضافة الى الديوان خلّف لنا الشيخ حلمي في تكيته ست عشرة قصيدة طويلة Poema ، مع أن الشاعر يطلق على الواحدة منها اسم « رسالة » ، وهي تتناول موضوعات صوفية وتاريخية ووجدانية متنوعة .

ومن هذه الفترة لدينا شاعر آخر هو الحافظ اسلام بيتيتشي Bytyçi Hafiz Islam . وقد ولد هذا الشاعر سنة ١٩١٠ في قرية تابعة لمنطقة لأبوشا Llapusha ، حيث أنهى تعليمه الابتدائي ثم تابع دراسته في مدينة جاكوفا ، حيث درس اللغة العربية والقرآن وتخرج بلقب حافظ Hafiz . وقد كان هذا اللقب في ذلك الحين يُعطى للذين يتعلمون القرآن ويحفظونه غيباً . وخلال دراسته في المدرسة ، حيث كان

(١) ديوان حلمي ، نسخة مخطوطة ص ٤٣ - ٤٤ .

يدرس فيها الأدب العربي أيضاً ، نمت موهبته الشعرية وبدأ في كتابة الشعر . إلا أن القدر اغتاله في زهرة شبابه ، في سن الرابعة والعشرين ، إذ إنه توفي في شمال يوغسلافيا خلال تأديته للخدمة العسكرية سنة ١٩٣٤ . ومن قصائد هذا الشاعر لدينا قصيدة يعبّر فيها عن حبّه ، ويبدو انه الحب الأول لأن الحبيبة تغطي مساحة العالم الذي يعيش فيه :

أفكر فيك حين تبدأ خيوط الشمس في البروز

حين يغرّد البُلبل بشوق

أفكر فيك حين تنطفىء الشمس

ويعمّ الظلام هذا العالم(١)

ومن معاصري الحافظ اسلام لدينا شاعر آخر هو الأستاذ فائق مالوكو Faik Maloku . وقد ولد هذا الشاعر في مدينة بريشتينا Prishtina ، عاصمة اقليم كوسوفا ، حيث انهى دراسته الابتدائية وتخرّج بعد ذلك من المدرسة الدينية العليا التي كانت في هذه المدينة . وبعد تخرّجه عمل مدرسا في نفس المدرسة ، الى أن أغلقتها السلطة اليوغسلافية سنة ١٩٢٧ . وبعد هذا انتقل الأستاذ فائق الى منطقة بوديفا Podijeva القريبة ، حيث أصبح هناك مديراً لمدرسة دينية ، إلا أن السلطة اغلقت أيضاً هذه المدرسة سنة ١٩٢٩ . وبعد اغلاق هذه المدرسة بقي الأستاذ فائق دون عمل لفترة من الزمن ، إلا أنه بقي يكافح في سبيل الحقوق الثقافية للألبانيين المسلمين ، في حقّهم

(1) Muhamet Pirraku , Gjurmë të veprimtarisë letrare shqipe me alfabet arab në Kosovë III, Gjurmime albanologjike - Seria e Shkencave filologjike X, Prishtinë 1980, p. 215 .

في المدارس الدينية على الأقل التي تعهدت يوغسلافيا باحترامها في اتفاقية فرساي .(١) وقد تعرض الأستاذ فائق بسبب كفاحه للاغتيال مرتين ، الى أن سقط صريعاً في المرة الثالثة سنة ١٩٣٥ .(٢)

كان الأستاذ فائق من شعراء تلك الفترة الذين استمروا في الكتابة بالأبجدية العربية . وقد كتب الشعر لينقل افكاره الى الجماهير الأمية ليحضّها على المقاومة والخروج من ظلام الجهل ، الذي كانت السلطة تحرص على استمراره . ولذلك نجد في أشعاره البساطة التي تقترب من النثر حين يتوجه للجماهير الأمية ليحضّ كل شخص على طلب مُرشد أو معلّم يساعده على التنوّر . وفي هذا يلجأ الى عواطف الجماهير الدينية ليحرّضها عبر القرآن على طلب المعرفة :

الله أمر في القرآن

أن تبحث عن مُرشد لك

ولكي تقتنع بوصيّة الله

ابحث عن آية « وابتغوا »(٣)

وفي أشعاره نجد الكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ،

---

(١) خلال مؤتمر السلام في فرساي (١٩١٩) دار حوار طويل حول وضع المسلمين في الدول البلقانية ، وانتهى هذا الى التوقيع على اتفاقية خاصة بالأقلية الاسلامية ، التي تعهد وفد يوغسلافيا باحترامها . وقد نصّت هذه الاتفاقية على ضمان الحقوق الدينية والثقافية للمسلمين في يوغسلافيا انظر :

Kasumi , Bashkësia fetare ..., pp . 255 - 257 .

(2) Pirraku , Gjurmë të verimtarisë letrare III ...., pp . 209 - 210 .

(3) Ibid ., p . 211 .

مما يدّل على ثقافته الدينية الواسعة . والى جانب هذا نجد في أشعاره الكثير من المفردات العربية ، حتى انه يستعمل احياناً جملاً كاملة في نصها العربي :

النفسُ تلهينا الآن

وتعمي قلوبنا

وإذا أردت ان تطرد الشيطان

فقل من أعماق قلبك :

لا إله إلا الله

محمد رسول الله .(١)

ومن هذه الفترة ، فترة ما بين الحربين ، لدينا شاعر آخر يدعى الحافظ عمر شمسي Hafiz Imer Shemsiu . وقد ولد هذا الشاعر في مدينة بريشتينا ، حيث تعلّم مبادىء العربية ثم اهتم بالقرآن الى أن نال لقب الحافظ . وفيما بعد عُين إماماً لأحد إماماً لأحد الجوامع ، وفي سنة ١٩٣٤ افتتح كُتّاباً لتعليم اللغة العربية والقرآن للأطفال في قرية سازلي Sazli . وقد استمر الحافظ عمر في نشاطه واهتمامه بالتعليم الى وفاته سنة ١٩٤٥ . والى جانب اهتمامه بالتعليم ، الذي ادى الى التفاف الناس حوله ، اشتهر الحافظ عمر بأشعاره الدينية والشعبية وقد كتب اشعاره الدينية في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية ، وهي تعبّر عن الوعي السائد في ذلك الوقت . ففي هذه الأشعار يحض الناس على حسن المعاملة والالتزام بالدين ، ويعتمد في هذا على

(1) Ibid .,p . 212 .

تصوير لحظات ما بعد الموت للتأثير على نفوس السامعين بهذه الأشعار . والى جانب هذا اشتهر الحافظ عمر بأشعاره السياسية الأخرى ، التي يتغنّى فيها ببعض الشخصيات الألبانية التي اغتيلت في العهد اليوغسلافي القديم . وقد تحولت هذه الأشعار الى اغنيات شعبية لا تزال تردّد الى اليوم .(1)

ومع وفاة هذا الشاعر ، سنة ١٩٤٥ ، وصل الأدب الألباني في الأبجدية العربية في يوغسلافيا الى نهاية الطريق ، نتيجة للظروف الجديدة التي احاطت بالألبانيين خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها . فخلال هذه الحرب تشكّلت « البانيا الكبرى » التي ضمّت المناطق التي يعيش فيها الألبانيون في يوغسلافيا ، حيث فُتحت المدارس الألبانية على نطاق واسع لأول مرة في هذه المناطق . وكان من الطبيعي ان يجري تعليم اللغة الألبانية بالأبجدية اللاتينية في هذه المدارس ، نظراً لأن هذه الأبجدية كانت قد أصبحت رسمية في البانيا منذ عام ١٩٢٠ . ومع تشكل يوغسلافيا الجديدة سنة ١٩٤٥ ، التي ضمّت الألبانيين كما في السابق ، استمرّ التعليم في اللغة الألبانية بالأبجدية اللاتينية . وقد تميّز العهد اليوغسلافي الجديد في البداية ١٩٤٨ - ١٩٦٦ بسياسة متشدّدة أو ما يُسمى الآن بسياسة « القبضة القوية » ، تجاه الألبانيين خاصة والمسلمين عامة في يوغسلافيا ، مما أدى الى هجرة واسعة للألبانيين والمسلمين (من الأتراك والبوسنويين) في اتجاه تركيا . وما يهمنا هنا ان النظام اليوغسلافي عمد في البداية الى اغلاق الكتاتيب والمدارس الدينية في الجنوب ، التي كانت وراء استمرار كتاب اللغة الألبانية بالأبجدية العربية . ومع ان السلطة قد سمحت فيما بعد بافتتاح مدرسة دينية واحدة لكل المسلمين في الجنوب ، الذين يفوق عددهم المليونين ،

(1) Ibid ., p . 222 .

إلا أن هذه المدرسة لم تشذ عن القاعدة بطبيعة الحال فيما يتعلق باستخدام الأبجدية اللاتينية للغة الألبانية . وفي هذه الفترة (فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية) ، تلاشت القاعدة التي تطور عليها - سابقاً - الأدب الألباني في الأبجدية العربية في يوغسلافيا ، بحيث أن هذه الفترة لم تشهد سوى استمرار بعض الشعراء الذين كانوا قد تمرسوا أو اعتادوا في السابق على الكتابة في الأبجدية العربية .

ومن هؤلاء الشعراء الذين بقوا على قيد الحياة من الفترة الماضية لدينا شعيب ذورانجي Shaip Zuranxhiu . وقد ولد هذا الشاعر سنة ١٨٨٤ في قرية بالقرب من مدينة راهوڤيتس ، حيث بدأ دراسته لدى الشاعر حلمي ماليتشي ، شيخ الطريقة الملامية الذي تحدثنا عنه في السابق . وفيما بعد تابع دراسته في إحدى المدارس الدينية في مدينة بريزرن ، وعاد اخيراً الى مدينة راهوڤيتس حيث عُيّن إماماً لأحد الجوامع بالاضافة الى عمله في التعليم في المدرسة الدينية المحلية .(١)

ويبدو ان استاذه الشيخ حلمي ماليتشي قد أثّر عليه كثيراً سواء فيما يتعلّق باتجاهه الى التصوف او الى الشعر . ومن المعروف أن الشاعر شعيب كان من أتباع الشيخ حلمي في الطريقة الملامية . وقد اشتهر الشاعر شعيب بانتاجه الشعري الغزير في ثلاث لغات ، في الألبانية والتركية والسلافية المحلّية . وما يثيرهنا ان الشاعر شعيب كان يكتب الشعر في كلّ هذه اللغات بالأبجدية العربية ، في الوقت الذي كانت فيه هذه الأبجدية قد انتهت في تركيا أيضاً . وقد تابع الشاعر نشاطه في العهد اليوغسلافي الجديد ، الى أن توفي سنة ١٩٥١ . ومع أن المصادر تشير الى وفرة ما كتبه هذا الشاعر ، إلا أن معظم انتاجه الشعري لم يصل إلينا لأن عائلته قد اخذت معها هذا النتاج عندما

(1) Mark Krasniqi, Shaip Zuranxhiu, Jeta e re nr. 2, Prishtinë 1954, pp. 96 - 100 .

هاجرت في الخمسينيات الى تركيا ، في إطار الهجرة الكبيرة التي حدثت في ذلك الوقت .[1] ومع هذا بقي لنا من اعمال الشاعر شعيب بعض القصائد التي تتمتّع بقيمة خاصة . فالى جانب بعض القصائد الدينية ، التي تنسجم مع تصوّفه وعمله كامام جامع ، لدينا بعض القصائد الوجدانية التي يعبّر فيها عن تجربته في الحب ، الذي يذكرنا بالحب العربي القديم الذي يصعق قلب الانسان من أول نظرة . ويبدو هذا بشكل خاص في قصيدته الطويلة « عن الحب » التي تعبّر أبياتها الأولى عن بقية مضمونها :

حالما شاهدت وجهك

سيطر عليّ الحب

وما دريت ما أفعل

لأن الحب ادهشني

منذ أن شاهدتك لأول مرة

وأنت دائمة الحضور في قلبي

لا يهمّني أن اعرف هل تحبيني أو لا

لأن حبّك سيبقى دائماً في قلبي[2]

ومن هذه الفترة لدينا شاعر صوفي آخر يدعى الشيخ عثمان شيخو Sheh Osman Shehu . وقد ولد هذا الشيخ في قرية يونيك Junik في

(1) Pirraku, Gjurmë të veprimtarisë letrare III ...., p. 209 .

(2) Krasniqi, Mbi disa Shkrime ...., p . 127 .

اقليم كوسوڤا ، واهتم بالتصوف في شبابه الى أن نال الاجازة في الطريقة الخلوتية ، وأصبح شيخاً لهذه الطريقة في قريته الى أن توفيَ سنة ١٩٥٨ . وقد تابع طريقه الصوفي والشعري ابنه الشيخ جعفر Sheh Xhaferi ، إلا أن هذا يكتب الشعر في الأبجدية اللاتينية . ومن أشعار الشيخ عثمان بقي لنا بعض القصائد المكتوبة ، التي يحتفظ بها ابنه في التكية . وفي هذه القصائد يعبّر الشيخ عن اهتماماته الصوفية ، حيث يبينّ لمحيطه اهمية الطريقة الصوفية في الوصول بالانسان الى الحق والحقيقة . ومن هذا لدينا قصيدة له بعنوان « تعالوا يا إخوة » يتحدث فيها عن جوهر التصوف،عن « علم الظاهر » و« علم الباطن » :

دع عيون قلبك تتفتّح

وانظر بعيون جبهتك

الى الطريقة

التي تكشف للانسان

عن الشريان الذي ينطلق من القلب

وعن الآخر الذي يصعد للجبهة

فالانسان الذي لا يتعرّف على الحق

يدلُّ على ان شريان قلبه قد تعطّل(١)

وقد بقي الى هذه الأيام شاعر آخر ، فيصل جلال الدين غوتا Vesel Xhelaludin Guta ، الذي يعتبر آخر الشعراء الذين كتبوا في

(1) Hajdar Salihu, Dy peezi të Sheh Osmanit, Fjala nr. 7, Prishtinë 1 . IV . 1981 .

اللغة الألبانية في الأبجدية العربية . ونظراً لأن هذا الشاعر ما زال على قيد الحياة فهو يرمز بشكلٍ ما الى استمرار هذا الأدب الى هذه الأيام ، بينما ستعني وفاته اغلاق الصفحة الأخيرة في ملف الأدب الألباني في الأبجدية العربية . وقد ولد هذا الشاعر سنة ١٩٠٥ في قرية بالقرب من مدينة فريزاي Ferizaj ، حيث درس مبادىء العربية والقرآن في احد الكتاتيب ثم تابع دراسته في مدرسة « محمد باشا » المعروفة في مدينة بريزرن ، حيث كان فيها للّغة والأدب العربي مكانة خاصة . وبعد تخرّجه من هذه المدرسة سنة ١٩٣٨ عاد الى منطقته ، حيث عُيِّنَ إماماً لأحد الجوامع ، إلا أنه وجه كل طاقته للتعليم . وفي هذا الاتجاه قضى معظم وقته في المدرسة ، التي بناها له سكان المنطقة ، حيث كان يعلّم الأطفال والناشئين اللغة العربية والقرآن والعلوم الأخرى كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات الخ . وفي هذه المدرسة كان الطلاب يتعلمون اللغة الألبانية بالأبجدية العربية . وقد استمرت هذه المدرسة خلال فترة « البانيا الكبرى » ، بينما تحوّلت في بداية العهد اليوغسلافي الجديد من مدرسة خاصة الى مدرسة رسمية ، مما كان يعني الغاء دورها السابق . وبعد هذا بقي الشاعر يقوم بعمله كامام في الجامع الى أن تقاعد وانتقل ليقضي أيامه الأخيرة في قرية حسن بك Hasan Beg ، في مكدونيا ، حيث ما زال يعيش الى اليوم .[1]

كان الشاعر فيصل ، كغيره من شعراء تلك الفترة ، يسيطر عليه الاهتمام بالجماهير الأمية التي حكم عليها بالتخلّف . ويبدو هذا في القصائد التي تحمل الهموم الراهنة في عصره . فيتجه لسياسة العهد

(1) Muhamet Pirraku, Këndoi edhe Kur e Kishte të ndaluar, Fjala 15. XI. 1979, p.8 .

اليوغسلافي القديم حيث وصل الألبانيون والمسلمون في الجنوب الى حالة لا تُطاق من التخلّف ، بينما كان التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي على ما يرام في الشمال ، مما خلق هوة كبيرة بين الجنوب والشمال . وكان هذا الوضع يقود الى تصور خاطىء حول « تخلّف المسلمين » و « تقدم الآخرين » ، وكأنّ التخلّف هو قدر المسلمين حيثما كانوا . وحول هذا لدينا قصيدة طويلة للشاعر ، تتألف من مئة وثمانية وعشرين بيتاً ، يحرّض فيها الجماهير الألبانية على التخلّص من هذا الوهم الذي يقود الى الاحباط والاستسلام ، وهو في هذا يذكّر المسلمين بأهمية العقل الذي اوصل الآخرين الى ما هم فيه :

لقد منحنا الله عقلاً

كبقيّة البشر

فانظروا الى اولئك ماذا يفعلون

يحلقون بالطائرات

يتحدثون عبر الاسلاك

ويطوعون الحديد

ليصنعوا منه القنابل والمدافع والدبابات

وانظروا ماذا حلّ بنا

الى انبهارنا بما يحيط بنا[1]

---

(1) Ibid ., p.9 .

الشاعر فيصل جلال الدين غوتا .

آخر من بقي على قيد الحياة من الشعراء الذين كتبوا في الأبجدية العربية



وبالاضافة الى هذا نجد في هذه القصيدة الهم الوطني ، مما يضفي على هذه القصيدة اهمية خاصة لأن التعبير عن هذا الهم كان يكلّف صاحبه كثيراً . وهو في هذا يحرّض الجماهير على المقاومة والتشبّث بالأرض وعدم الرضوخ للهجرة الى الخارج لأن « الأنسان لا يمتلك جذوراً خارج وطنه » :

لا بدّ لنا أن نثق في ذاتنا

أن نضحّي بأرواحنا وبما لدينا

لنحمي وطننا

لا بدّ لنا أن نموت في سبيل الحرية

لأن الموت اشرف من العبودية

ولأننا لا نملك جذوراً خارج هذا الوطن "[1]

وخلال هذا القرن اتّسعت خريطة الأدب الألباني في الأبجدية العربية لتشمل سوريا أيضاً ، حيث لدينا جالية ألبانية هناك . وقد تشكلت هذه الجالية في أواخر القرن التاسع عشر ، ثم تضخمت في بداية القرن العشرين مع قدوم المهاجرين الذين ضاقت بهم الحياة في يوغسلافيا القديمة . وقد كان بين هؤلاء المهاجرين الشيوخ والمثقفون ، الذين تابعوا نشاطهم بعد استقرارهم في سوريا . ويُلاحظ هنا أن الجيل الأول بقي يكتب في اللغة الألبانية ، وفي الأبجدية العربية بطبيعة الحال ، بينما تحول الجيل الثاني الى الكتابة في اللغة العربية وقدّم ابداعات بارزة في أدب هذه اللغة .[2] ومن الجيل الأول لدينا بعض الشعراء كالحافظ اسلام Hafiz Islami ، الذي سنتحدث عنه فيما بعد ، وثابت نعمان فريزاي Sabit Niman Ferizaj .

(1) Ibid .,

(٢) للتوسع حول الجالية الألبانية في سوريا انظر :

محمد موفاكو ، الألبانيون في سوريا ودورهم في الحياة السورية ، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ١٥١٦ - ١٩٣٩ ، الجزء الأول ، دمشق ١٩٧٩ .

ويتميز الشاعر ثابت نعمان فريزاي بتنوع اهتماماته الأدبية والعلمية ، التي برزت بشكل خاص بعد استقراره في سوريا . وقد ولد هذا الشاعر سنة ١٨٦٠ في جنوب يوغسلافيا ثم انتقل مع عائلته الى مدينة فريزاي حيث تعلم اللغة العربية والقرآن في احد لكتاتيب . وفي أواخر القرن التاسع عشر هاجر الى بلاد الشام ، حيث تنقّل لفترة بين دمشق وعمان والكرك الى ان استقر أخيراً في دمشق . وفي هذه المدينة عمل في عدة مهن بالاضافة الى متابعة اهتماماته الدينية والعلمية والأدبية في بيته ، وحين بلغ الثمانين من عمره اتخذ لنفسه زاوية في « جامع الأرناؤوط » ، في حي الديوانية ، حيث كان يعظ الناس الى أن توفي سنة ١٩٥٠ . وقد خلّف لنا بعد وفاته بالاضافة الى أشعاره الكثير من المؤلفات التي تدلّ على تنوّع اهتماماته الدينية والأدبية والعلمية :

- البروج الفلكية وأثرها في حياة الناس .
- رصد الأرناؤوطي على بيان المفسرّ الفلكي .
- منافع النبات للانسان
- الأعشاب وتأثيرها في الطب .
- رسالة علم اليقين وأهل المذاهب
- تفسير سورة المائدة
- تفسير آيات قرآنية مختلفة .[1]

---

(١) عبداللطيف الأرناؤوط ، ثابت نعمان فريزاي ، مجلة « التمدن الاسلامي » ، مجلد (٤٣) عدد ٧ ، دمشق آب ١٩٧٦ ، ص ٥٦٠-٥٦٣ .

وفيما يتعلق بأشعاره لدينا ما يشير الى أنه بدأ في كتابة الشعر في يوغسلافيا . وبشكل عام يبدو النفس الصوفي في كل أشعاره ، وهو ما كان يطبع حياته العادية . ويتوزع شعره بين اللغتين العربية والألبانية ، مع أن مضمون هذه القصائد يكاد يكون واحداً في تعبيره عن حالة التواصل بينه وبين الخالق :

إلهي ،

أحبك الانسان

لأنك أحببته وخلقته

وأودعت فيه سر وجودك . [١]

وعلى كلّ حال ، فان استمرار هذا الشاعر في الكتابة في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية في المحيط لسوري أدى الى ما يميّز هذه الأبجدية التي كتب فيها . فقد اختصر الشاعر ثابت الأبجدية الألبانية الى ثلاثة وعشرين حرفاً أساسياً ، بالاضافة الى بعض الحروف العربية الأصيلة (ص،ض، ع، غ ، ط) ، مما يجعلها أكثف أبجدية للغة الألبانية . ويبدو لنا ان هذا التكثيف جاء نتيجة لتأثير اللغة العربية والمحيط العربي ، الذي أدى الى تلاشي بعض الأصوات الألبانية الصميمة في كتاباته . [٢]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٦٥ .

(٢) للتوسع حول هذا انظر :

محمد موفاكو ، محاولة لكتابة الألبانية بحروف عربية ، مجلة « المعرفة » عدد ١٩٦ ، دمشق حزيران ١٩٧٨ ، ص ١٧١ - ١٧٧ .

ومن ناحية اخرى ، يتميّز هذا القرن ايضاً باستمرار التقاليد الشعرية حول المولد النبوي . ويُلاحظ هنا ان الموالد في هذا القرن أصبحت تكتب في الأبجديتين العربية واللاتينية ، بعد أن كانت تكتب سابقاً في الأبجدية العربية فقط . فقد أصبحت الموالد تُكتب وتُطبع في ألبانيا منذ ١٩٢٠ في الأبجدية اللاتينية ، كما اصبح يُعاد طبع الموالد المكتوبة في الأبجدية العربية بالأبجدية اللاتينية ايضاً . ومع هذا سنتعرّض هنا فقط الى الموالد التي كُتبت في الأبجدية العربية خلال هذا القرن . وقبل ان ننتقل الى الحديث عن هذه الموالد يهمّنا ان نسجّل هنا ان الشعراء الألبانيين تخلّصوا في هذا القرن من التأثير الطاغي لسليمان شلبي ، كما رأينا في القرن التاسع عشر ، بحيث أن الموالد الألبانية في القرن العشرين أصبحت أكثر أصالة من السابقة .

ومن الشعراء الذين اهتموا بالمولد النبوي في هذا القرن لدينا الحافظ علي كورتشا Hafiz Ali Kor Ça. وقد ولد الحافظ علي سنة ١٨٧٤ في مدينة كورتشا Kor Ça ، في جنوب ألبانيا ، في عائلة معروفة بتقاليدها الثقافية الاسلامية . وفي هذه المدينة اتم تعليمه ثم تابع دراسته العليا في استنبول ، حيث أتقن اللغة العربية بالاضافة الى اللغتين التركية والفارسية . وبعد عودته عمل في التعليم حيث درّس اللغة العربية والأدب العربي بالاضافة الى عدة موادٍ اخرى ، كما عمل في الشؤ ون الدينية وفي البحث والتأليف في عدة لغات الى أن توفي سنة ١٩٤٧ . وتدلّ قائمة مؤ لفاته الطويلة على عمق الثقافة العربية الاسلامية التي كان يتمتّع بها ، والتي جعلت منه شخصية معروفة في العالم الاسلامي . ويكفي ان نذكر هنا تفسيره الضخم للقرآن الكريم ، الذي يقع في ألفي صفحة ، بالاضافة الى

عدة مؤلفات له عن الاسلام . والى جانب هذا وضع عدة كتب لتعليم اللغة العربية للألبانيين ، بالاضافة الى كتاب آخر بعنوان « علم البيان » . وحول هذه الشخصية لدينا ما يشير الى كتاباته في المجلات العربية والى صلاته مع شيخ الأزهر .(١)

ومن هذه المؤلفات الكثيرة لدينا بعض الأعمال الشعرية للحافظ علي ، التي تدلّ على موهبته الشعرية وعلى اطلاعه الواسع على التاريخ العربي الاسلامي . ومن هذه الاعمال ملحمته التاريخية « التاريخ المقدّس » ، التي تتألف من خمسة وسبعين ألف بيت حول تاريخ الاسلام .(٢) وازاء هذه الملحمة الضخمة يبدو المولد الذي كتبه مجرد اثبات للذات أمام الآخرين . ومع هذا يتمتّع مولد الحافظ علي بقيمة كبيرة نظراً لأصالته التي تنبع من ثقافة صاحبه الشعرية والدينية . وقد صدر هذا الديوان لأول مرة في الأبجدية العربية في استنبول سنة ١٩٠٠ .(٣) إلا ان المؤلف أعاد كتابة ونشر هذا المولد في الأبجدية اللاتينية فيما بعد خلال سنوات ١٩٠٨ ـ ١٩١٠ ، التي شهدت قمة الصراع على موضوع الأبجدية للغة الألبانية . وما يثير هنا ان الحافظ علي كان من الشخصيات الاسلامية النادرة التي ايّدت بحماس الأبجدية اللاتينية خلال تلك السنوات .(٤) وفي الواقع ان هذا يرتبط بالاتجاه الذي تميّز به الحافظ علي ، الذي حاول التوفيق بين

(1) Sadik Bega , Hafiz Ali Korça Pasqyrë atdheetarizme për brezin e ri , Kultura Islame . pp. 102 - 104 .

(2) Ibid ., p . 104 .

(3) Kaleshi , Disa aspekte të Luftës ..., p . 106 .

(4) Bega , Hafiz Ali Korça ..., p . 103 .

الدين والقومية وبالتحديد بين الشعور القومي الألباني الحاد وبين الانتماء الاسلامي .

ومن بداية هذا القرن لدينا مولد آخر في الأبجدية العربية لشاعر الباني من سوريا . وقد تكون قصة هذا المولد اكثر إثارة من المولد نفسه . فصاحب هذا المولد هو الحافظ اسلام ، من مدينة بريشتينا في جنوب يوغسلافيا ، الذي هاجر الى سوريا مع موجة الهجرة الأولى التي اعقبت الحرب البلقانية ١٩١٢ ـ ١٩١٣ . وقد كتب الحافظ اسلام هذا المولد في سوريا ، بالاضافة الى أشعاره الدينية الأخرى ، ثم أرسله الى مسقط رأسه ليستفيد منه الألبانيون في هذه المناطق . وقد وصلت هذه النسخة الى الشيخ عبدالله بيرامي Bajrami Abdullah ، الذي كان معروفاً بنشاطه في حقل التعليم الديني في منطقة بوديفا Podijeva خلال العهد اليوغسلافي القديم . وخلال تلك الفترة اصبح هذا المولد ينشر في المناسبات المختلفة ، بينما حرص الشيخ عبدالله على الأحتفاظ بالنسخة الأصلية في مكتبته الغنية بالمخطوطات والكتب العربية والاسلامية . وفي سنة ١٩٥٤ تعرّض بيت الشيخ عبدالله للتفتيش الذي انتهى الى اخراج كل مكتبته ، التي كانت تحتوي على ثلاثة آلاف مخطوط وكتاب ، الى ساحة الدار حيث أُحرقت بكل ما فيها . ومن هذه المكتبة لم يبق لنا الا نسخة المولد ، التي كانت قد خبأتها زوجة الشيخ كاملة بيرامي Qamile Bajrami في ذلك اليوم ، وبقيت لديها فترة من الزمن الى ان سمحت لمركز الوثائق في كوسوفا بتصوير نسخة عنها . ومع هذا بقي هذا المولد مجهولاً الى

حين كتابة هذا السطور .[1]

ويقع هذا المولد ضمن مخطوط يتألف من ست وأربعين صفحة ، يحتل المولد منها اربعين صفحة بينما تحتوي الصفحات الباقية على قصيدة دينية لصاحب المولد . وفي الصفحة الأولى من هذا المخطوط نجد في الزاوية اليمنى اسم صاحب المولد ، بينما نجد في الزاوية اليسرى عبارة واضحة في اللغة العربية : « هذا مولود شريف ما أُرسل من الشام » . ويتألف هذا المولد على غرار بقية الموالد ، من قصيدة الحمد حيث يشير الشاعر في البيت الخامس منها الى « أن هناك كثيراً من الموالد التي كُتبت قبل هذا المولد » . وبعد هذا لدينا قصيدة المولد ، التي تتألف من حوالي اربعمائة بيت ، ثم دعاء المولد ، وفي القصيدة الملحقة بالمولد لدينا بعض الاشارات المهمة . ففي الصفحة الأخيرة لدينا بيتان من الشعر يشيرأن الى ان الشاعر « من مدينة برشتينا وهو الآن مهاجر في الشام الشريف ، حيث يعيش اليوم » . والى جانب هذا نجد بيتين من الشعر يشيران الى سنة كتابته للقصيدة : ١٣٤٠ هجرية ، أي ١٩٢١ .

وبالاضافة الى هذا لدينا مولد آخر الباني في الأبجدية العربية للشاعر زين الله أوزيشار ، الذي كتبه في تركيا ونشره في سوريا سنة ١٩٧٠ . وعلى هذا يكون هذا المولد آخر ما تمّ نشره في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية في هذا القرن .

---

(١) يعود الفضل في اكتشاف هذا المولد الى د . عاكف برامي ، مدير مركز الوثائق في اقليم كوسوفا ، الذي قدّم مخطوطة هذا المولد المصوّرة في شهر ايلول ١٩٨٢ الى كاتب هذه السطور لفكّ رموزها .

مولد الشاعر حافظ اسلام ، الذي كُتب في سوريا وارسل الى الألبانيين في يوغسلافيا في بداية القرن العشرين ، كما يبدو في الزاوية اليسرى .



مولد الشاعر زين الله أوزيشار، آخر ما نُشر في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية

منظومة المولود

في

فضـل الموجـود

بلسان الارنؤد

زين الله اوزيشار

أنقره ــ شارع آنافارتالر ــ رقم ٧٧

وقد صدر هذا المولد بعنوان « منظومة المولـود في فضـل الموجـود بلسان الأرنئود » ، وهو يقع في اربع وستين صفحة . وفي الصفحة الثالثة من هذا الكتاب يحدّثنا المؤلف عمّن سبقوه في نظم الموالد ، من القرن الثالث عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر ، وبعد هذا يضيف المؤلف انه قد نظم المولد لأول مرة في « اللغة الألبانية بحروف اللغة التركية » في أنقرة سنة ١٩٤٤ ، ثم اعاد كتابته في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية في دمشـق الشـام سنـة ١٩٧٠ . وفي نهـاية هذه المقدمة يذكر المؤلف انه من قرية دورْبش Dorbesh التي تقع بالقرب من مدينة جيلان Gjilan [1] ، في جنوب يوغسلافيا الحالية .

ويتألف هذا المولد من « قصيدة المولود » وهي من اثني عشر بيتاً ثم قصيدة الحمد التقليدية من ثمانية عشر بيتاً وبعد منظومة المولد التي تشتمل على اربعمائة واثنين وعشرين بيتاً . وفي النهاية لدينا قصيدة مناجاة في ثمانية وعشرين بيتاً وأخيراً دعاء المولـد . ويبـدو من هذا المولد ان المؤلف قد كتب هذا العمل الشعري ليخدم به الألبانيين في سوريا ، نظـراً لأن الأبجـدية العـربية في سنـة ١٩٧٠ كانـت قد اصبحت كالهيروغلفية بالنسبة لبقية الألبانيين في العالم ،[2] وخاصة

(١) زين الله اوزيشار ، منظومة المولود في فضل الموجود بلسان الأرنئود ، ص ٤ ـ ٥ .

(٢) نشير هنا الى ان الألبانيين ، خارج ألبانيا ويوغسلافيا ، ينتشرون في أماكن كثيرة عبر القارات وبشكل خاص في تركيا (حوالي مليونين) وفي اليونان (حوالي ربع مليون) وفي ايطاليا الجنوبية وصقلية (حوالي ربع مليون) وفي الولايات المتحدة (حـوالي نصف مليون) بالاضافة الى عشرات الجاليات الكبيرة في البلدان الأخرى . انظر :

Dr. Hivzi Islami , Pregled rasprosttrajenosti i porasta broja Albanaca u svetu, Stanovištov I - XII, Beograd 1978, pp. 188 - 211 .

في ألبانيا ويوغسلافيا ، بعد ذلك التراث الذي امتدّ لعدة قرون في هذه الأبجدية .



خاتمة

ان تقييم التجربة الألبانية ، فيما يتعلّق بالأبجدية العربية ، يساعد المرء على تفهم اهمية العلاقة التي تربط بين اللغة والأبجدية . ففي هذه التجربة يبدو بوضوح ان الأبجدية تمارس تأثيراً حاسماً على اللغة والأدب ، الذي يكتب في هذه الأبجدية ، وعلى الاتجاه الثقافي العام للشعب الذي يكتب في هذه الابجدية . ان التجربة الألبانية تكشف بوضوح عن الخلفية السياسية لموضوع الأبجدية ، وعن الدور السياسي الذي تمارسه الأبجدية في توثيق العلاقات التي تربط أمةً بغيرها من الأمم . وبعبارة اخرى ، ان التجربة الألبانية تقدم لنا مثالاً حياً عن الدور الذي قامت به الأبجدية العربية في ربط الألبانيين بالعرب وبالعالم الاسلامي لعدة قرون ، وعن الدور المعاكس الذي قامت به الأبجدية اللاتينية في فك الارتباط سواء بين اللغة الألبانية واللغة العربية أو بين الأدب الألباني والأدب العربي وحتى بين الألبانيين والشرق .

وفي الواقع ان هذه العلاقة بين اللغة والأبجدية ، أو نقل هذه الخلفية السياسية لموضوع الأبجدية ، كانت واضحة للغرب الأوربي الذي قام بنشاط واسع ، لدوافع قومية ودينية وسياسية متشابكة ، لدعم الأبجدية اللاتينية ونشر الثقافة الغربية في المناطق الألبانية ، التي كانت تمثّل جانباً مهما للاسلام والثقافة الاسلامية في جنوب اوربا . وفي هذا الوضع كانت الأبجدية العربية تفتقد الى من يهتم بها أو يدعم استمرارها ، لأن العرب في القرنين الثامن عشر والتاسع

عشر كانوا قوة تحت السطح بينا كانت الادارة العثمانية في مرحلة تراجع وتفسخ . وفي الواقع كانت هذه الادارة تعبّر عن (لا مبالاة) كبيرة ، وخاصة في عهد السلطان عبدالحميد الثاني الذي كان يتظاهر بالحماس لفكرة الجامعة الاسلامية ، مع أن هذه الفكرة تفترض الاهتمام بمسألة الأبجدية العربية التي كانت تربط حينذاك بين الشعوب الاسلامية .

ويُلاحظ هنا أن الأبجدية العربية أثارت حولها الاهتمام بشكل أوسع في مطلع القرن العشرين ، نظراً للتطورات التي طرأت على البلقان في ذلك الوقت . ففي سنة ١٩٠٨ توسعت حدود امبراطورية النمسا والمجر لتضمّ مسلمي البوسنة ، وبهذا اصبحت حدود الامبراطورية العثمانية تنتهي في أوربا عند المناطق الألبانية ، التي كانت هدفاً لأطماع الدول المجاورة . وفي سنة ١٩٠٨ أيضاً قامت ثورة الأتراك الجدد ضد السلطان عبدالحميد ، مما أدى الى تبدل الوضع في استنبول . وقد شهدت سنة ١٩٠٨ أيضاً بداية الحرب المكشوفة في المناطق الألبانية بين انصار الأبجدية العربية والمتحمسين للأبجدية اللاتينية . ومع ان السلطة الجديدة في استنبول كانت أقل حماساً للاسلام مما كان يتظاهر به السلطان عبدالحميد إلا أنها ألقت كل ثقلها في كفة الأبجدية العربية ، وذلك لقناعتها بأن تبنّي الألبانيين للأبجدية اللاتينية يعني بالضرورة الانفكاك عن الشرق والارتباط بالغرب ، وهذا يفترض بدوره الانفصال عن الامبراطورية العثمانية مما قد يشجع الشعوب الاخرى على سلوك هذا الاتجاه .

وفي الواقع لقد أدت الظروف الاقليمية والدولية فيما بعد الى

تصفية الوجود العثماني في أوربا ، والى حلّ ما لمسألة الأبجدية في إطار الحل الأوربي للمسألة الألبانية الذي انتهى الى تشكيل دولة ألبانية غير مرتبطة بالشرق . ونتيجة لهذا الموقف تم تبني الأبجدية اللاتينية والالتزام بفصل الدين عن الدولة ، وبهذا كانت ألبانيا اول بلد يدخل العلمانية في العالم الاسلامي ، ثم جاء دور تركيا الكمالية بعد ذلك في توسيع هذه الثغرة ، وهنا قد يبدو اهم ما في هذا الموضوع ، ألا وهو تأثير الموقف الألباني من الأبجدية العربية وما يتعلّق بهذا من مسائل اخرى في الجانب التركي .

وقد ارتبط هذا التأثير في البداية ببعض الشخصيات الألبانية من أنصار الأبجدية اللاتينية ، التي كانت تتمتع بحضور كبير في الحياة الثقافية في استنبول ، عاصمة الامبراطورية العثمانية . ومن أهم هذه الشخصيات على الاطلاق الكاتب سامي فراشري Sami Frashëri (١٨٥٠ - ١٩٠٤) . الذي اشتهر باسم شمس الدين سامي . وقد ولد هذا الكاتب في قرية فراشر Frashër التي أشرنا اليها في السابق ، في عائلة تميزت بدورها الكبير في النهضة القومية الألبانية في النصف الثاني للقرن التاسع عشر . فقد كان الأخ الأكبر له ، عبدل فراشري Abdyl Frashëri ، من زعماء الكفاح القومي المسلح ، بينما كان الأخ الأصغر نعيم فراشري Naim Frashëri شاعر النهضة القومية الألبانية ، على حين ان سامي كان يعتبر بادىء هذه النهضة .[1] وكان سامي فراشري قد انتقل للاقامة الدائمة في استنبول سنة ١٨٧٢ ، حيث اشتهر بنشاطه الواسع في تأليف الكتب والمعاجم والموسوعات ، التي

(1) Kristo Frashëri, Shemsedin Sami Frashëri - ideolog i Lëvizjes Kombëtare shqiptare, Studime historike nr. 2, Tiranë 1967, pp. 79 - 93 .

عبرت عن روح قومية جديدة في المحيط التركي . [1]

وفيما يتعلق بموضوع الأبجدية تجدر الاشارة هنا الى أن سامي فراشري قاد نشاطاً واسعاً في استنبول ، من مركز الامبراطورية ، لتبنّي الأبجدية اللاتينية للغة الألبانية . وفي هذا الاتجاه أسّس مع بعض الشخصيات القومية الألبانية سنة ١٨٧٩ « رابطة نشر الكتب الألبانية » ، التي كان رئيساً لها . وقد تبنّت هذه الرابطة في السنة ذاتها الأبجدية اللاتينية للغة الألبانية ، التي كان سامي وراءها ، وبدأت في نشر الكتب الألبانية في هذه الأبجدية وإرسالها الى المناطق الألبانية . وكان من الطبيعي ان تثير هذه البادرة الجريئة اهتمام المحيط الثقافي في العاصمة . وفي الواقع لقد أثار نشر قانون هذه الرابطة في مجلة « مجموعة العلوم » ضجة كبيرة في الأوساط الثقافية والسياسية لعاصمة الامبراطورية . وقد نظرت الأوساط السياسية في ذلك الحين الى هذه البادرة كـ « تهديد لسلامة الامبراطورية العثمانية ولوحدة الاسلام » . [2] أما في الأوساط الثقافية فقد أيد البعض هذه المبادرة بينما انتقدها البعض الآخر . [3]

---

(١) حول أفكار واطروحات سامي فراشري القومية التركية وأثرها انظر :

Dr. Arin Engin , Atatürk Çülük ve Moskofluk - türklük savaşları , Istanbul 1953 .

(2) A. N. Kononov, Gramatika soveremennogo tureckogo Literaturnogo Jazyka, Moskva 1956; sipas :

Hasan Kaleshi, Sami Frashëri në letërsinë dhe filologjinë turke, Gjurmime albanologjike nr. 1, prishtinë 1968, p. 63.

(3) Kaleshi, Sami Frashëri ..., p. 63 .

ومـن ناحية اخـرى ، كان سامـي فراشري أول من أثـار واقـع ومستقبل اللغة التركية في مقال طويل له نشر في جريدة « صبـاح » خلال سنة ١٨٧٦ . ففي هذا المقال ، الـذي كان عنوانـه « اللغـة التركية ـ العثمانية » ، انتقد سامي بشدة واقع اللغة التركية ، التـي اصبحـت لغـة عربية فارسية ـ تركية ، ودعـا الى تطهـير اللغـة من المفردات العربية والفارسية عن طريق إحياء اللغة التركية الأصيلـة لتكون لغة الأتراك ، من تركيا الى روسيا ، لا لغة العثمانيين . وفي سبيل تمييز هذه اللغة ، لتكون لغة قومية خاصة بالأتراك ، كان سامي اول من طرح بشكل علني التخلي عن استعمال الأبجدية العربية للغة التركية . ويبدو هذا في مقدمة قاموسه الفرنسي ـ التركي ، الذي لقي رواجاً كبيراً بعد صدوره سنـة ١٨٨٣ . ففـي هذه المقدمـة ينطلـق المؤلف من عدم صلاحية الحروف العربية لكتابة اللغة التركية لكي يطالب اخيراً بـ « وضع أبجدية تركية من الحـروف الـلاتينية » .[١] وفي الواقع لقد أدى حماس سامي فراشري للأبجدية اللاتينية ، التي كان قد اعتمدها للغة الألبانية ، الى تشجيع بعض الأتراك على تبني الأبجدية اللاتينية للغة التركية . وفي هذا الاتجاه قام الكاتب التركي سليمان توفيق بتقليد ما قام به سامي ووضع مشروع أبجـدية لاتينية للغة التركية . إلا أن المحيط الثقـافي والسياسي هاجـم واضـع هذا المشروع كما انتقد بدوره سامي فراشري .[٢]

ويبدو التأثير الألباني بشكل اوضح في مطلع هذا القرن ، بعد ان

(1) Ibid ., p. 64 .

(2) Ibid .

تغيرت الظروف بسقوط السلطان عبدالحميد وقدوم الأتراك الجدد الى السلطة ، الذي تمّ بمشاركة فعالة للألبانيين . (1) ففي سنة ١٩٠٨ سمحت السلطة الجديدة بتعلّم اللغة الألبانية ، بعد ان كانت الادارة السابقة لا تعترف بهذه اللغة حتى ذلك الحين في المناطق الألبانية . إلا ان هذا أثار دفعة واحدة مسألة الأبجدية العربية والأبجدية اللاتينية للغة الألبانية ، نظراً لأن كل مدرسة كانت تعلّم اللغة الألبانية بهذه الأبجدية أو تلك ، مما كان يفترض بالضرورة الاعتماد على أبجدية واحدة في كل المدارس . وفي الواقع لقد انتقلت هذه « المشكلة الألبانية » الى استنبول وشغلت الأتراك لعدة سنوات ، نظراً لأن الحوار الساخن بين أنصار الأبجدية العربية والمتحمّسين للأبجدية اللاتينية كان يدور عبر صحف العاصمة . وقد كان لهذا الحوار اهميته الكبيرة لأنه كان يجري في أهم صحف ومجلات استنبول ، كما في صحيفة « طنين » شبه الرسمية ومجلة « تصوير افكار » المعروفة بتقاليدها وبتأثيرها الواسع الخ . وقد بدأ هذا الحوار يتصاعد منذ النصف الثاني لسنة ١٩٠٩ واستمر يتطور حتى سنة ١٩١٢ ، حين اصبحت البانيا خارج الامبراطورية العثمانية . وفي هذا الحوار ، الذي كان في الواقع حرباً حامية ، كان كل طرف من الألبانيين يستعرض كل ما لديه من حقائق وأدلة لغوية وعلمية ودينية وتاريخية لتأييد الأبجدية التي يريدها .

وكان من الطبعي أن يشدّ هذا الحوار اليه الجانب التركي ، نظراً

(1) Skender Rizaj, Albanska abeceda u naučnoj literaturi, Jugoslovenski isorijski časopis 1 - 2 , Beograd 1969, pp. 180 - 181 .

لأن هذا الحوار حول الأبجدية العربية ومدى صلاحيتها كان يعني الكثير للّغة التركية التي كانت تُكتب حتى ذلك الحين بالأبجدية العربية . ويُلاحظ هنا ان موقف السلطة الجديدة كان سياسياً في الدرجة الأولى في حرصها على استمرار الألبانيين في الكتابة بالأبجدية العربية . ومع هذا ادى الحوار الألباني ـ الألباني حول موضوع الأبجدية في صحف ومجلات العاصمة الى فرز موقف آخر من هذا الموضوع داخل حزب السلطة ، « الاتحاد والترقي » ، الذي كان يجمع في الأصل بين الاتجاه العثماني والاتجاه القومي التركي الذي كان ضامراً في البداية . ويبدو هذا التحول في مقال افتتاحي في جريدة « طنين » ، الناطقة باسم « الاتحاد والترقي » ، وذلك في عددها الصادر في ٢٠ كانون الثاني ١٩١٠ . وقد صدر هذا المقال الافتتاحي باسم حسين جاهد رئيس تحرير الصحيفة وأحد الشخصيات المؤثرة داخل « الاتحاد والترقي » وفي هذا المقال يؤيّد حسين جاهد انصار الأبجدية اللاتينية لأن « الألبانيين الذين يريدون تبنّي الأبجدية اللاتينية انما يريدون التقدم خطوة الى الأمام » . وما يهمنا هنا أن صاحب المقال يعمّم في مقارنته بين الأبجدية اللاتينية المقترحة للغة الألبانية وبين الأبجدية العربية التي كانت تُكتب بها اللغة التركية . فهو يرى ان « الراعي الألباني يمكن ان يتعلّم القراءة والكتابة خلال اسبوع » بالأبجدية اللاتينية ، بينما لا تكفي الفلاح التركي مئة سنة لتعلّم القراءة والكتابة بالأبجدية العربية .[1]

وفي الواقع ان هذا الاتجاه القومي التركي ، الذي كانت تسيطر

(1) Kaleshi, Sami Frashëri ..., p . 108 .

عليه حساسية معينة من اللغة والاسلام ، بدأ في التعبير عن نفسه بشكل أو بآخر منذ سنة ١٩٠٩ .(١) وينبغي علينا ان نضيف في النهاية تأثير الحرب البلقانية ١٩١٢ ـ ١٩١٣ ، التي هزت الامبراطورية العثمانية حتى جذورها . فقد انتهت هذه الحرب الى انفصال الألبانيين عن الأمبراطورية العثمانية والى التحاقهم بالغرب بعد تبنيهم للأبجدية اللاتينية والعلمانية ، بينما أثارت خيبة في الجانب التركي من « الرابطة العثمانية » . وقد تطورت هذه الخيبة الى ما يعتبره الأتراك نوعاً من اليقظة ، التي اوحت اليهم بتبنّي سياسة اخرى .(٢) وقد تبلورت هذه السياسة في تركيا في العشرينات ، بزعامة كمال أتاتورك ، الذي أراد ان يفصل تركيا عن العالم الاسلامي بتبني الأبجدية اللاتينية للغة التركية والعلمانية للدولة التركية . وبهذا لحقت تركيا بما كان قد بدأ في البانيا سنة ١٩١٢ .



---

(١) حول هذا الموقف وانعكاساته انظر :

زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٨٧ ـ ٩٠ .

(٢) للتوسع حول تأثير الحرب البلقانية في الجانب التركي وحول جذور الدوافع القومية التركية ـ العلمانية انظر :

جامعة ديجون ، دور الجيش « غير العسكري » في العالم الثالث ، باشراف ليوهامون ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٢٢٨ وما بعدها .

مصادر ومراجع مختارة

أولا : مخطوطات شعرية مختلفة في اللغة الألبانية بالأبجدية العربية .

ثانيا : في اللغة العربية .

١ ـ ابراهيم باشا ١٨٤٨ ـ ١٩٤٨ ، مجموعة أبحاث ودراسات ، القاهرة ١٩٤٨ .

٢ ـ د . إحسان عسكر ، نشأة الصحافة السورية . . . عرض للقومية في طور النشأة من العهد العثماني حتى قيام الدولة العربية ، القاهرة ١٩٧٢ .

٣ ـ أحمد بن زيني دحلان ، الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، الجزء الثاني ، القاهرة د . ت .

٤ ـ احمد عبدالمعطي حجازي ، رؤية حضارية طبقية لعروبة مصر ـ دراسة ووثائق ، بيروت ١٩٧٩ .

٥ ـ ألف ليلة وليلة ، القاهرة ١٩٦٩ .

٦ ـ جامعة ديجون ، دور الجيش « غير العسكري » في العالم الثالث ، باشراف ليوهامون ، دمشق ١٩٦٨ .

٧ ـ ج . يانج ، مصر من عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل ، ترجمة وتعليق علي احمد شكري ، القاهرة ١٩٣٤ .

٨ ـ د . حسين مؤنس ، عالم الاسلام ، القاهرة ١٩٧٣ .

٩ ـ د . حسين مجيب المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، القاهرة ١٩٧١ .

١٠ ـ د. حسين مجيب المصري ، في الأدب العربي والتركي ـ دراسة في الأدب الاسلامي المقارن ، القاهرة ١٩٦٢ .
١١ ـ ر . قطاوي ـ ج. قطاوي ، محمد علي وأوربا ، القاهرة ١٩٥٢ .
١٢ ـ زين الله اوزيشار ، منظومة المولود في فضل الموجود بلسان الأرنئود ، دمشق ١٩٧٠ .
١٣ ـ زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية ـ التركية ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٢ .
١٤ ـ ساطع الحصري ، محاضرات في نشوء القومية العربية ، القاهرة ١٩٥١ .
١٥ ـ صالح جودت ، م.ع. الهمشري ، القاهرة ١٩٧٤ .
١٦ ـ طه الولي ، تاريخ الاحتفال بذكرى المولد النبوي في الاسلام ، مجلة « الفكر الاسلامي » ، عدد (١) ، بيروت ١٩٨٢ .
١٧ ـ عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، الجزء الرابع ، بغداد ١٩٤٩ .
١٨ ـ عبداللطيف الأرناؤوط ، ثابت نعمان فريزاي ، مجلة « التمدن الاسلامي » ، المجلد (٤٣) عدد (٧) ، دمشق ١٩٧٦ .
١٩ ـ عبدالرحمن الرافعي ، عصر محمد علي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥١ .
٢٠ ـ د. فيليب حتي ، العرب ـ تاريخ موجز ، بيروت ١٩٦٨ .
٢١ ـ لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، موسكو د.ت .
٢٢ ـ لوثراب ستودارد ، حاضر العالم الاسلامي مع شروح

وتعليقات شكيب ارسلان ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٧١ .
٢٣ ـ محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث ، دمشق ١٩٦٩ .
٢٤ ـ المحبي ، خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر ، بيروت ١٩٦٦ .
٢٥ ـ محمد موفاكو ، أروى العربية وأروى الألبانية ، مجلة « المعرفة » عدد ٢١٨ ، دمشق ١٩٨٠ .
٢٦ ـ محمد موفاكو ، الألبانيون في سوريا ودورهم في الحياة السورية ، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ١٥١٦ ـ ١٩٣٩ ، الجزء الأول ، دمشق ١٩٧٩ .
٢٧ ـ محمد موفاكو ، اللغة العربية في اللغة الألبانية ، مجلة « المعرفة » عدد ١٧٨ ، دمشق ١٩٧٦ .
٢٨ ـ محمد موفاكو ، محاولة لكتابة الألبانية بحروف عربية ، مجلة « المعرفة » عدد ١٩٦ ، دمشق ١٩٧٨ .
٢٩ ـ محمد موفاكو ، من الأدب الألباني ـ مع مقدمة في الصلات الأدبية العربية ـ الألبانية ، مجلة « التراث العربي » عدد ٣ ، دمشق ١٩٨٠ .
٣٠ ـ وداد سكاكيني ، أروى بنت الخطوب ، القاهرة ١٩٤٨ .



ثالثا : في اللغات الأوروبية

1. AL - Buhi , Kamil - Arapski radovi Jugoslovenskih Pisaca , Dok . d disertacija , Beograd 1963 .

2 . Ajeti , dr . Idriz - Pamje historike e Ligjerimit shqop të Gjakovës në fillim të shekullit CIC , Prishtinë 1960 .

3 . Alfabeti i gjuhës shqipe dhe Kongresi i Manastirit - studime , materiale dhe dokumente , Tiranë 1972 .

4 . Antoljak , Stjepan ; Prilog historijatu borobe albanasa za svoju Alfabet , Gjurmime albanologjike nrl 1 , Prishtinë 1969 .

5 . Arsh , G.LI. , Senkevig , G. , Smirnova , N.D . - Historia e shkurtër e Shqipërisë 1967 .

6 . Baba Rexhepi - Misticizma islame dhe Bektashiizma , New York 1970 .

7. Bajraktarović, dr.Fehim-O našim mevludima i o mevludu uopšte, Prilozi za književnost, jezik, istoriju i folklor, knj. XVIII, sv.1, Beograd 1937.

8. Bajrami, dr. Hakif - Rrethanat shoqërore dhe politike në Kosovë më 1918-1941, Prishtinë 1981.

9. Bala, Vehbi, Pashko Vasa, Tiranë 1979.

10. Balić, Smail, Kultura bošnjaka, Wien 1973.

11. Berisha, Gjerg-Kusarët e Ulqinit, Rilindja 19.X.-5.XI.1973.

12. Cana, Zekeria-Lëvizja Kombëtare Shqiptare në Kosovë 1908-1912, Prishtinë 1979.

13. Çabej, Eqrem,-Studime gjuhësore I-IV, Prishtinë 1976.

14. Čelebi, Evlia-Putopis, Sarajevo 1979.

15. Demiraj, Shaban;Historia e gjuhës së shkruar shqipe Prishtinë 1970.

16. Desnickaja, A.V.-Gjuha shqipe dhe dialektet e saj, Prishtinë 1971.

17. Enciklopedija Jugoslavije, drugo izanje, Zagreb 1980.

18. Ermenji, Abas-Albania vendi që zë Skënderbeu në historinë e S hqipërisë, në Mërgim 1968.

19. Folklori shqiptar-Proza popullore II,Tiranë 1966.

20. Frashëri, Kristo-Shemsedin Sami Frashëri ideolog i lëvizjes kombëtare shqiptare, Studime historike nr.2, Tiranë 1967.

21. Frashëri, Kristo, The history of Albania, Tirana 1964.

22. Frashëri, Sami-Shqipëria ç'ka qenë ç'eshtë e ç'do të bëhetë?, Vepra II, Prishtinë 1978.

23. Grup autorësh ; Historia e letërsisë shqipe, ribotim i prishtinës 1975.

24. Grup autorësh,-Historia e popullit shqiptar, ribotim i Prishtinës 1979.

25. H. (Hafiz Ali Korça ?) - Shkrimtarët muslimanë, Kultura Islame, pril-maj, Tiranë 1943.

26. H. Ali-I njeri Hasan Zyko Kamberi 200 vjet përpara, Kultura Islame nr.7-8, Tiranë 1944.

27. Ilirët dhe Iliria te autorët antikë, ribotim i Prishtinë 1979.

28. Kajtazi, Halil-Proza popullore e Drenices II, Prishtine 1972.

29. Kaleši, Hasan-Albanska aljamiado književnost, Prilozi za orijentalnu filologiju XVI-XVII, Sarajevo 1966-67.

30. Kaleshi, Hasan-Gramatika shqipe e Fazil Tiranasit, Përparimi nr.5, Prishtinë 1955.

31. Kaleši, Hasan-Mevludi kod Arbanasa, Zbornik Filozofskog Fakulteta, knj. IV-2, Beograd 1959.

32. Kaleshi, Hasan, Najstariji vakuvski dokumenti u Jugoslaviji na arapskom jeziku, Priština 1972.

33. Kaleshi, Hasan-Ndikimet orientale në tregimet popullore shqiptare, Bulteni i Muzeut të Kosovës XI, Prishtinë 1972.

34. Kaleši, Hasan-Prilog poznavanju arapske književnosti iz vremena preporoda, Godišnjak Balkanološkog Instituta I, Sarajevo 1956.

35. Kaleshi, Hasan-Roli i shiptarëve në letërsitë orientale, Seminari i Kulturës Shqiptare për të Huaj 2, Prishtinë 1976.

36. Kaleshi, Hasan-Sami Frashëri në letërsinë dhe filologjinë turke, Gjurmime albanologjike nr.1, Prishtinë 1968.

37. Kaleshi, Hasan-Shenime nga e kaluemja e Prizrenit gjatë periodës turke, Përparimi nr.7-8, Prishtinë 1961.

38. Kallajxhi, Xhevat-Bektashizmi dhe teqja shqiptare n'Amerikë, New York 1964.

39. Kasumi, Haki-Bashkësia Fetare Islame në Kosovë më 1918-1929, Vjetar i Arkivit të Kosovës XII-XIII, Prishtinë 1981.

40. Kokaja, Mali-Naim be Frashëri, Kajro 1941.

41. Kosovo nekad i danas-Kosova dikur e sot, Beograd 1973.

42. Kraja, Anton-Hymja e turqizmeve në gjuhën shqipe dhe përpjekjet për zëvendësimin e tyre, Studime filologjike nr.1, Tiranë 1965.

43. Krasniqi, Mark-Gjurmë e gjurmime, Prishtinë 1979.

44. Krasniqi, Mark-Mbi disa shrime letrare të Kosovës midis dy Luftrave Botërore, Gjurmime albanologjike-Seria e shkencave filologjike III, Prishtinë 1975.

45. Krasniqi, Mark, Shaip Zuranxhiu, Jeta e re nr.2, Prishtinë 1954.

46. Krasniqi, Mark, Sheh Hilmi Maliqi, Jeta e re nr.3, Prishtinë 1953.

47. Mekuli, Esad-Kujtime II,Fjala nr.22, Prishtinë 1981.

48. Mufaku, Muhamed-Emrat arabë në gjuhën shqipe dikur e sot, kumtesë në simpoziumin shkencor "Probleme aktuale të kulturës së gjuhës shqipe", Prishtinë 15-17.XII.1980.

49. Mufaku, Muhamed - Ervehaja në Përrallat Phpullore, Rilindja 6.1.1979.

50. Mufaku, Muhamed-Lidhjet letrare shqiptare-arabe, Universiteti i Kosovës, Prishtinë 1981.

51. Mufaku, Muhamed-Shqiptarët e Egjiptit, Rilindja 27.VIII - 4.IX.1979.

52. Mufaku, Muhamed - Shqiptarët e Sirisë, Rilindja 27. VIII - 12. IX. 1977.

53. Myderrizi, Osman-Fjalori shqip-turqisht i H.Ali Ulqinakut, BUSHT-Seria e shkencave shoqërore nr.3, Tiranë 1961.

54. Myderrizi, Osman-Tekstet më të vjetra shqip me alfabet arab, Konferenca e studimeve albanologjike, Tiranë 1965.

55. Noli, Fan S.-Gjergj kastrioti Skënderbeu, Prishtinë 1968.

56. Pirraku, Muhamet-Gjurmë të alfabetit deri te Kongresi i Manastirit, Përparimi nr.6-7, Prishtinë 1968.

57. Pirraku, Muhamet-Gjurmë të veprimtarisë letrare shqipe me alfabet arab në Kosovë I, Dituria 1-2, Prishtinë 1978.

58. Pirraku, Muhamet, Gjurmë të veprimtarisë letrare shqipe me alfabet arab në Kosovë II, Gjurmime albanologjike - Seria e shkencave filologjike IX, Prishtinë 1979.

59. Pirraku, Muhamet-Gjurmë të veprimtarisë letrare shqipe me alfabet arab në Kosovë III, Gjurmime albanologjike- Seria e shkencave filologjike X, Prishtinë 1980.

60. Pirraku, Muhamet-Këndoi edhe kur e kishte të ndaluar, Fjala 15.XI.1979.

60. Pulaha, Selami-Qytetet e rrafshit të Dukagjinit dhe të Kosovës gjatë gjysmës së dytë të shek.XVI në dritën e të dhënave të reja të regjistrimeve kadastrale osmane, Gjurmime albanologjike - seria e shkencave historike IX, Prishtinë 1980.

61. Qemali, Ismail-Kujtimet, Toronto 1968.

62. Qosja, Rexhep-Prej tiplogjise deri te periodizimi, Prishtinë 1979.

63. Rahimi, Shukri-Qëndrimi i pushtetit turk ndaj çështjes së alfabetit, Gjurmime albanologjike nr.1, Prishtinë 1969.

64. Rexhepagiq, dr. Jashar, Zhvillimi i arësimit dhe i sistemit shkollor të kombësisë shqiptare në teritorin e Jugosllavisë șë sotme deri në vitin 1918, Prishtinë 1970.

65. Rizaj, Skender-Albanska abeceda u naučnoj literaturi, Jugoslovenski istorijski časopis 1-2, Beograd 1969.

66. Rizaj, Skënder-Kosova gjatë shekujve XV,XVI dhe XVII, Prishtinë 1982.

67. Rizaj, Skënder, Roli i shqiptarëve në Revolucionin xhonturk të vitit 1908, Kosova nr.3, Prishtinë 1974.

68. Rrota, Justin-Për historinë e alfabetit shqip, ribotim i Prishtinës 1968.

69. Salihu, Hajdar-Dy poezi të Sheh Osmanit, Fjala nr.7, Prishtinë 1.IV.1981.

70. Skendi, Stavro-Historia e abecesë shqipe, Albania vël-I.I,1962.

71. Skendi, Stavro-The National Albanian Awaking, New Jersey 1967.

72. Stipčević, Aleksandar - Iliri, Zagreb 1974.

73. Studime ilire I-II, ribotim i Prishtinës 1978.

74. Sulejmani, Mr. Fadil-E mbsume e kështerë e Lekë Matrëngës, Prishtinë 1979.

75. Shetos-Nezim Ibrahim Frakulla nga Berati, Kultura Islame nr.5-6-7, Tiranë 1942.

76. Shita, Vehap-Kur ndizen dritat, Prishtinë 1977.

77. Shkrimtarët shqiptarë, pjesa I (1462-1878), Tiranë 1941.

78. Shuffalay, dr. Kilan-Serbët dhe shqiptarët, Prishtinë 1968.

79. Shuteriqi, Dhimitër S.-Antologjia e letërsisë shqipe, ribtoim i Prishtinës 1973.

80. Shuteriqi, Dhimitër S. Histori e lètersisë shqipe, ribotim i Prishtinës 1977.

81. Shuteriqi, Dhimitër S.-Shkrimet shqipe në vitet 1332-1850, ribotim i Prishtinës 1978.

82. Ulqinaku, Hafiz Ali-Mevludi sherif, Titograd 1975.

83. Zajmi, Yll-Antologji e letërsisë së vjetër shqipe, botimi i dytë, Prishtinë 1972.



فهرس الكتاب



المؤلف في سطور

- ولد في دمشق في عائلة مهاجرة من يوغسلافيا .
- تخرج من جامعة دمشق ـ قسم اللغة العربية وآدابها .
- حصل على الماجستير في التاريخ والدكتوراة في الأدب المقارن من جامعة كوسوفا ـ يوغسلافيا .
- يعمل منذ ١٩٧٤ في فرع الاستشراق ـ جامعة كوسوفا .
- له عشرات الدراسات في المجالات العربية واليوغسلافية وعدة كتب منها :

ـ انتولوجيا الشعر العربي الحديث ، يوغسلافيا ١٩٧٩

ـ قصص سورية ١٩٣١ ـ ١٩٨١ ، يوغسلافيا ١٩٨١

ـ مختارات من الشعر الألباني المعاصر ، دمشق ١٩٨١

ـ بحر في الصحراء ـ دراسة ومختارات من الشعر الكويتي الحديث ، يوغسلافيا ١٩٨٢

ـ الشعر السوري المعاصر ، يوغسلافيا ١٩٨٣

ـ دراسات عن الاسلام في البلقان ، بيروت ١٩٨٣

- له ترجمات نثرية وشعرية من اللغة العربية الى اللغة الألبانية لحوالي مئة شاعر وكاتب عربي وعدة ترجمات الى اللغة الصربو ـ كراوتية .



ظاهرة العلم الحديث

تأليف

د. عبدالله العمر

صدر في هذه السلسلة

١ ـ الحضارة	تاليف : د. حسين مؤنس
٢ ـ اتجاهات الشعر العربي المعاصر	تاليف : د. إحسان عباس
٣ ـ التفكير العلمي	تاليف : د. فؤاد زكريا
٤ ـ الولايات المتحدة والمشرق العربي	تاليف : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى
٥ ـ العلم ومشكلات الانسان المعاصر	تاليف : زهير الكرمي
٦ ـ الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها	تاليف : د. عزت حجازي
٧ ـ الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية	تاليف : د. محمد عزيز شكري
٨ ـ تراث الاسلام ـ ١	ترجمة د. زهير السمهوري د. شاكر مصطفى مراجعة : د. فؤاد زكريا
٩ ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة	تاليف : د. نايف خرما
١٠ ـ جحا العربي	تاليف : د. محمد رجب النجار
١١ ـ تراث الاسلام ـ ٢	ترجمة : د. حسين مؤنس ـ إحسان العمد مراجعة : د. فؤاد زكريا
١٢ ـ تراث الاسلام ـ ٣	ترجمة : د. حسين مؤنس ـ إحسان العمد مراجعة د. فؤاد زكريا
١٣ ـ الملاحة وعلوم البحار عند العرب	تاليف : د. أنور عبد العليم
١٤ ـ جمالية الفن العربي	تاليف : د. عفيف بهنسي
١٥ ـ الانسان الحائر بين العلم والخرافة	تاليف : د. عبدالمحسن صالح
١٦ ـ النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية	تاليف : د. محمود عبدالفضيل
١٧ ـ الكون والثقوب السوداء	اعداد : د. رؤوف وصفي مراجعة : زهير الكرمي
١٨ ـ الكوميديا والتراجيديا	ترجمة : د. علي أحمد محمود د. علي الراعي مراجعة : د. شوقي السكري

١٩ ـ المخرج في المسرح المعاصر	تأليف : سعد أردش
٢٠ ـ التفكير المستقيم والتفكير الأعوج	تأليف : حسن سعيد الكرمي مراجعة : صدقي حطاب
٢١ ـ مشكلة انتاج الغذاء في الوطن العربي	تأليف : د. محمد علي الفرا
٢٢ ـ البيئة ومشكلاتها	تأليف : رشيد الحمد ـ محمد سعيد صباريني
٢٣ ـ الرق	تأليف : د. عبدالسلام الترمانيني
٢٤ ـ الابداع في الفن والعلم	تأليف : د. حسن احمد عيسى
٢٥ ـ المسرح في الوطن العربي	تأليف : د. علي الراعي
٢٦ ـ مصر وفلسطين	تأليف : د. عواطف عبد الرحمن
٢٧ ـ العلاج النفسي الحديث	تأليف : د. عبدالستار ابراهيم
٢٨ ـ افريقيا في عصر التحول الاجتماعي	ترجمة : شوقي جلال
٢٩ ـ العرب والتحدي	تأليف : د. محمد عمارة
٣٠ ـ العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة	تأليف : د. عزت قرني
٣١ ـ الموشحات الاندلسية	تأليف : د. محمد زكريا عناني
٣٢ ـ تكنولوجيا السلوك الانساني	ترجمة : د. عبدالقادر يوسف مراجعة : د. رجا الدريني
٣٣ ـ الانسان والثروات المعدنية	تأليف : د. محمد فتحي عوض الله
٣٤ ـ قضايا افريقية	تأليف : د. محمد عبدالغني سعودي
٣٥ ـ تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي ١٩٣٠ ـ ١٩٧٠	تأليف : د. محمد جابر الانصاري
٣٦ ـ الحب في التراث العربي	تأليف : د. محمد حسن عبدالله
٣٧ ـ المساجد	تأليف : د. حسين مؤنس
٣٨ ـ تكنولوجيا الطاقة البديلة	تأليف : سعود يوسف عياش
٣٩ ـ ارتقاء الانسان	ترجمة : د. موفق شخاشيرو زهير الكرمي مراجعة: د.عبد العظيم أنيس
٤٠ ـ الرواية الروسية في القرن التاسع عشر	تأليف : د. مكارم الغمري
٤١ ـ الشعر في السودان	تأليف : د. عبده بدوي

٤٢ ـ دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية	تأليف : د. علي خليفة الكواري
٤٣ ـ الاسلام في الصين	تأليف : فهمي هويدي
٤٤ ـ اتجاهات نظرية في علم الاجتماع	تأليف : د. عبدالباسط عبدالمعطي
٤٥ ـ حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي	تأليف : د. محمد رجب النجار
٤٦ ـ دعوة الى الموسيقا	تأليف : مايسترو يوسف السيسي
٤٧ ـ فكرة القانون	ترجمة : سليم الصويص مراجعة : سليم بسيسو
٤٨ ـ التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان	تأليف : د. عبدالمحسن صالح
٤٩ ـ صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي	تأليف :صلاح الدين حافظ
٥٠ ـ التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي	تأليف : د. محمد عبد السلام
٥١ ـ السينما في الوطن العربي	تأليف : جان الكسان
٥٢ ـ النفط والعلاقات الدولية	تأليف : د. محمد الرميحي
٥٣ ـ البدائية	تحرير : اشلي مونتاغيو ترجمة : د. محمد عصفور
٥٤ ـ الحشرات الناقلة للامراض	تأليف : د. جليل ابو الحب
٥٥ ـ العالم بعد مائتي عام	تأليف : هيرمان كان وآخرين ترجمة : شوقي جلال
٥٦ ـ الادمان	تأليف : د. عادل الدمرداش
٥٧ ـ البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية	تأليف : د. أسامة عبدالرحمن
٥٨ ـ الوجودية	تأليف : جون ماكوري ترجمة : د. إمام عبدالفتاح
٥٩ ـ العرب أمام تحديات التكنولوجيا	تأليف : د. انطونيوس كرم
٦٠ ـ الايديولوجية الصهيونية	تأليف : د. عبد الوهاب المسيري
٦١ ـ الايديولوجية الصهيونية (القسم الثاني)	تأليف : د. عبد الوهاب المسيري

٦٢ ـ حكمة الغرب	تأليف : برتراندرسل ترجمة : د. فؤاد زكريا
٦٣ ـ الاسلام والاقتصاد	تأليف : د. عبدالهادي علي النجار
٦٤ ـ صناعة الجوع (خرافة الندرة)	تأليف : فرانسيس مورلابيه وجوزيف كولينز ترجمة : أحمد حسان
٦٥ ـ مدخل الى تاريخ الموسيقا المغربية	تأليف: عبد العزيز بن عبد الجليل
٦٦ ـ الاسلام والشعر	تأليف د. سامي مكي العاني
٦٧ ـ بنو الانسان	تأليف : بيتر فارب ترجمة : زهير الكرمي

الاشتراك السنوي : وهو مقصور على الفئات التالية :

● المؤسسات والهيئات داخل الكويت	١٠ دنانير
● المؤسسات والهيئات في الوطن العربي	١٢ دينارا
● المؤسسات والهيئات خارج الوطن العربي	٨٠ دولاراً امريكياً
● الأفراد خارج الوطن العربي	٤٠ دولاراً امريكياً

الاشتراكات :

ترسل باسم الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص . ب ٢٣٩٩٦ الكويت ● برقياً ثقف ● تلكس ٤٤٥٥٤

TLX No. 44554 NCCAL

مطابع الرسالة - الكويت



سعر النسخة :

• الكويت	٥٠٠ فلس
• السعودية	١٠ ريالات
• العراق	٦٠٠ فلس
• الاردن	٥٠٠ فلس
• سوريا	٦ ليرات
• لبنان	٥ ليرات
• ليبيا	٥٠٠ قرش
• المغرب	١٠ دراهم
• تونس	دينار واحد
• الجزائر	١٠ دنانير
• مصر	٥٠٠ مليم
• السودان	٥٠٠ مليم
• عمان	ريال واحد
• اليمن الجنوبية	٨٠٠ فلس
• اليمن الشمالية	٩ ريالات
• البحرين	٨٠٠ فلس
• قطر	١٠ ريالات
• الامارات العربية	١٠ دراهم

مطابع الرسالة - الكويت